Royaume du Maroc المملكة المغربية

Université Sidi Mohamed Ben Abdellah

كلية الطب والصيدلة
FACULTÉ DE MÉDECINE ET DE PHARMACIE

سنـــة 2019 أطروحة رقم 19/226

الإجازة في الطب...
دراسة تحليلية على مدى ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي

الأطروحة

قدمت و نوقشت علانية يوم 2019/12/10

من طرف

الآنسة إيمان الهلالي

المزدادة في 1992/09/27 بافران

لنيل شهادة الدكتوراه في الطب

الكلمات الأساسية

الاجـازة - الطب - تاريخ فاس - الأعراف الطبية - الأخلاقيات

اللجنة

السيد مولاي حسن فريح ..... الرئيس
أستاذ علم أمراض المسالك البولية

السيد البشير بنجلون ..... المشرف
أستاذ في الجراحة العامة

الأعضاء

السيد المصطفى حيدة .....
أستاذ في علم أمراض الأطفال

السيد محمد فوزي بلحسن .....
أستاذ في علم الأمراض العصبية

السيدة كريمة الغازي .....
أستاذة في الطب الجماعي

السيد محمد زين العابدين الحسيني ..... عضو مشارك
مؤرخ ومختص في علم المخطوطات

بسم الله الرحمان الرحيم

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

البقرة 186

إلاهي؛

ربي، خالقي وسيدي؛ افتتحت أطروحتي باسمك وبآية من كتابك فتحت لي باب النهل من عطاياك حتى استحييت من واسع كرمك. فيا ربي أوزعني ان اشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلي والدي وان اعمل صالحا ترضاه. وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه.

شكر وتقدير

الأستاذ البشير بنجلون

استاذي الفاضل؛ لك مني كل التقدير والاحترام فقد كنتم نعم المرشد والموجه، شكرا على تواضعكم، توصياتكم ومساهماتكم في انجاز هذا العمل الذي اعتز به؛ عمل تشبعت فيه من مبادئكم الأصيلة في احياء اسهامات حضارتنا الإسلامية ولغتنا العربية.

ولاستاذنا البشير من اسمه نصيب طبيب رحيب أديب لبيب

الأستاذ مولاي الحسن فريح

اتشرف بقبولكم ترأس مناقشة هذه الاطروحة والفخر بذلك، لا أقولها مجاملة؛ لكن تواضعكم واخلاقكم وسعة صدركم صفات جعلتني أكن لكم استاذي كل الاحترام والتقدير، وبصفتكم رئيس لجنة التراث التي استمد منها هذا العمل فكرته وأهدافه؛ أشيد برعايتكم ومجهوداتكم.

الأستاذة سامية أريفي

استاذتي الفاضلة؛ اشكرك جزيلا على ما تقاسمته وايانا من نبذة عن مسيرتكم المهنية المعطاءة، شكرا لابتسامتك ولكلماتك المشجعة، سيظل اسمك وباستحقاق رديف عطاء كليتنا، كأول خريجة وطالبة ثم طبيبة فأستاذة.

الأستاذة كريمة الغازي

الأستاذ مصطفى حيدا

الأستاذ فوزي بلحسن

اساتذتي الكرام؛ شكرا لكونكم ضمن لجنة المناقشة، نقدر مساهمتكم في إتمام هذا البحث؛ سواء بارائكم، اقتراحاتكم وتشجيعكم لهذا العمل تحت ظل لجنة التراث بالكلية

اساتذتي الأفاضل؛ ونحن نوشك ان نغادر كلية تعلمنا فيها شهم العلوم من شهم المعلمين على مدى سنوات عدة، اريد ان اشكر كل من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا في تحصيل علم الطب الذي قد تسهم معلومة فيه في تخفيف معاناة وانقاذ روح.

كما أن شكري موجه لإدارة كلية الطب بفاس ممثلة في عميدها الأستاذ عادل الابراهيمي وكاتبها العام السيد السباعي على دعمها للمجهودات المبذولة لتوفير أفضل بيئة لتدريس العلوم الطبية وبناء جيل الغد، أطباء المستقبل، سواعد بناء نهضة أُمَّة...

الدكتور زين العابدين الحسيني

شكرا لكم سيدي لتلبيتكم دعوة حضور مناقشة اطروحتنا؛ فمشاركتكم كمؤرخ وباحث مختص في المخطوطات ليضفي قيمة مضافة لعملنا، كما اشيد بمؤلفكم "جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب" المؤلف الذي اعتمدنا عليه مرجعا في هذا البحث.

الفهرس

المقدمة 1

المبحث الأول: الاجازة...مفهوم ودلالات 9

I. تعريف الاجازة 11

1. لغة 11
2. اصطلاحا 14
3. خلاصة 15

II. أنواع الاجازة 16

1. حسب: الصيغة 16
2. حسب الغاية 18
3. خلاصة 26

III. الاجازة: أركانها ومضمونها 27

1. أركان الاجازة 27
2. لفظ الاجازة 29
3. خلاصة 35

IV. تاريخ الاجازة وتطور تداولها 36

1) صدر الدولة الاسلامية 37

2) عهد الدولة الإسلامية الكبرى 39

أ. الدولة الاموية 39

ب. الدولة العباسية 40

ج. دولة المماليك 43

د. الدولة العثمانية 45

ه. الاجازات العلمية في تاريخ المغرب الأقصى 47

- الدولة المرابطية 47
- الدولة الموحدية 49
- الدولة العلوية 50

و. الاجازات العلمية في الاندلس 51

3) تاريخ"الاجازة" في الجامعات الاروبية 54
أ. العصور الوسيطة 57
ب. تاريخ الاجازة:عصر النهضة - العصر الحديث 61
- الاجازة: الشهادة 63
- الدرجات الجامعية 66
- الانتقاء 68
- الباكلوريا 69
- الاجازة 72
- الماستر 74
- الدكتوراة 76
4) تاريخ الاجازة في الحقبة الاستعمارية 79
5) الاجازات الحديثة 82
المبحث الثاني : الاجازة ضمن الأعراف الطبية 84
1. تقديم 86
2. الامتحان في الطب 88
- ظروف فرض الامتحان 90
- امتحان الأطباء 91
- نماذج الامتحانات 92
- مؤلفات في الامتحان في الطب 94
- امتحان الصيدلة 96
3. المراقبة المهنية 97
- تعريف الحسبة 97
- الحسبة والطب 98
- الحسبة في الأدوات الطبية 100
- الحسبة حسب الاختصاص 101
- مهام المحتسب 102

4. نظام الاطروحة في الطب 104
- تعريف الاطروحة 105
- الاطروحة الطبية 107
- اطروحات في تاريخ الطب 116
- نماذج من الاطروحات الطبية عبر التاريخ 119

5. القسم الطبي 125

6. الاجازة الطبية 129
- الاجازة والامتحان 129
- امثلة لاجازات طبية 131
- الاجازة في الطب والمؤسسات 136
- الاجازات الطبية في التاريخ الأوروبي 139
- الاجازات في أولى المدارس الطبية الشرقية 146

المبحث الثالث: الاجازات الطبية في تاريخ فاس العلمي 153

تقديم 154

إجازة الطبيب عبد الله بن صالح الكتامي 157

1) تقديم 157

2) السياق العام 158

أ. الحقبة الزمنية 158
- الدولة الموحدية 158
- السلطان الموحدي الناصر لدين الله 159
- من مظاهر الطب في الفترة الموحدية 160

ب. الجهة المانحة: جامعة القرويين 163

ج. الطبيب المجاز: عبد الله بن صالح الكتامي 171

3) دراسة تحليلية للاجازة 175

ب. دراسة نقدية لشكل الاجازة 175

ج. دراسة نقدية لمضمون الاجازة 179

إجازة الطبيب محمد الكحاك 198
1) تقديم 198
2) السياق العام 199
أ. السياق التاريخي 205
- نشوء الدولة العلوية 205
- السلطان عبد الرحمن بن هشام 200
- من مظاهر الممارسة الطبية في الفترة 201
ب. الجهة المانحة 203
ج. الطبيب المجاز: محمد الكحاك 207
3) دراسة تحليلية لاجازة الطبيب محمد الكحاك 209
أ. دراسة نقدية لشكل الاجازة 209
ب. دراسة نقدية لمضمون الاجازة 212
إجازة الطبيب عبد السلام العلمي 226
1) تقديم 226
2) السياق العام 227
أ. السياق التاريخي 227
- الطب والامبريالية 227
- الحسن الأول 227
- سياسات الإصلاح 229
ب. الجهة المانحة : المدرسة الطبية بقصر العيني 230
ج. الطبيب المجاز: عبد السلام العلمي 234
3) دراسة تحليلية لاجازة الطبيب عبد السلام العلمي 239
أ. دراسة نقدية لشكل الاجازة 239
ب. دراسة نقدية لمضمون الاجازة 243

إجازة الطبيبة سامية أريفي 255

1) تقديم 255

2) السياق العام 256

أ. السياق التاريخي 256

- الملك محمد السادس 256
- إصلاحات قطاع الصحة 258

ب. الجهة المانحة : كلية الطب والصيدلة بفاس 259

ج. الطبيبة المجازة : سامية أريفي 263

د. الاطروحة مفتاح شهادة الدكتوراة في الطب 266

3) دراسة تحيلية لإجازة الطبيبة سامية أريفي 269

أ. دراسة نقدية لشكل الاجازة 270

ب. دراسة نقدية لمضمون الاجازة 271

المبحث الرابع : الاجازة الطبية بين الامس واليوم 272

1. تقديم 273
2. مقارنة من حيث الشكل 274
3. مقارنة من حيث المضمون 275
4. مقارنة من حيث لغة الاجازة 279
5. مقارنة من حيث الغاية والمعايير 282
6. الاجازة والاخلاقيات 284

خاتمة 290

توصيات 293

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم العزيز الحكيم، نحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وهو العليم فوق كل ذي علم، رفع شأن العلم ومنتسبيه، فقال و هو خير القائلين {يرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[1]، وقال أيضا { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[2].

والصلاة والسلام على رسولنا الكريم البعوث رحمة للعالمين الأمي الذي علم البشرية وحرض على العلم والتعلم، القائل: *(طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة)*[3]، والقائل أيضا *(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة)*[4].

إنه العلم؛ أرفع المطالب وأجلها، عظيم الفضائل ووافرها. طلبُه عبادة، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة. ورُب القائل: (ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ...على الهدى لمن استهدى أدلاء). فالعلم هو ظاهرة حضارية عملت على بناء الأمم والمجتمعات على مدى الزمن، وساهمت أيما مساهمة في رسم مسار التاريخ وتغيير مجرياته، مما جعل من غير المقبول بل من المستحيل بمكان فصل العلم عن تاريخه باعتباره منهجا إنسانيا ممتدا من الماضي للحاضر ونحو المستقبل.

---

[1] سورة المجادلة ، الآية 11

[2] سورة الزمر ، الاية 9

[3] بلفظ: عن أنس بن مالك ، من سنن الدارمي: كتاب المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. حديث رقم (220)

[4] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (ض)، رواه الترميذي

واعتمادا على هذا برز مفهوم **تاريخ العلوم**، مفهوم تداخلت فيه الوانٌ فلسفية وأطياف ابيستيمولوجية في سبيل الوقوف على العوامل التي تتسبب في تقدم العلم او تعثره، وذلك بوصف وتقويم حركته عبر مراحله التاريخية، الشيء الذي يمكننا من إنجاز تصور عام لتاريخ العلم باعتباره التاريخ الحقيقي للإنسانن وصلب قصة حضارته وعمادها. فهو اهتمام معرفي غاياته أسمى من أن تنحصر في الرجوع إلى الوراء والبحث في دهاليز الماضي كغاية مجردة في حد ذاتها، بل يتجاوز ذلك الى ما هو أرقي: صحيح أنه مفهوم ينطلق من الماضي؛ لكنه يصب في بوتقة تفهم وتأصيل الحاضر؛ والهدف هو استشراف المستقبل تواصلا وتطويرا.

وهنا نتبين أهمية العلم وتاريخه على العموم، لكن وجب علينا تخصيص الأولوية لتأريخ العلوم في الحضارة العربية الإسلامية على وجه الخصوص، ليس فقط من أجل العوامل الذاتية التي تملي علينا العمل على تجذير شجرة العلم وتوطينها في تربتنا العربية الاسلامية؛ بل أيضا من اجل العوامل الموضوعية التي تزيدها أهمية وضرورة ما طال تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين من تشويه إيديولوجي متعمد. ولأنه لا يصح إلا الصحيح؛ ولأن شمس حضارتنا أسطع من ان يحجب نورها غربال المزيفين المفترين، فقد حل وعي الأمة بأهمية البحث في تاريخها المعرفي، والدأب في تتبع مراحله وتجديد ذكر رواده.

إنه من حقنا بل من واجبنا نفض الغبار وتسليط الضوء على الإسهامات العلمية للسلف -عبقريتهم النادرة، منجزاتهم الخالدة -، فعلماؤنا المسلمون طوروا علوم الطب والفلك والهندسة وبادروا باعتماد منهج علمي تجريبي حرر العلم من القيد النظري المجرد، كما أبدعوا في توثيق منجزاتهم على مخطوطات لا تزال شاهدة على مجد حضارتهم وسؤددها.

ويعد الطب من أوسع مجالات العلوم الحياتية التي برز فيها السلف وترك فيها بصمته. ولغنى المضمون؛ وبما ان رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة؛ كان العلماء المسلمون من الحنكة والفطنة من ان جعلوا أولى تلك الخطوات هي الانفتاح والوقوف على ما عند الأمم الأخرى؛ فكانت مرحلة الترجمة ونقل ذخائر علوم الحضارات السابقة الى العربية، وما ان أتموا المرحلة حتى باشروا الحصيلة بالتحليل والنقد؛ ثم جربوا الوسيلة واستخلصوا العبرة؛ بل وواصلوا الابتكار والتأليف. وجذير بالذكر ما كان عليه المسلمون من النزاهة والأمانة العلمية بان ينسبوا الفضل لأهله في مؤلفاتهم وان يجعلوها متاحة لكل راغب في الميدان، فقد كان العرب حسب المؤرخ "كروثر" هم المؤسسون لمفهوم عالمية المعرفة[5].

كل هذه المعطيات جعلت للطب مكانة خاصة لدى المسلمين -دينية كانت ام دنيوية -حتى غدا علما يتعبد بأمتهانه والنفقة عليه، فسَمت العلوم الصحية وارتقى الطب وممارسه حتى غدا حكيما، وكانت إسهامات الأسلاف كفيلة بتخليد أسمائهم. ان إبداعات المسلمين في العلوم الطبية لم تقتصر على تشخيص العلل وعلاجها فحسب، بل تجاوزوا ذلك الى ابتكار وتأسيس منهج أصيل يهدف التدقيق في صحة المعلومة ومهارة الأداء –او ما يصطلح عليه في وقتنا الراهن بربط المسؤولية بالمحاسبة –، منهج انعكست اثاره على جميع جوانب الممارسة الطبية والابعاد الإنسانية والأخلاقية التي تحكم الأداء الطبي. ومن هذه الوسائل التي تحكم هذا الأخير؛ برز مفهوم **الاجازة في الطب**؛ المفهوم الذي يعتبر صفحة مشرقة من صفحات تراثنا الطبي وواحدة من روائع منجزات الحكماء المسلمين.

[5] يمنى طريف الخولي، بحوث في تاريخ العلوم عند العرب، ص 13 / مؤسسة هنداوي 2017

مفهوم اخترنا ان تتمحور حوله أطروحتنا لنيل الدكتوراه في الطب، مؤمنين بأهمية الموضوع؛ معترفين بجميل الأسلاف ومنطوين تحت لواء لجنة التراث بكلية الطب والصيدلة بفاس التي أبت إلا ان تكون السباقة في هذا الخير العميم: إحياء ذكر التراث الطبي العربي الإسلامي.

وفي لمحة موجزة عن الموضوع؛ فإن مفهوم الاجازة ــ الذي يعني الإذن والترخيص ــ هو تقليد إسلامي عريق؛ منحت على مختلف أصنافها الى مريدي العلوم الشرعية. إلا أن إدراجها في ميدان الطب تحت مفهوم الرخصة والإذن بالتطبيب كان في القرن الثالث الهجري في عهد الخليفة العباسي *ابو الفضل جعفر بن المعتضد*[6]؛ وذلك إثر خطأ من أحد المنتسبين الى صنعة الطب تسبب في مصرع المريض. وٱستنادا إلى بعد الإسلام المقاصدي وحمولته الإنسانية الداعية الى التداوي، *وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: {من تطبب ولم يعلم منه شيء من الطب فهو ضامن}*[7]؛ فقد ٱشترط الخليفة المذكور على كل من يريد ممارسة مهنة الطب الحصول على إجازة من حكيم عصره سنان بن ثابت[8].

وصار النظام بعد ذلك؛ أنه متى ما أتم الطالب دروسه يتقدم برسالة في الفن الذي يريد مزاولته إلى لجنة يتقدمها المحتسب ــ اي المشرف ــ وتضم نخبة من الأساتذة العارفين[9] واناسا ممن يشهد بصلاحهم؛ فيمتحن ويختبر؛ حتى إذا ما وُثق برصيده المعرفي وحسن إتقانه لفنه؛ أُجيز وٱلتحق بكوكبة الحكماء. ومن هنا، وفي سبق إسلامي فريد، كانت الاجازة هي المعيار الرئيسي لجودة التكوين. وكانت الرِّيادة في سَنِّها صلة وصل بين التعلم والممارسة؛ على غرار الشواهد الجامعية الحالية.

---

6. وهو الخليفة العباسي الثامن عشر في ترتيب الخلفاء العباسيِّين (295-320هـ= 908-932م). وقد تولَّى الحكم وهو في سنّ الثالثة عشرةِ كاصغر خليفة

7 عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أبو داود والنسائي

8 هو أبو سعيد بن ثابت بن قرة ولد عام 880 م، عالم فيزياء ورياضيات وعالم فلك عربي. عمل طبيبا لدى الخليفة المقتدر بالله العباسي، وقد أسلم في عهده

9 احمد عيسى بك / تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص 43

ومنه يكون الموضوع المناقش هو الاجازة الطبية في سياق زمني مؤصل بحدث بارز الا وهو منح الجامعة الأعرق وأولى جامعات البسيطة *جامعة القرويين* التي أسستها فاطمة الفهرية سنة 245ه /859م؛ منحها إجازة للطبيب العبقري *عبد الله بن صالح الكتامي* سنة 1207 م. وكانت بذلك اول إجازة في الطب تمنح من مؤسسة عامة؛ مبرزة قيمة المنظومة التدريسية لهذا الصرح العلمي الأصيل. وتمتد دراستنا إلى أول إجازة حديثة تُمنح بكلية الطب والصيدلة بفاس، والتي حازتها الطالبة *سامية أريفي* سنة2007 .

وبذلك؛ فان السياق الزمني لدراستنا ممتد على مدى ثمانية قرون. اما مجال دراستنا؛ هذه فلا أرحب من عاصمة المغرب العلمية والروحية ذات الإشعاع العلمي والبعد التراثي والثقافي: مدينة *فاس*. وبهذا كان عنوان الأطروحة:

"الاجازة في الطب.... دراسة تحليلية على مدى ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي."

مناقشتنا هذه؛ اخترنا ان تكون بلغة الحدث؛ لغة عربية سامية يسيرة تسمي الأمور بمسمياتها وتضفي قيمة مضافة لأطروحتنا التي ما هي الا قطرة تذكر ببحر إنجازات حضارتنا، مذكرين أن إحياء ذكر أمجادها وسيلة تحفظ لنا ولها الاستمرارية والرقي، مؤمنين أن إهمال التاريخ او نكرانه ليس من صفات العلماء، وأن العالم الحقيقي هو من استوعب ماضي العلم و أتقن حاضره و تنبأ بمستقبله، و قد صدق من قال "*إن العلم هو تاريخ العلم*"[10].

[10] المؤرخ جوته / عبد الكريم شحادة، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي ص 40

الأهداف

إن دراسة **تاريخ إجازات الطب** تتجاوز بعدها التاريخي والحضاري (الذي لا ينبغي إهماله)، إلى بعدها العلمي المعرفي العملي متمثلا في بلورة رؤية جديدة لمفهوم طبي شمولي يجمع بين العلم والأخلاق والمعرفة والحكمة في أسمى معانيها.

لقد سطرنا لهذا البحث استراتيجية تتمثل في وضع تعريف دقيق لمفهوم الاجازة عامة والإجازة الطبية خاصة؛ عبر دراسة ابيستيمولوجية نظرية، ثم عمدنا الجانب التطبيقي بدراسة تحليلية نقدية لبعض الإجازات الطبية، هادفين الى:

- تسليط الضوء على مفهوم الاجازة الطبية، باعتبارها وسيلة ناجعة تضمن كفاءة المتطبب من جهة، وباعتبارها إنجازا رِيادِيا للحضارة الإسلامية من جهة أخرى.
- التعرف على اهم المحطات التاريخية لتطور مفهوم الاجازة وخصوصا في ميدان الطب.
- التعريف ببعض الأعراف المتعلقة بدراسة وممارسة الطب.
- إبراز، تحليل، والتعرف على خصائص بعض الإجازات الطبية التي وسمت ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي.

والهدف الأسمى كان هو استنباط دروس تنير طريقنا إلى تكوين طالب معتز بهويته، عالما حكيما خلوقا يمزج بين عمق الانتماء لتاريخه و معرفة علمية حديثة.

منهجية العمل

- نوعية الدراسة : هذه دراسة تحليلية ابيستيمولوجية لمفهوم الاجازة في الطب.
- الفترة الزمنية : تمتد هذه الدراسة على مدى ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي من القرن 13م الى القرن 21م.
- مصادر البحث : اعتمدت هذه الدراسة على مصادر عربية وأجنبية ضمت وثائق وكتب ومخطوطات ومقالات ذات صلة مباشرة او غير مباشرة بموضوع الدراسة.
- محاور البحث : من حيث الشكل العام، سنستهل بمقدمة ثم نعرج على نقاشنا الذي خصصنا له ثلاثة محاور رئيسية:

يناقش المحور الأول الاجازة بشكل عام من حيث مفهومها اللغوي، أنواعها، مضمونها، تاريخها و تطور تداولها. أما المحور الثاني فيخصص للإجازة في الطب؛ السياق الذي ظهرت فيه؛ الأعراف الخاصة بالمهنة الطبية التي واكبت ظهور الاجازة من امتحان وحسبة وأطروحة وقسم.

في حين سيتطرق المحور الثالث الى خصوصيات الإجازات الطبية في تاريخ فاس العلمي، وسيعتمد الجانب التطبيقي؛ عبر أمثلة حية لإجازات طبية موثقة نتعرف من خلالها على الأعلام المجازين، نص الاجازة، السياق التاريخي، ثم دراسة نقدية ابستيمولوجية للشكل والمضمون. معتمدين على إجازات طبية تنتمي او ينتمي أصحابها الى مدينة فاس، وتمثل كل منها حقبة زمنية مختلفة:

- إجازة محمد بن صالح الكتامي (1207): وخصوصيتها باعتبارها اول إجازة في الطب تمنح من مؤسسة عامة.
- إجازة محمد الكحاك (1832): وتَمَيُّزها في مرحلة انتكاسة للحياة الثقافية في المغرب الأقصى.
- إجازة الطبيب العلمي (1873): وهي إجازة أحرزها من المدرسة الطبية المصرية، بعد ان ابتعث لدراسة الطب الحديث بالقاهرة.
- أطروحة الطالبة الطبيبة سامية أريفي (2007) : باعتبارها اول أطروحة تناقش في كلية الطب والصيدلة بفاس، امتدادا لمفهوم الاجازة في قاموس الطب العصري.

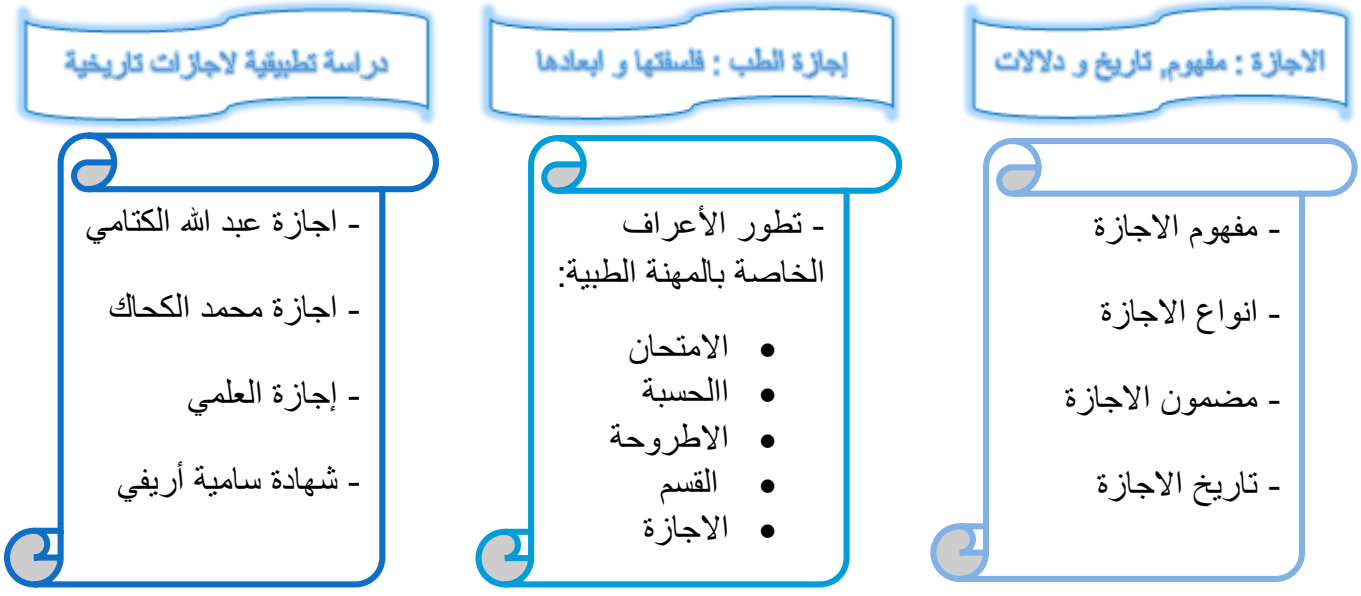

وأخيرا المحور الرابع اللذي يتضمن مقارنة بين إجازة الأمس و شهادة اليوم. ثم ننتهي الى خلاصة وتوصيات.

المبحث الاول

الاجازة..مفهوم ودلالات

1) تعريف الإجازة

2) أنواع الاجازة

3) الاجازة: أركانها ومضمونها

4) الإجازة: تاريخها وتطورها

5) خلاصة المجزوءة

تعريف الاجازة

حري بنا قبل الخوض في مناقشة موضوع الإجازات: دلالاتها، فلسفتها، مضمونها وتاريخها؛ أن نتعرف أولا على مفهومها ومعناها في لغة العرب، لأن الإلمام بالمعنى المراد أساس لبناء المفهوم الصحيح. وقد قيل : "المصطلحات مفاتيح العلوم".

أ. أصل كلمة إجازة

أَجَازَ، يُجيزُ، إجازة. وأصلها (إِجْوَاز)، نقلت حركة الواو إلى الجيم، لأن الواو حرف علة متحرك، وما قبله حرف صحيح ساكن، وهو أولى بتحمل الحركة، ثم يقال: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها بعد النقل، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف المنقلبة عن الواو، والألف الزائدة للمصدر، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين وعوضت عنها تاء في الآخر، فصارت إجازة

ب. الاجازة لغة:

الاجازة، إِجازة: اسم مفرد، الجمع :إجازات، مصدر لفعل أَجَازَ. وهي تفيد الاذن والترخيص.

وفيما يلي اقتباسات من شرح المفردة في نخبة من معاجم لغة الضاد:

معجم اللغة العربية المعاصرة [11]

إجازة: جمع إجازات: مصدر لفعل **أجازَ** يُجيز، أجِزْ، فهو مُجيز، والمفعول مُجاز. وقد تعني:

- رخصة، أو إذن ترخيص،

- إجازة قيادة : تُخَوِّل حاملها أن يقود سيّارة،

- إقرار خطّيّ يكتبه أحدُ العلماء يعترف فيه بأنّ حامله قد قرأ عليه وأصبح أهلاً للتّعليم،

- شهادة تمنحها بعضُ المعاهد للطّلاب تؤيد نجاحَهم في الموادّ المقرّرة : حصل على الإجازة من الأزهر

المعجم الغني[12]

-نَالَ الْمُوَظَّفُ **إِجَازَةً :** تَرْخِيصاً إِذْناً ،هُوَ فِي إِجَازَةٍ مَرَضِيَّةٍ : فِي رُخْصَة

-حَصَلَ عَلَى شَهَادَةِ **الإِجَازَةِ** : شَهَادَةُ اللِّسَانْسِ (نِهَايَة الدُّرُوسِ الجَامِعِيَّةِ العادِية).

معجم الرائد[13]

-**أجازَ** رأيًا: أباحه، **أجازَ** الأمرَ: أمضاه وأنفذه عقدٌ مُجاز، **أَجَازَ** العَقدَ وغيره: أَمضاه، وأَنفذه

-**أجازَ** العالمُ تلميذَه: أذن له في الرِّواية عنه أو أعطاه **الإجازةَ** بذلك

- **أَجَازَ** مَا كَان مَمْنُوعاً: أَبَاحَهُ، جَعَلَهُ جَائِزاً

-**أجازَ** الموضعَ: جازه، سار فيه وقطعه، سلكه وتركه خلفه

-**أَجازَ** البَيْتَ مِن الشِّعْرِ: أَتَمَّهُ، قال مِصْراعَهُ الثَّانِي

---

[11] لمؤلفه أحمد مختار عمر/ 2008، صفحة معاجم https://www.maajim.com

[12] لمؤلفه الدكتور عبد الغني أبو العزم/ موقع المعاني https://www.almaany.com

[13] لمؤلفه جبران مسعود/ 1992، من موقع عربي ديكت https://www.arabdict.com

- ذكر اشتقاق الكلمة من (جواز الماء)، والجواز هو السقي؛ يقال:

(أَجيزُونا) أي أسقونا، و (المُسْتَجيز) هو المستسقي، (اسْتَجَزْتُه فأجاز لي) أي استسقيته فسقاني.

فقيم قيم الماء فاستجز .... عبادة إن المستجيز على قتر[14]

- الاجازة مشتقة من التَجَوُز وهو التعدي، فكأنما عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه.[15]

- تطورت معاني هذا الأصل اللغوي لكثرة استخدامه في مختلف اشتقاقاته الأصلية والفرعية، فأصبح مختلف المعاني ومتعدد الأغراض. فالإجازة تأتي على معاني كثيرة في لغة العرب منها: الإنفاذ والإمضاء والسلوك والقبول والإباحة والتسويغ والإذن والاحتمال والعطاء.

"الاجازة" في الأحاديث النبوية

عن انس بن مالك رضي عنه قال: كنا عند رسول صلى عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول "**إني لا أجيز على نفسي شاهداً إلا مني**"الحديث... رواه مسلم

[16]

← ومعنى لا اجيز أي لا أنفذ وأمضي.

---

[14] القطامي، الكفاية في علم الرواية / بَابُ الْكَلامِ فِي الإِجَازَةِ وَأَحْكَامِهَا

[15] الشهاب القسطلاني في المنهج / تدريب الراوي: في شرح تقريب النواوي: بواسطة الحافظ جلال الدين السيوطي ص 200

[16] اخرجه مسلم في الزهد حديث رقم 18

ج. الاجازة اصطلاحا:

- الإجازة لدى الفقهاء لها اصطلاحات واستعمالات متعددة:

- تأتي بمعنى الإذن بالرواية، أو بالاجتهاد والفتوى؛ أي ان الإجازة تأتي كرخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها، يمنحها المجيز لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه.

- وقد يأتي بمعنى التجويز، أي الحكم بالجواز الشرعي، كما يقال أجاز المفتي نكاح الكتابية.[17]

- استجاز رجل رجلا طلب الإجازة أي الإذن في مروياته ومسموعاته؛ وأجازه فهو مجاز؛ والمجازات المرويات.[18]

- "لإجازة اصطلاحا إذن في الرواية لفظا أو خطا يفيد الإخبار الإجمالي عرفا" [19]

- "عرفت الاجازة اصطلاحا بانها الكلام الصادر عن المجيز، المشتمل على انشائه الاذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره اجمالا بمروياته، ويطلق شائعا على كتابه هذا الاذن المشتمل على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الاذن في روايتها عن المجيز اجمالا وتفصيلا..."[20]

- مفهوم هذا اللفظ طرأ عليه تطور جذري في معناه اللغوي الأصلي. ولا شك أن أهم تطور لحقه هو اقترانه بالحديث النبوي، ذلك لأن سماع الحديث يقتضي عند المحدثين إعطاء الإذن لسامعه وحافظه وراويه حق روايته وفق الشروط المنصوص عليها والمقررة في المصطلح.[21]

---

[17] الموسوعة الفقهية ج5، ص٩-١٣٣

[18] المرتضى الزبيدي في تاج العروس ج4 ص 31

[19] خالد مرغوب في رسالته "مكانة الإجازة" ص 29

[20] نصار محمد منصور في كتابه الاجازة في فن الخط العربي ص49

[21] الزبيدي.(مرجع سابق)..ص32

خلاصة

تعريف الاجازة

الإجازة لغة مصدر لفعل أجاز، ويتضمن عدة معان لغوية نصت عليها المعاجم العربية المعتمدة، يقال: أجاز الشيء أي: جعله جائزاً، والإجازة الإباحة والتسويغ.

وتفيد الاجازة اصطلاحا، الإذن والترخيص، وعند المحدثين: الإذن في السماع والرواية لفظاً أو كتابة.

ثم توسع هذا الاذن من اذن في رواية الحديث، الى اذن في قراءة ورواية علوم أخرى كالتاريخ والادب والعلوم العقلية. وبهذا أصبحت الاجازة أصلا من أصول التعليم، وصار المفهوم الدقيق للإجازة انها الشهادة التي يمنحها المدرس لتلميذه دليل تمكن وحسن استيعاب.

تطورت معاني هذا الأصل اللغوي في مختلف اشتقاقاته الأصلية والفرعية، فأصبح مختلف المعاني ومتعدد الأعراض، تماما كما اختلفت وتعددت أنواع الاجازات العلمية.

أنواع الاجازة

توسع مفهوم الاجازة وعم مختلف المجالات الشرعية والأدبية والعلمية، وغدت هذه الاخيرة متعددة الأنواع متشعبة الفروع. وذلك حسب:

- الصيغة: -الاجازة الشفهية - الاجازة التحريرية
- الغاية : -الاجازة العلمية - الاجازة التعليمية

I. أنواع الاجازة حسب: الصيغة

1. الاجازات الشفهية:

ظل منح الاجازات في بدايات تداولها مقتصرا على الصيغة الشفهية، خصوصا وان حركة التدوين لم تكن نشطة في أولى مراحل الحضارة الإسلامية. وكان مجال رواية الحديث هو المنطلق.

واعتمادا على كتاب الاجازات العلمية عند المسلمين لمؤلفه عبد الله فياض فان أقدم الاجازات الشفوية المعروفة هي تلك التي رواها بشر بن ناهيك حين قال[22]: " كتبت عن ابي هريرة كتابا؛ فلما أردت ان أفارقه قلت يا أبا هريرة: اني كتبت عنك كتابا فارويه عنك؟ قال نعم اروه عني."

تليها الاجازة الشفهية التي نالها أحد التلاميذ من شيخه جعفر الصادق سنة 148ه ونصها[23]: "..احب ان تزودني، فقال الامام: ايت أبان بن تغلب فانه سمع مني حديثا كثيرا فما روى لك عني فاروه عني ."

[22] الاجازات العلمية عند المسلمين، عبد الله فياض، ص 21/ مكتبة الارشاد بغداد 1967

[23] نفسه ص 2

2. الاجازة التحريرية

تأخر ظهور الاجازات المكتوبة بالقياس الى تلك الشفوية حتى القرن الثالث الهجري، وتعود أقدم الاجازات التحريرية حسب عبد الله فياض الى تلك التي خطها احمد بن خثيمه "صاحب التاريخ " كاتبا[24]:

" قد اجزت لابي زكريا يحيى بن مسلمة ان يروي عني ما احب من كتاب التاريخ الذي سمعه مني أبو محمد القاسم بن الاصبغ ومحمد بن عبد الأعلى كما سمعاه مني، واذنت له في ذلك، ولمن احب من أصحابه. فان احب ان تكون الاجازة لاحد بعد هذا فانا اجزت له ذلك بكتابي هذا. وكتب احمد بن ابي خيثمة بيده في شوال من سنة ست وسبعين ومائتين"

وهناك نوع اخر من الاجازات يمكن ادراجه ضمن الاجازات التحريرية؛ وهي الاجازات المحررة على ظهر الكتب، حيث اعتاد بعض الشيوخ ان يكتبوا اجازات طلابهم على ظهر الكتب التي درسوها عليهم واباحوا لهم روايتها، وغالبا ما يكون نص الاجازة مقتضبا لصغر حيز الكتابة

ومن أقدم ما عثر عليه من الاجازات المكتوبة على كتاب معين؛ اجازة القمي لمحمد بن سميع سنة 360ه وهذا مطلعها: "قد اجزت هذا الكتاب وهو كتاب الزيارات من تصنيفي...." [25]

[24] نفسه ص23

[25] فرحة الغري/ ابن طاووس ص 140

II. أنواع الاجازات حسب الغاية:

1. الاجازات العلمية:

تطورت الإجازات العلمية الأصلية من التخصص في رواية الأحاديث وسماعها إلى الإجازات العلمية العامة، فشملت مختلف العلوم وعمت أصناف عدة من المعارف الإنسانية التي عرفها العرب والمسلمون.

فقد كان المسلمون يفرقون بين العلوم التي يتوصل إليها المرء من نفسه، وبين العلوم التي يتلقاها عن غيره. يقول ابن خلدون في كتابه "المقدمة" "العلوم صنفان: صنف طبيعي، للإنسان أن يهتدي إليه بفكره. وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، ولا مجال فيها للعقل إلاّ في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول.

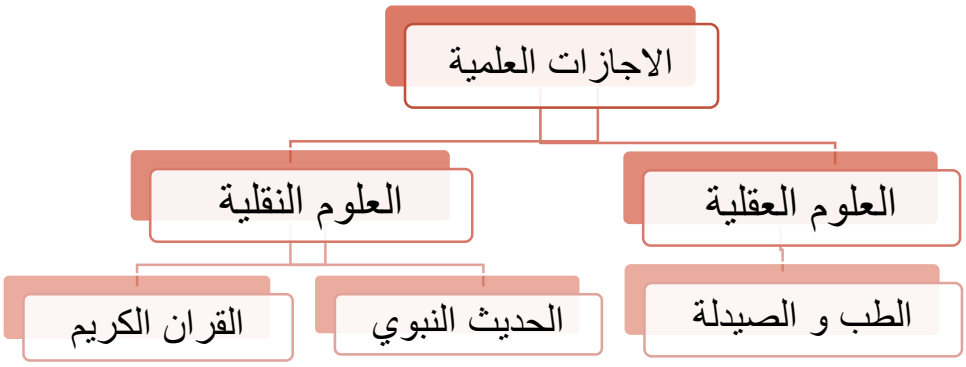

وقد اعتمدنا كمرجع أساسي لعنوان الاجازات في الحديث النبوي على بحث "الإجَازات العلميَّة " للدكتور. عمر موسى باشا[26].

[26] "الإجَازات العلميَّة (بحث جامع)"، عمر موسى باشا / FEQHWEB.COM

أ. في علوم الحديث:

علم رواية الحديث هو علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته، ويُبْحث في هذا العلم عن رواية الأحاديث وضبطها ودراسة أسانيدها، ومعرفة حال كل حديث من حيث القبول والرد، وهذه غاية شعبة تحمل الحديث، بمعنى اخذ الحديث وروايته بواحدة من الطرق الثمانية التي كانت "إجازة الرواية" واحدة منها.

" و هنا وجبت الإشارة الى نقطة مهمة؛ وهي عدم ارتباط نيل الاجازة في رواية الحديث بمدى أعلمية المُجاز وأحقيته، بل وسيلة تضمن سلاسة انتقال الاحاديث الموثوقة من سلف لخلف، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بفقيه) رواه الترمذي"

ب. في علوم القرءان

ولعلنا قدمنا الإجازة الحديثية على القرآنية؛ رغم أولوية القران على السنة، وذلك تبعا لتسلسل الظهور.

تُنال إجازات القرآن والقراءات؛ بالحفظ على يدي شيخ مقرئ متقن، وفي أثناء ذلك يُعَلم التجويد، وبعد إتقان الحفظ والتجويد معاً؛ تعطى الإجازة بالرواية التي قرأها على شيخه ثم يشرع معه في القراءات وهكذا.

أجازه الشيخ أحمد عيسى المعصراوي للشيخ العفاسي بقراءة القرآن الكريم و إقرائه

ج-في العلوم العقلية

دخلت الإجازة كثيرا من العلوم الطبيعية والتجريبية، وتطور مفهومها من اقتصارها على الإذن برواية بعض الأخبار إلى كونها شهادة معتمدة من جهة ذات مصداقية في علم من العلوم، تظهر قدرة حاملها على الأداء العلمي المتقن في مجال تخصصه.

ومن هذه التخصصات برز علم الطب (الذي نفخر بالانتماء له)، ولمكانته وماهيته كوسيلة لصيانة حياة الانسان، حظي بالريادة في إدماج مفهومي الامتحان والاجازة في مسيرة طالبه، وحاز فضل إدماج الاجازة ضمن نطاق العلوم العقلية.

وسنخص بإذنه تعالى موضوع الاجازات الطبية بمجزوءة شاملة ضمن هذا البحث.

2. الاجازات التعليمية

وهي التي يشهد الشيخ فيها لتلميذه بالعلم والقدرة على التعليم، وهذه الإجازة تكون بعد سنوات من الجثو على الركب بين يدي العلماء والمحدثين ونحوهم ، وبعد تمكن الطالب من دروسه واقتناع المعلم بان تلميذه صار مؤهلا واشتد عوده في علمه، يمكنه من الإجازة، ويشهد له بالعلم ويزكيه ويأذن له بالتدريس والتعليم.

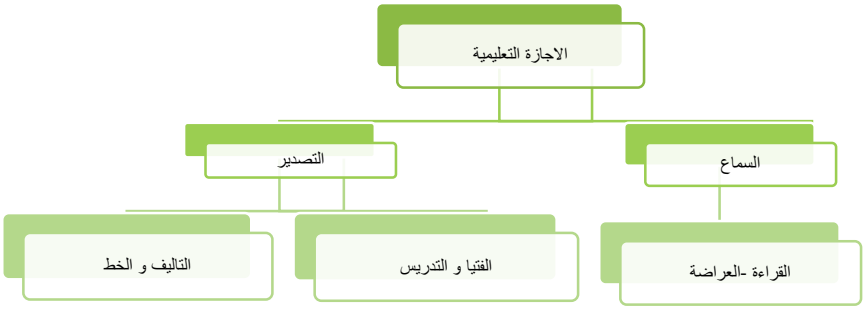

في مؤلفه الجامع صبح الأعشى[27]، والذي يعد من الموسوعات الشاملة التي تتضمّن العديد من المواضيع الأدبية والشرعية التاريخية، والذي اعتمدنا عليه كمصدر مهم في بحثنا هذا. صنف القلقشندي الإجازات التعليمية (العامة) إلى ثلاثة أنواع:

- الإجازة بالفتيا والتدريس (والتي تندرج ضمن اجازات التصدير التي كان بعض الشيوخ يعطونها تلامذتهم إيذانا لهم في تولي بعض المناصب العلمية والدينية[28])
- الإجازة بالمرويات،
- الإجازة بعراضة الكتب.

[27] صبح الأعشى في صناعة الإنشا : موسوعة تتكون من 14 جزء من تأليف أبو العباس القلقشندي المتوفى سنة 821 هـ 1418م، الذي كان يتولى منصب ديوان الإنشاء . ويعتبر الكتاب موسوعة شاملة لجميع العلوم الشرعية والأدبية والجغرافية والتاريخية

[27] الاجازات العلمية عند المسلمين ، (مرجع سابق) ص45

أ. الإجازة بالفتيا والتدريس

أهم الإجازات في المجال التعليمي، وقد قال القلقشندي في توضيحها:

"أما الإجازة بالفتيا فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس، أن يأذن له شيخه فيفتي ويدرّس، ويكتب له بذلك. ويختار لتسطيرها بعض العلماء من ذوي الخط الجميل، وتزداد قيمة الإجازة إذا كان العالم الذي كتبها من العلماء المشهورين."

وهكذا يتضح أن العالم المجيز، يجب أن يترك لعالم آخر تسطير ما يملى عليه، وقد يفسر هذا الأسلوب بأن الغاية منه وجود آخر ليكون شاهداً على هذا الاختبار، وأنه كان بإشراف لجنة ثنائية، وهذا المنتهى في التقاليد الجامعية العريقة.

" وأذن وأجاز لفلان المسمى فيه ، أدام الله تعالى معاليه، أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الرباني ، أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي، الشافعي، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه، وأن يفيد ذلك لطالبيه ، حيث حل وأقام ، كيف ما شاء متى شاء وأين شاء ، وأن يفتي من قصد استفتاءه خطا ولفظا، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه : لعلمه بديانته وأمانته، ومعرفته ودرايته، وأهليته لذلك وكفايته." [29]

[29] صبح الاعشى ج14 ص325

ب. الإجازة بالرواية

النوع الثاني من أنواع الإجازات العامة، الإجازة بالرواية؛ وطريقتها أن يكتب بعض طلبة العلم المستجيزين إلى بعض الفقهاء والعلماء المختصين والأعلام المشهورين في بعض فروع العلوم استدعاءات خاصة يطلبون فيها إجازتهم على ما يطلبونه من حق الرواية. وقد جرت العادة في مثل هذه الأحوال أن تكتب الإجازة وترسل إلى طالبيها.

" وأجزت له مع ذلك أن يروى عني مالي من التأليف، ومنها " جامع الجوامع" أعان الله على اكماله، وكذا شرح "صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري". ومنها "البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير" للإمام أبي القاسم الرافعي . وبه تكمل معرفة الفقيه و يصير محدثا فقيها. وأجزت له مع ذلك ما اجاز لي وعنى روايته بشرطه عند أهله ، زاده الله وإياى من فضله. ومنها الكتب الستة : «البخارى و مسلم وأبو داود والترمذي و النسانى و ابن ماجه ، والمسانيد : مسند أحمد و مسند الشافعي وغير ذلك ." [30]

ج. الإجازة بالعراضة

هذا النوع من الإجازة له أهمية علمية بالغة، فلقد ذكر القلقشندي أنه "جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتاباً في الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، يعرضه على مشايخ العصر، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب، ويفتح منه أبواباً ومواضيع، يستقرئه إياها من أي مكان، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم، استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه جميع الكتاب، فكتب: (وكذلك عرض عليّ فلان) أو (عرض عليَّ وكتبه فلان)." [31]

---

[30] صبح الاعشى ج14 ص326

[31] نفسه

د. اجازات التأليف

"اعتاد بعض العلماء على غرض مؤلفاتهم وقصائدهم التي اجادوا فيها على مشايخ العصر فيكتب لهم اهل تلك الصناعة اجازات التأليف والتي تقارب منهج التقريظ المدح على اختلاف ان الاولى تصدر عن أعلام العصر في فن الكتاب المؤلف..." [32]

" وألف عدة كتب في القراءات القرآنية منها كتابه المسمى تحفة البررة بقراءة الثلاثة المتممين للعشرة، فتناوله علماء العصر، وأثنوا عليه وكتبوا عليه إجازات ، وهي على ما يبدو إجازات بالتأليف لأنه تخص الكتاب المؤلف. " [33]

ه. إجازة النسخ

من الاجازات المثيرة للانتباه حسب لزغم فوزية إجازة النسخ التي وجدت في النُّسَخ المخطوطة لكتاب رسالة الامام الشافعي بخط تلميذه الربيع ونصها[34]:

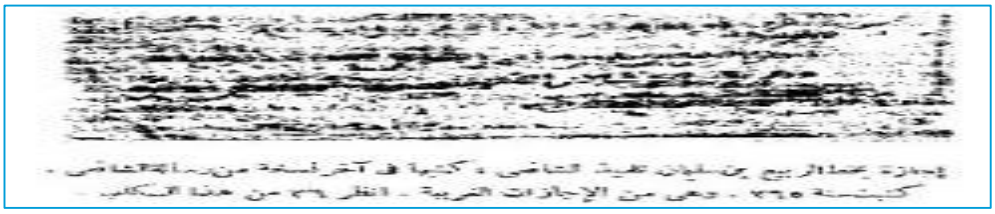

أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة وهي في ثلاثة أجزاء. في ذي القعدة سنة 256ه

---

[32] الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية/ فوزية لزغم، ص54

[33] نفسه، ص55

[34] عبد السلام هارون/ تحقيق النصوص ونشرها ص131

و. إجازة الخط

هو تقليد أصيل يهدف الى تتابع السند في إجادة الخط العربي سواء أكان بالتلقي المباشر أو غير المباشر، اذ يقوم المريدون بتقليد أعمال كبار الخطاطين والتدرب عليها حتى يصلوا إلى مستوى يطمئن به أساتذتهم أنهم تمكنوا من كتابة الخط بأقلامه (أنواعه) المختلفة، حينئذ يسمحون لهم بكتابة أسمائهم أو توقيعاتهم تحت أعمالهم، وهذا ما يسمى بالإجازة.

وفي ذلك أيضاً يقول الأستاذ يوسف ذنون (عضو في جمعية الخطاطين العراقيين) : "عندما يظهر تلميذ متميز عند الخطاط يقيم له حفلاً ويدعو الخطاطين، وبعضهم يكتب إجازته لتلاميذه، ثم يعرض أعمالهم على الخطاطين وعليها الإجازة، فتُسلم إذا لم يكن هناك اعتراض على صاحب الإجازة، أو تحجز حتى يتدرب ويستدرك ما عنده من قصور حينها تعطى له الإجازة."[35]

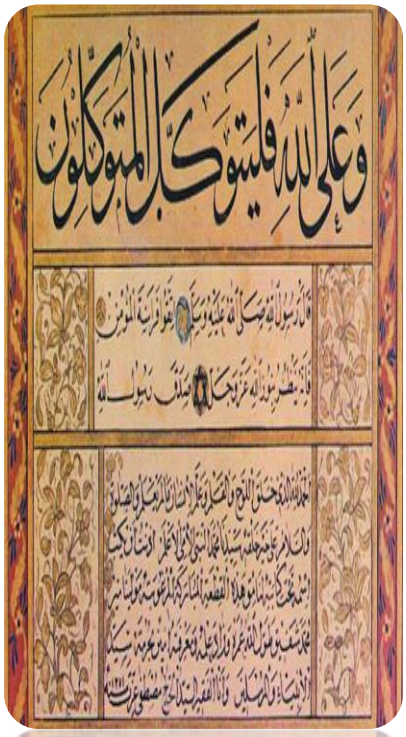

ويكتب المعلم الاجازة لتلميذه بناءً على عمل فني يشهد له به على بكفاءته. وتختلف الأعمال المجاز عليها، فقد تكون نصاً قرآنياً، أو حديثاً شريفاً، وتكون الإجازة على شكل لوحة بسملة أو دعاء.

(إجازتين تشهد لصاحبيها وتسمح لهما بالنقل مكتوبة بخط عربي أصيل)

[35] يوسف ذنون، شيخ الخطاطين العراقيين/ موقع Azzaman International 2019

خلاصة

أنواع الاجازة

توسع مفهوم الاجازة وعم مختلف المجالات، وفرض نفسه كنظام أساسي شامل ثابت الأصل متعدد الفروع، هذا التوسع حتم على الباحث في الموضوع تخصيص فقرة لدراسة أنواع الاجازات؛ ليس فقط من اجل اثبات دينامية هذا المصطلح وقدرته على الاندماج في مختلف الشعب، بل أيضا فرصة من اجل التعرف على مراحل تطور الاجازة وفهم طبيعة النشاط العلمي والثقافي لتلك المراحل. وكما اورنا فان أنواع الاجازة متعددة وتختلف حسب:

- ❖ صيغتها: شفهية وتحريرية
- ❖ هدفها:

- علمية تهدف ضمان استمرارية المعلومة الموثوقة كما هو الحال بالنسبة لأجازه الرواية. او كشهادة علم وتمكن تضمن حسن مزاولة للمهنة (الاجازة في الطب كمثال)
- تعليمية تتوج مرحلة التلقي والبحث

- ❖ مجالها: الادب الحرف وغير ذلك، وتعتبر الاجازة حينها كشهادة خبرة

اذن فالإجازة هي بمثابة الشهادة التي لا بد لها من اركان ومحتوى يحدد أطرافها ويحقق ماهيتها. فما اركان الاجازة و ما مضمونها؟

الاجازة: أركانها ومضمونها

1. أركان الاجازة:

الركن في الشيء ما يستند إليه ويكون من أجزائه الأساسية، وهو الذي لا يقوم الشيء إلا به.

وللإجازة أركان أربعة وهي: المجيز والمجاز له والمجاز به ولفظ الاجازة:

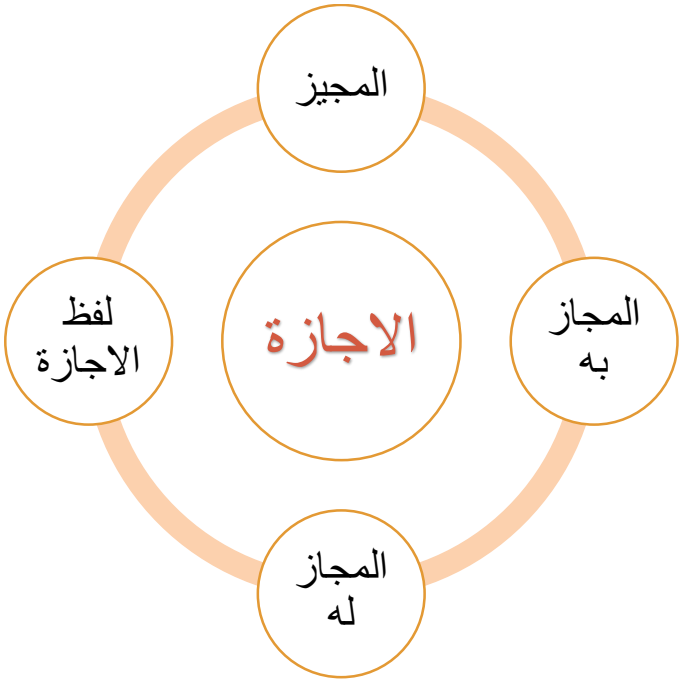

أ. المجيز:

يستحسن ان يكون من اعيان العلماء، عالماً بما يجيزه، ذو الفضل والاعتراف خاصة في العلوم التي يشتهر بها، فإذا كان الشيخ لا يحيط بجزئياتها؛ فلا يصح له أن يجيز فيها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وقد كان اقبال الطلبة على الفطاحل من العلماء لارتباط شهرة العالم بقيمة الاجازة.

ب. المجاز له:

يشترط ان يكون من اهل العلم، ملما بالمجاز به، مُجِلا ومحترما للمجيز، امينا في النقل مجتهدا في الأداء.

ج. المجاز به: وهو نوعان:

- إجازة بالرواية عن المجيز فيأخذ الاذن ليؤدي عنه مجيزاته، وغالبا ما تكون في العلم الشرعي، هذا النوع من الاجازة لا يستدل بها على كفاءة حاملها، لكن تشترط الأمانة في النقل

- إجازة بممارسة صنعة او بلوغ مقام وتكون بعد امتحان واختبار.

قال أبو عباس المالكي:" شرط في الاجازة ان يكون الفرع معارضا بالأصل حتى كأنه هو، وان يكون المجيز عالما بما يجيز ثقة في دينه وروايته معرفا بالعلم، وان يكون المجيز من أهل العلم متسما به حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله."[36] ولهذا المبتغى كان بعض العلماء لا يجيز أحداً إلا إذا استخبره واستمهره، فإذا وثق بعلمه اجازه.

[36] الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع / القاضي عياض ص 41

2. لفظ الاجازة:

عودنا العرب على استعمال الأساليب اللغويّة المتنوعة، والاعتماد على مصطلحات لغتهم الزاخرة التي تُساهمُ في تطوّر مبنى الكلمات والجُمل المُستخدَمة في كتابةِ النّصوص النثريّة او الشعريّة، مما ييسر على الكاتبَ اختيار الأسلوب المناسب لصياغةِ نصّه بطريقةٍ صحيحةٍ ومُميّزة، تُساهمُ في تحقيقِ التّأثير المطلوب على القُراءِ.

كما اعتمدوا التسلسل وترتيب الأفكار بطريقةٍ صحيحة ومُنظمة؛ كمنهج يروم الى التوصل للهدفِ المطلوبِ، ومنه فعندما يتمُّ استخدامُ تنسيقٍ مُتزنٍ ومُرتبٍ للنص المكتوب بالاعتمادِ على أساليب اللّغة العربيّة في التّعبير عن الكلمات؛ عندها ينجحُ النّصُ في توضيح مضمونه، وإيصالِ الأفكار والمعاني، مع الحرص على إضافةِ الجماليّات اللغويّة التي تخاطب عقل وقلب القارئ أو المُستمِع.

والاجازة العلمية الخطية مثال شاهد وخالد على أصالة اللغة العربية ومنتسبيها، وبالاعتماد على الكتب التاريخية التي تتناول الموضوع؛ (خاصة كتاب "الاجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 هـ الى القرن 10" للباحث أحمد رمضان) يتبين ان مضمون الاجازة ينقسم الى أربعة أجزاء رئيسية:

- الجزء الأول: يعتبر كافتتاح ومقدمة
- الجزء الثاني: لفظ الرواية
- الجزء الثالث: لفظ الاجازة وما يتبعها من حقوق
- الجزء الرابع: الواجبات المترتبة عن المجاز

أ- الجزء الأول:

حيث تستهل الإجازة عادة بالبسملة، والحمدلة، والتشهد، والصلاة على النبي، ولا بد أن يتضمن الحمد بعض ما سوف يرد في نص الإجازة. (الوثيقة 1 [37])

«بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المعروف بفنون المعروف والكرم الموصوف بصنوف الاحسان ، والنعم المنفرد بالعظم والكبرياء والبقاء والقدم الذى اختص الدار العزيزة ، شيد الله بناها ، وأشاد مجدها وعلاها ، بالمحل الأعظم والشرف الأقدم وجمع لها شرف البيت العتيق ذى الحرم ، إلى شرف بيت هاشم الذى هشم . جعل هذه الأيام الزاهرة الناضرة ، والدولة القاهرة الناضرة ، عقدا فى جيد مناقبها وحليا يجول على ترابها . أدامها الله تعالى ما الخذر لثام الصباح ، وبرج خفاء براح . أحمده حمد معترف بتقصيره عن واجب حمده ، مغترف من بحر عجزه مع بذل جهده ووسعه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وهو الغنى عن شهادة عبده . وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، الذى صدع بأمره وجاء بالحق من عنده ، صلى الله عليه ، صلاة تتعدى إلى أدنى ولده ، وأبعد جده يصل عتقها إلى أقصى قصيته وتزاره ومعده» .

الوثيقة 1

مقدمة إجازة ضياء الدين الحنفي 604ه

كما تشتمل عادة مقدمة الإجازة على ذكر نسب الأستاذ المجيز، تعداد نعوته الاجتماعية والدينية والعلمية. كما يشمل على بعض المطالب الخاصة، بالإضافة إلى المطالب العامة، أو كما اصطلح عليه الإجازة العامة أو الإجازة الخاصة، وذلك بحسب وضع الطالب المستجيز. (الوثيقة 2 [38])

.... استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا، وبكرتنا، العبد الفقير إلى الله تعالى، الشيخ، الإمام، العلامة، الحبر، الفهامة، فريد دهره، ونسيج وحده، جمال العلماء، أوحد الفضلاء، عمدة الفقهاء والصلحاء، سراج الدين، مفتي الإسلام والمسلمين، أبو حفص عمر بن سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى، الشيخ الصالح، الزاهد، العابد، أدام الله تعالى النفع به.. "

الوثيقة 2

مقتطف من إجازة الشيخ أبو حفص لتلميذه الشقندي ق8ه

[37] الاجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 هـ الى القرن 10 أحمد رمضان ص10

[38] صبح الاعشى ج14 ص324

ب- الجزء الثانى

في هذا القسم وجدنا اغلب الاجازات المتناولة تقتبس اسطرا من الاستجازة؛ ثم تعرج على فقرة عريضة من الثناء على المستجيز. ولعلنا نقف هنا وقفه تأملية عند هذا الجزء المميز الذي يبين مدى وطادة تلك الرابطة بين معطي العلم واخذه؛ بين الشيخ وتلميذه، المبنية على احترام وتقدير المجيز، لكن أيضا؛ على تشجيع المتلقي واجلال طالب العلم. ولطالما افتخر الطالب بهذه الفقرة أكثر من افتخاره بلفظ الاجازة نفسه. وفي ما يلي امثلة شاهدة: (الوثيقة 3 [39]– الوثيقة 4[40])

قد لازمنى المولى النجيب الفاضل المصقع ذو الفهم اللوذعى الماهر الأديب الباهر الفكر الرضى الاريب البارع المحصل الفرع الزكى الشرفى شرف الدين الذكى ، نجل العلائى الأجل الانفس لا زال كهفا صدر بيت المقدس أعنى الذى الكرام منه فى خجل (المتمدى) ابن عسيله الاحد . قرأ على نحو ربع المنهاج [1] فى الفقه كالبحر المحيط اذ هاج فقه امام خير حبر نافهى تقليده وهو الامام الشافعى بل وقرأ ربعا من الألفية فى النحو للطائى وأجرومية وشرحها الخالد بغير طيش وفى عروض المرتضى أبى الجيش [2] قراة متقنة بتحقيق وطول بحث

الوثيقة 3

مقتطف من إجازة الشيخ الشهابي لشرف الدين العلائي 964ه

وكان ممن وفق لذلك ودأب فى سلوك تلك المسالك النحرير الفاضل والمشتغل المحصل النايل الشيخ العلامة الفاضل الفهامة ذى القريحة الوقادة والطبيعة المنقادة من علامة الفلاح عليه لايحه ونسمات السعادة منه فايحه نخبة المحصلين وعين المشتغلين أبو الفضايل شرف الدين نجل الاجل الاوحد والمعتبر الامجد الخراجكى العلائى علاء الدين بن الشمس شمس الدين الشهير نسبه الكريم ابن عسيلة المقدسى نفعه الله ونفع به . ووصل أسباب الخيرات بسببه وأقر به العيون . وحقق فيه الظنون ولا زال راقيا لاوج المعلى . رافلا فى حلل الفضايل على ممر الايام والليالى أمين .

الوثيقة 4

مقتطف من إجازة نجم الدين القبطي المدرسة الصلاحية لشرف الدين العلائي 946ه

[39] الاجازات والتوقيعات...(مرجع سابق) ص 35

[40] نفسه ، ص 37

ج- الجزء الثالث

وهو البيت المقصود من الاجازة؛ ففي هذا القسم لا بد لنا من ذكر الرواية او العراضة، او النص في الإجازة على الأمور العلمية التي اختبر بها، ويذكر فيها أنه قد أجاب عنها.

ومن ثم يذكر لفظ الإجازة وما يستتبعها من حقوق، فيذكر الأمور المتعلقة بالسماح للمجاز بالفتيا أو التدريس أو الرواية أو غير ذلك. (الوثيقة 5 [41]– الوثيقة6 [42])

وعرض على جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة العضد واوقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة والرسالة المذكورة للشيخ الامام العلامة التمام شمس الدين محمد بن ساعد الانصارى (؟) شكر الله سعيه ورحمه واسكنه بحابيح جناته بمنه وكرمه ، عرضا جيدا دل على حسن حفظه للرسالة المذكورة وقد أجزته أن يرويها عنى بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية (باق الاجازة مفقود) .

الوثيقة 5

إجازة أصدرها رئيس الجراحين بدار الشفاء المنصوري ق11 ه

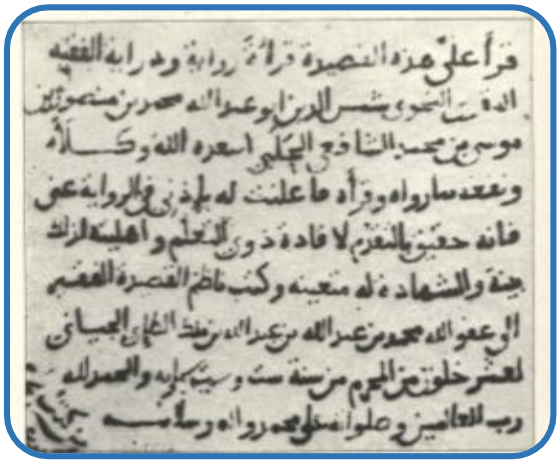

" قرأ علي هذه القصيدة قراءة رواية ودراية الفقيه الدقيق النحوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن منصور بن موسى بن محمد الشافعي الحلبي أسعده الله وكلأه ونفعه بما رواه وقرأه فأعلنت له بإذني في الرواية عني فإنه حقيق بالتقدم لإفادة ذوي التعلم وأهليته لذلك بينة والشهادة له متعينة وكتب ناظم القصيدة الفقير إلى عفو الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني لعشر خلون من المحرم من سنة ست وستماية والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله وسلامه ." [29]

الوثيقة 6

مقطع من إجازة محمد الجياني لشمس الدين الشافعي 606ه

41 الاجازات والتوقيعات ...(مرجع سابق) ص26

42 نكت الهميان، تحقيق، أحمد زكي بك، مصر، المطبعة الجمالية، 1911.

د. الجزء الرابع

وينص فيه على الواجبات المترتبة عليه بعد نيله حق الإجازة ثم يختتم القول بالوصايا المناسبة التي يزود بها من الاستقامة والعدل والدعاء بالسداد. كما تختتم اغلب الاجازات بذكر الزمان والمكان وجموع الحضور. (الوثيقة 7[43] – الوثيقة 8[44])

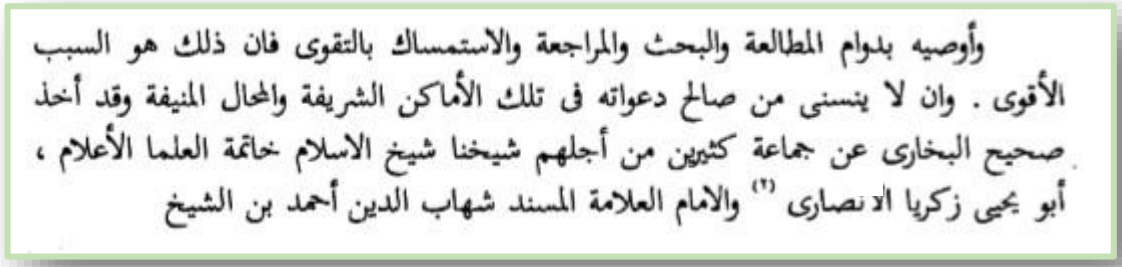

وأوصيه بدوام المطالعة والبحث والمراجعة والاستمساك بالتقوى فان ذلك هو السبب الأقوى . وان لا ينسنى من صالح دعواته فى تلك الأماكن الشريفة والمحال المنيفة وقد أخذ صحيح البخارى عن جماعة كثيرين من أجلهم شيخنا شيخ الاسلام خاتمة العلما الأعلام ، أبو يحيى زكريا الانصارى (٢) والامام العلامة المسند شهاب الدين أحمد بن الشيخ

الوثيقة 7

مقتطف من إجازة نجم الدين القبطي المدرسة الصلاحية لشرف الدين العلائي 946ه

فليتلق –أيده الله تعالى - هذه الحلة الشريفة، وليترق بفضل الله ذروة هذه المرتبة المنيفة، وليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه وأسدى من الإحسان الوافر إليه، وليراقبه مراقبة من يعلم إطلاعه على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وليعامله معاملة من يتحقق أنه يعلم ما يخفيه العبد وما يبديه في الورود والصدور، ولا يستنكف أن يقول فيما لا يعلم: (لا أعلم) فذاك قول سعد قائله، وقد جاء (جنة العالم لا أدري) فإن أخطأها أصيبت مقاتله

ويختتم نص الإجازة بقوله: "فالله يرزقنا وإياه التوفيق والتحقيق، ويسلك بنا وبه أقرب طريق، ويهدينا إلى سواء السبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل"

الوثيقة 8

مقتطف من إجازة الشيخ أبو حفص لتلميذه الشقندي ق8ه

[43] الاجازات والتو]قيعات...(مرجع سابق) ص 39

[44] صبح الاعشى ج14 ص324

بعض من تقاليد الاجازة[45]

دراسة موضوع الاجازات دراسة غنية شيقة؛ ملئ بنفحات ودرر التراث العربي الإسلامي، لقد حظيت الاجازة العلمية منذ بداية تداولها بقيمة تضاهي قيمة الوعاء الدي حازها: وعاء العلم. وهكذا أصبح للإجازة تقاليد تهم الشكل، المضمون واعراف التسليم.

فمن حيث الشكل؛ جرت العادة ان تكتب الإجازة في نوع معين من الورق، وفق نظام وقياسات محددة وغالبا ما تكون في قطع عريض؛ أما في فرخة الشامي[46] أو نحوها من البلدي، وتكتب بقلم الرقاع [47]، ويترك بين كل سطرين من أسطرها المتوالية بعض الفراغ قدر إصبع واحد.

واما المضمون؛ فيشترط في أسلوب الاجازة أن يكون متقنا؛ يلتزم فيها الكاتب بالسجع والصور البديعية وغيرها، وفق الأساليب المتبعة في الكتابات الديوانية وغيرها. ويختار عادة لكتابتها بعض العلماء الذين حضروا الاختبار العلمي خاصة من ذوي الخط الجميل وتزداد قيمة الإجازة إذا كان العالم الذي كتبها من العلماء المشهورين. كما تضم باقة من عبارات الثناء والدعاء بالسداد، وغالبا ما تختتم بذكر زمان ومكان التسليم. ثم خَتم المجيز، وكذا أسماء جموع الحضور الذين ينتمي اغلبهم للنخبة العلمية.

ان ترك العالم المجيز لعالم آخر مهمة تسطير ما يملى عليه، يفسر أسلوب اللجنة المتعددة التي تصبو وجود آخر ليكون شاهداً على هذا الاختبار، وأنه كان بإشراف لجنة ثنائية، او بحضور جمع من العلماء والاعيان وهذا المنتهى في التقاليد الجامعية العريقة.

---

[45] صبح الأعشى...ج 14 ص 346

[46] الورق الشامي او" الفرخة " وهو المستعمل بدواوين الممالك الشامية وبلاد المشرق وإقليم اليمن والروم والأقطار الحجازية، الثغر الباسم في صنعة الكاتب والكاتم/ السحماوي ص548

[47] وهو من الأقلام القديمة التي استعملت في ديوان الإنشاء

خلاصة

اركان الاجازة ومضمونها

أركان الإجازة اربعة: المجيز والمجاز له والمجاز به ولفظ الاجازة اما مضمونها فينقسم الى أربعة أجزاء رئيسية:

- الجزء الأول: يعتبر كافتتاح ومقدمة
- الجزء الثاني: لفظ الرواية
- الجزء الثالث: لفظ الاجازة وما يتبعها من حقوق
- الجزء الرابع: الواجبات المترتبة عن المجاز

تاريخ الاجازة وتطور تداولها

في هذا المبحث الخاص بتطور تداول الاجازات، سنسعى الى رصد اهم محطات الاجازة من مفهومها كرخصة الى كيفية تبلوها مع النظام التعليمي لتغدو ديبلوما. وفي ما يلي المحطات التي سنقف عندها:

- صدر الدولة الإسلامية وما قبلها
- الدولة الإسلامية الكبرى :- الاموية، العباسية، المماليك، العثمانية

: - الاجازات العلمية في تاريخ المغرب الأقصى

: - مبحث في الاجازات العلمية بالاندلس

- الجامعات الاروبية : - القرون الوسطى، عصر النهضة

: - مبحث في الدرجات الجامعية

- الحقبة الاستعمارية : - التعليم والاستعمار
- الاجازات المعاصرة

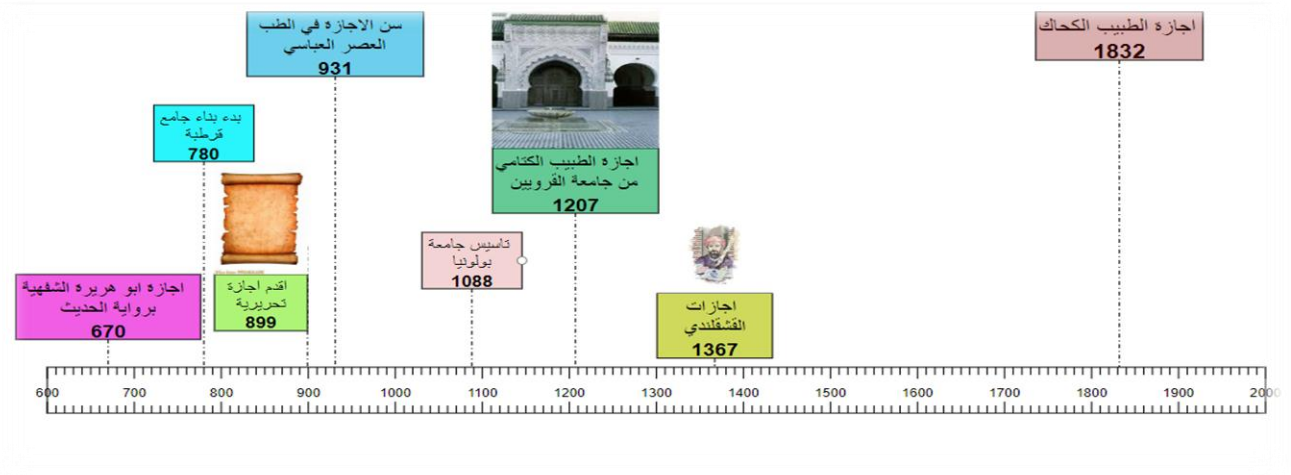

فترة ما قبل الاسلام

عُرفت اللغة العربية في العصر الجاهلي باللغة الشاعرة؛ اذ كان الشعر بمثابة ديوان للعرب يحمله الرواة ويستظهرونه ويستصوبونه. وقد اعتمد العرب آنذاك على الرواية والاستظهار لأشعارهم وأنسابهم وأخبارهم. ومن هنا برز الاهتمام بالرواة، فتتبعوا أنباءهم وطلبوا مروياتهم حتى داع سيتهم، فبدا تعاطي الناس للرواية واستجازة الشعراء رواية شعرهم.

اما من ناحية اللغة؛ فلما ان كانت العربية لغة الفصاحة، مقبولة في السمع يستريح إليها السامع، اصيلة غير هجينة ، كان لزاما على العرب فصحاء السجية بعد مخالطتهم الأعاجم وسكان المدن، وكثر النحل فيهم، ان يسعوا لحماية لغتهم وتأصيل جذورها، فراح علماء اللغة يدونون فصيحها، ويقعِّدون قواعدها وعلومها ويدرسونها طلابهم ومريديهم ويجيزونهم بالنقل عن الرُّواد والتعلم منهم.

صدر الدولة الاسلامية

لا يختلف اثنان ان تداول مصطلح الاجازة بمفهومه الحالي ودلالاته الراهنة كان سبقا مُوَثّقا للعرب في صدر الدولة الإسلامية، وقد اختص في بداية الامر بالعلوم النقلية.

لقد كانت الإجازة العلمية وسيلة رائدة؛ ابتكرها علماء الإسلام في بداية عصور الرواية، تهدف إلى توثيق العلوم المتمثلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، يحصل من خلالها الباحث على حق الرواية، و منه الإذن في المشاركة في الساحة العلمية، فمن نال إجازة في تلاوة القرآن الكريم أو رواية حديث فقد دخل صرح العلوم الشرعية، ونال الرخصة في المساهمة في نقلها ونشرها بين الناس.

1. حقبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

نُهِي عن كتابة الحديث في اول العهد، ثم جاءت أحاديث الأمر بكتابة السنة ناسخة فكانت تُحمَل أحاديث الإذن أو الأمر بكتابة السنة على من لا يوثق بحفظه، ومنها حديث أبي حيث قدم من اليمن وطلب من الصحابة يوم فتح مكة أن يكتبوا له خطبة النبي، فوافق - صلى الله عليه وسلم - على ذلك وقال:" **اكتبوا لأبي شاه"** [48]

و قد قال أبو هريرة: "ما من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب و لا أكتب."[49]

2. حقبة التابعين

بعد أن تلقى التابعين علومهم على ايدي الصحابة واستمعوا رواياتهم، بدأت مرحلة تدوين الحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد روى البخاري أن الخليفة كتب قائلا: «ولتُفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعلَّم من لا يَعلمُ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً»[50]. فنشطت الحركة العلمية، وعقدت حلقات تدريس الحديث الشريف في مساجد المدن الإسلامية، وجلس المحدثون لتدريس الناس ورواية الأحاديث لهم و إجازة المتمكنين. و ظهرت وسيلة الرحلة في البحث عن المعرفة وهو نظام وضع في وقت مبكر عن طريق طلاب علم الحديث يقوم على السفر إلى أقدم وأشهر المحدثين، لكي يسمعوا من أفواههم الأحاديث الخاصة بهم والحصول على "الإذن" أو "الإجازة" لنقل هذه الأحاديث وذكر أسمائهم في الإسناد. واستمر الامر في ظل الدولة الإسلامية الكبرى.

---

[48] صحيح البخاري الحديث رقم 6880
[49] صحيح البخاري الحديث رقم 113
[50] صحيح البخاري، باب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ

عهد الدولة الإسلامية الكبرى

1. الدولة الاموية 662 - 750 م

كان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك؛ أول شخص في التاريخ الإسلامي أنشأ مدارس منظمة تعمل برعاية الدولة وتحتَ إشرافها، كما كان من إنجازات الوليد الأخرى أنه أول من أنشأ المستشفيات في التاريخ، وأنشأ إلى جانبها البيمارستانات، فأضحى الأطباء الجدد يتتلمذون على أيدي أطباء هذه المشافي، وكان ذلك البادرة الأولى لولادة المدارس الطبية في التاريخ.

لكن اغلب الخلفاء الامويين لم يميلوا الى دعم العلوم الفلسفية العقلية بقدر ميولهم وانجذابهم للحركة الدينية والأدبية والتاريخية، مما يفسر انحصار الاجازات العلمية التي في نطاق العلوم النقلية واللغوية.

"من سوء حظ الدولة الأموية أنها عاشت في فترة الرواية الشفهية، والواضح أن الكتابة آنذاك كانت تعنى الانصراف عن حلقات الدرس والاكتفاء بالمكتوب مما يهدد مكانة الشيوخ ويقلل عدد المستمعين لهم " وفيه (اي المسجد) يلتف حوله (قطر بن خليفة) الناس يأخذون عنه سماعا كالعادة في الرواية الشفهية. وكان يقول (اخرجوا عنى من يكتب عنى) "[51]

ومن أمثلة الإجازة الشفهية ما ينقل من إجازة الإمام جعفر لأبان بن تغلب بالرواية عنه، حيث نقل النجاشي في كتاب الرجال عن سليم بن أبي حية: «قال: كنت عند أبي عبد اللَّه عليه السلام، فلما أردت أن افارقه ودّعته وقلت: احب أن تزودني، فقال: ائتِ أبان بن تغلب، فإنّه قد سمع مني حديثاً كثيراً، فما روى لك فاروه عنّي.»[52]

[51] أحمد صبحى منصور، التدوين: بحث فى تدوين تراث المسلمين .. متى وكيف؟

[52] رجال النجاشي، ص 13

2. العهد العباسي 750-1517م

وجاء العباسيون تواليا ليكملوا دفع عجلة الحركة العِلميّة الناشئة في العصر الأُمويّ، حيث أولى خلفاؤهم اهتماماً كبيراً بالعلم. وبتعدد العلوم؛ تعددت المناهج، وامتازت المدارس العباسية بتقاليدها الواضحة التي لم يسبقها اليها أحد، بل كان لها الريادة الكاملة في وضع اسس التعليم الممنهج، وكانت الاجازة العلمية واحدة منها؛ حيث تطورت الاجازة في المفهوم والشكل والمجال.

فمن حيث الشكل انتقلت الاجازة من صيغة المشافهة الى الصيغة التحريرية التي تأخر ظهورها حتى القرن الثالث الهجري، اذ عثر على أقدم إجازة كتابية محررة 276ه /899م، وهي الاجازة المذكورة انفا لابن ابي خثيمة كاتبا " قد اجزت لابي زكريا بن مسلمة ان يروي عني ما أحب من كتب التاريخ ..."[53]

اما من حيث مجالات نيل الاجازة؛ فقد تطورت وتوسعت توازيا مع تقدم العلوم وتفرعها، وتجاوزت اقتصارها على العلوم النقلية الى العقلية منها. فقد كانت ابتداء مصطلحا دينيا يختص بعلوم القران والحديث؛ ثم استحدثت لتشمل الجانب الادبي والتاريخي وصولا الى نطاق العلوم التجريبية.

- اجازات الرواية

" سماعهم صحيح وقد أجزت لجميعهم أن يرووا عني جميع ما يجوز لي روايته لشرطه والله تعالى ..."[54]

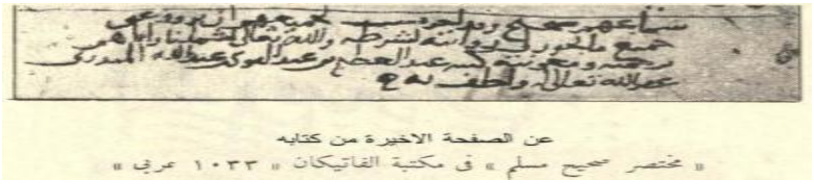

عن الصفحة الاخيرة من كتابه
« مختصر صحيح مسلم » في مكتبة الفاتيكان « ١٠٣٣ عربي »

[53] عبد الله فياض تاريخ الاجازات عند المسلمين ص 23

[54] إجازة عبد العظيم المنذري 581-656 ه لجماعة من العلماء سمعوا عليه "مختصر صحيح مسلم / الإجازات الموقعة ...(مرجع سابق) ص 10

▪ اجازات الكتابة

كثرت الإجازات والسماعات في القرن السادس والسابع الهجري، لكثرة نشوء المدارس ودور الحديث والقرآن ولانتشار حركة الترجمة والتدوين، ونتاجا لذلك؛ ظهر هذا النوع من الاجازات في الكتابة، فقد اتخذ العلماء والأدباء نساخاً لهم يملون عليهم من معارفهم، ويجيزونهم بالنسخ، والكتابة، ونذكر كأمثلة:

- نسخة من كتاب سيبويه كتبها الفراء وقابلها الكسائي. وصححها الجاحظ بنفسه ثم قدمها للوزير العباسي عبد الملك بن الزيات سنة 255 هـ
- كتاب الرسالة الذي كتبه الربيع بن سليمان لأستاذه الإمام الشافعي 204 هـ ،
- كتب الجوزجاني لأستاذه الرئيس ابن سينا بعض كتبه التي أملاها عليه.
- اتخاذ الطبيب حنين بن إسحاق كاتبا له أجازه يعرف بالأزرق

مخطوطة لتشريح العين، ألفها حنين بن اسحق، مأخوذة من كتابه المسائل في العين[55].

▪ المجال الحرفي

لجأ بعض الخلفاء العباسيين إلى إنشاء فرق لمرافقتهم سمّوا بالفتيان، وكانوا منقسمين أقساماً وفق حرفهم، ولكل فئة منهم «شيخ كار» يشرف عليهم. ولا يمارس أحد منهم مهنته إلا بإجازة منه.

[55] إجازة الكتابة /ويكيبديا

- المجال العلمي

ازدهرت العلوم العقلية والتجريبية الإسلامية نتيجةَ الاستراتيجية العباسية التي قدمت كل تشجيع لحركة النقل والترجمة؛ واتبعت المنهج العلمي السليم الذي يعتمد التجربة سواءً في التأليف، أو في البحث والتطبيق وهي الأسس التي قامت عليها الثورة العلمية.

ومن بين المجالات العلمية التي بزغت إبان العصر العباسي نذكر مثالا لا حصرا علمي الطب والصيدلة، فقد بذر العباسيون في المجال وجَنَوا منجزات لا زالت البشرية مدينة لهم بها، ومن تلكم المنجزات؛ اسهاماتهم الفريدة في مجزوءة تدريس علوم الصحة - حرصا منهم على رقي مهنة الطب وجودة تكوين ممارسها - فكان مريد الطب يتلقى دروسه نظريّاً وعمليّاً بإشراف رئيس للأطباء، ولا يسمح له ممارسة المهنة إلا بعد اجتيازه امتحاناً يقيم مكتسباته، وبعدها يجاز.

هذا النظام سمي حينها "الاجازة في الطب"؛ واعتبرت كصلة وصل بين اثبات حسن التعلم وضمان كفاءة الممارسة، فبعد ان كان مفهوم الاجازة يقتصر على العلوم الدينية والادب؛ أبدع الخليفة العباسي ابو الفضل جعفر بن المعتضد بإدراجها في ميدان الطب تحت مفهوم الرخصة والاذن بالتطبيب وذلك في القرن الثالث الهجري.

هذا إجمالا وسنناقش موضوع الاجازات الطبية تفصيلا في الجزء الخاص بتاريخ الاجازة في الطب.

3. دولة المماليك 1250 إلى 1517 م

المماليك هم سلالة من الجنود خرجت من رحم الدولة الأيوبية، حكمت مصر والشام والعراق وأجزاء من الجزيرة العربية. وكان لهؤلاء المماليك قواعد صارمة في تربية اطفالهم." إن أول المراحل في حياة المملوك هي أن يتعلم اللغة العربية قراءة وكتابة، ثم بعد ذلك يُدفع إلى من يعلمه القرآن الكريم، ثم يبدأ في تعلم مبادئ الفقه الإسلامي، وآداب الشريعة الإسلامية. ويُهتم جداً بتدريبه على الصلاة، وكذلك على الأذكار النبوية، ويُراقب المملوك مراقبة شديدة من مؤدبيه ومعلميه."[56]

هذه التربية المتميزة كان الأثر الجلي في تنشئة أطفال المماليك، حيث تكونت لديهم خلفية إسلامية متجذرة تقدس مكانة العلم وتوقر العلماء، وهذا ما يفسر النهضة العلمية الراقية التي حدثت في زمانهم. وقد جاد علينا عهد المماليك بخيرة من المفتين والادباء وباقة من علماء المسلمين الأفذاذ الذين لا تزال أسماؤهم رائدة الى يومنا هذا، من أمثال العز بن عبد السلام والنووي وابن تيمية وابن القيم الجوزية وابن حجر العسقلاني وابن كثير رحمهم الله جميعاً.

وبما اننا في صدد مناقشة موضوع الاجازات؛ فسنسلط الضوء على علامة عصره أبو العباس القلقشندي، الذي تخصص في الأدب والفقه الشافعي، وبرع في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء، صاحب الكتابات الإبداعية التي شملت مختلف جوانب الحياة ضمن موسوعته الضخمة "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (ومنها اقتبسنا قادم النصوص)، وقد ضمت أصنافا من الرسائل الديوانية والعلمية التي اهتمت بموضوع الاجازات وفصلت فيها، وذلك بذكر وتحليل اجازات حازها القلقشندي نفسه:

---

[56] المقريزي ، أشرف صالح / المماليك طبقة الرقيق الحاكمة/ مجلة دنيا الرأي 05/07/2009

أ. أولها الاجازة بالفتيا[57]

ولما ان كان القلقشندي ممن ذاكر في الفقه وبرع وأضاف اليه براعته في العربية وعلوم البلاغة والانشاء، فقد أجازه شيخه "سراج الدين أبو حفص ابن الملقن" بالفتيا والتدريس على مذهب الامام الشافعي سنة 778ه و هو ذو احدى و عشرين سنة وهذا نص الاجازة:

" أذن وأجاز لفلان المسمّى فيه، أدام الله تعالى معاليه، أن يدرّس مذهب الإمام الشافعيّ، وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنّفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبيه ، حيث حلّ وأقام ، كيف ما شاء متى شاء وأين شاء ، وأن يفتي من قصد استفتاءه خطّا ولفظا ، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه ، لعلمه وديانته وأمانته ، ومعرفته ودرايته ، وأهليّته "

ب. الاجازة بالتدريس

" استخار الله سيدنا سراج الدين...واذن واجاز لفلان المسمى فيه ...ان يدرس مذهب الامام المجتهد ...الشافعي ...وان يقرا ما شاء من الكتب المصنفة فيه وان يفيد ذلك لطالبيه حيث حل واقام...كيف شاء ومتى شاء وأين شاء..." وهذا يبين ثقة المعلم بكفاءة تلميذه وتمكنه واهليته للتدريس ولذلك اجازه دون قيد.

ج. الاجازة بالرواية

"...واجزت له مع ذلك ان يروي عني مالي من التأليف منها جامع الجوامع ..وكذا شرح صحيح الامام البخاري". فلما ان فطن ابن الملقن لما يمتع به تلميذه من سعة اطلاع وقدرة على الحفظ اجازه بالرواية.

[57] النصوص مقتبسة من "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"

4. العهد العثماني 1299 – 1923

حظي مفهوم "المدرسة" بعناية مبكرة في العقلية العثمانية، وتجلى ذلك بإنشائهم منذ توليهم العهد في بدايات القرن الثامن الهجري لمدارس جاورت الجوامع، كاشفين عن مدى اقتناعهم بأهمية تنشئة الرعية على نظام تعليمي وتربوي مُمَنهج. وقد نظّم السلطان سليمان التعليم في المدارس العثمانية الى اثنتي عشرة درجة، ولكل درجة اسمها الخاص، وعلى كل طالب أن يحصل على "إجازة" قبل أن ينتقل إلى الدرجة التالية.

"وعندما يصل المتعلم الدرجة السادسة من فإنه يُسمح له أن يعمل "مساعد مدرس" في الدرجات الأولى، ويعيد مع الطلاب ما كانوا قد أخذوه من أساتذتهم، ويُسمى "معيدًا". وإذا أراد أن يصل لمنزلة "المدرس" عليه أن يُتابع تعلمه في الدرجات الست الأعلى المتبقية، والحصول على "إجازاتها"، وإذا تمكن من الحصول على هذه التراتبية الأكاديمية، كان عليه أن يبدأ التدريس في المرحلة الدنيا، ثم يرتقي تدريجيًّا نحو العليا، عبر الدرجات التسع الأولى من أصل الاثنتي عشرة درجة، ولا يصبح مرشحًا لمنصب "الملاّ" أو "القاضي الكبير" إلا بعد الوصول إلى الدرجة التاسعة من التدريس على الأقل."[58]

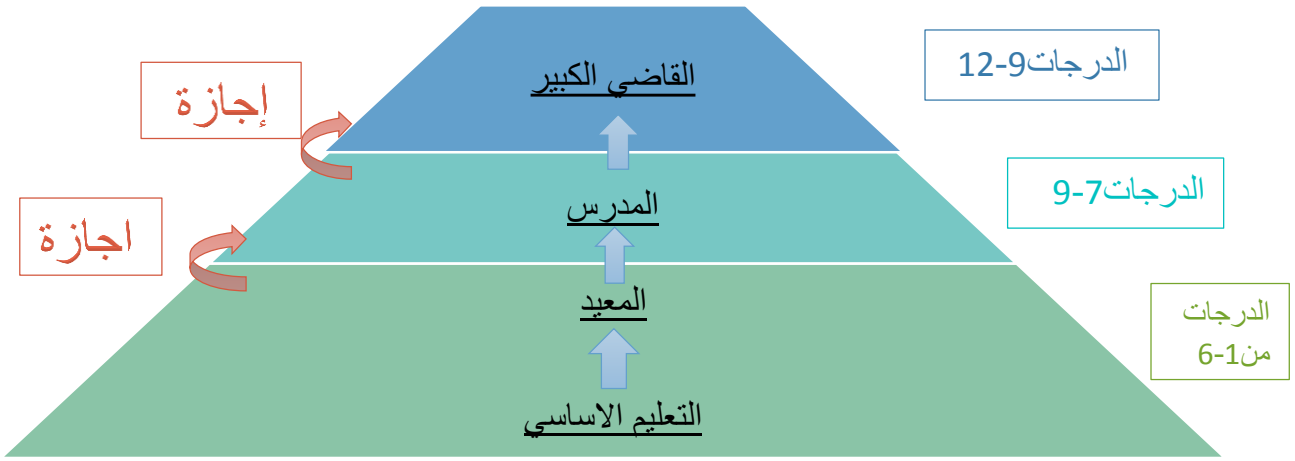

[58] ليلى الصباغ: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، منشورات مركز إرسيكا - اسطنبول، 1999م، 312/2.

" إن أولئك الطلاب -الذين حازوا على استحسان مدرّسيهم وتخرّجوا في هذه المدارس بمستوًى يؤهلهم ليكونوا مساعدي مُدرّس- كانوا يخضعون لامتحان كتابي وشفهي بإشراف لجنة مؤلفة من أشخاص متنوعين، وإذا نجحوا في اجتياز هذا الامتحان، فكانوا يُعتبرون جديرين بأن يحملوا شهادة إسطنبول العالية، وأي شخص كان لا يحمل هذه (الشهادة/الإجازة) لم يكن لديه أمل في التمتع بالتقدير نفسه الذي كان يتمتع به حاملوها، حتى لو درس أربعين عامًا في إحدى المدارس، فضلًا عن مسألة أنه لن يكون قادرًا على أن يكون مدرّسًا، أو مستشارًا لمفتٍ، أو قاضيًا"[59]

نستنتج مما ذكر ان العثمانيين استعملوا الاجازة كوثيقة رسمية مثبتة ترمو الى هدفين اساسين:

- اما أولهما فهو مباشر يهدف التحقق من أهلية المتخرج،
- واما الثاني الغير مباشر فهو سياسي أكثر منه تعليمي، ويستعمل الاجازة لغاية إحكام السيطرة على النظام التعليمي والقضائي العثماني بصورة مركزية.

"ويروي المحبي أن علاء الدين الحصكفي كان هو المفتي المعيَّن رسميًّا لدمشق في القرن السابع عشر، ورغم ذلك فقد كان عبد الحليم بن برهان الدين بن محمد البهنسي (ت 1679م) يمارس الإفتاء دون الحصول على تقليد رسمي اجازة؛ فتدخل قاضي قضاة المدينة -بأثر من ذلك - ونفَّذ مرسومًا سلطانيًّا مُنِع البهنسي بمقتضاه من الإفتاء ."[60]

من خلال ما سبق، نجد أن مفهوم الاجازة كان تقليدًا متّبعًا وراسخًا في النظام التعليمي العثماني حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وكان الغرض منه تخريج مدرسي وموظفي وقضاة الدولة العثمانية حصرًا. ويبدو أن هذا النظام كان الغرض منه فرض الهيمنة السياسية والثقافية للدولة العثمانية في أقطارها كافة.

[59] إيلبير أورتايلي: إعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسّام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى - بيروت، 2012م، ص150، 151

[60] محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر، 310/2

5. الاجازات العلمية في تاريخ المغرب الأقصى:

وفي مسيرة بحثنا في تاريخ الاجازة وتطور تداولها من حقبة لاخرى، بدا ضروريا تغيير المنهج المتبع المعتمد على الزمان؛ والانتقال الى التأريخ المجالي، لنحط الرحال ببلدنا العزيز المغرب، ونتساءل عن حال تداول الاجازات العلمية عبر تاريخ الدول التي تعاقبت على حكمه:

- الدولة المرابطية: 1073-1147

عرفت الثقافة المغربية في عهد المرابطين نموا كبيرا وإشراقا لامعا، حيث تعمقت جذور أكثر العلوم النقلية والعقلية ونبغ فيها أئمة لا ينازع في مقدرتهم أحد، ومن أجل نشر العلم والعرفان عمل المرابطون على تأسيس المدارس والمعاهد في كل بقعة ومكان، كما سعوا إلى إعلاء شأن اللغة العربية وإضفاء صيغتها على كل المؤسسات[61]

اما عن الاجازات العلمية، فقد كانت في عز تداولها، وقد وجدنا مقالات تصف حال عناية المرابطين بها، " فقد تسابق العلماء والملوك في مغرب الإسلام على نيل الإجازة، وتحصيلها، وبذل الغالي والرخيص في طلبها، فيرحلون للأمصار المختلفة، والأقطار المتباعدة من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب، أوحديث، أونحوها، كما حصل للقاضي عياض الذي عاد من المشرق وهو يحمل إجازات الغزالي والطرطوشي. وكان الملوك والأمراء يُوفدون الوُفود إلى مصر والحجاز والشام وغيرها. ومن غرائب ما ذكر من احتفال ملوك المغرب بطلب الإجازة سعي أحد أمراء المرابطين وهو ياسين المرابطي وذهابه للحج قصد الحصول على إجازة في رواية صحيح البخاري، وحملها عن صاحبها نفسه."[62]

[61] الحركة العلمية والثقافية عند المرابطين،علية الأندلسي/ نشر في ميثاق الرابطة 12 - 03 - 2010

[62] الإجازات العِلْمِيَّةُ وَعِنَايَةُ المَغَارِبَةُ بِهَا ، الباحث: د. محمد بن علي اليولو الجزولي/ موقع الرابطةarrabita.ma

وعلى ما يبدو، فان الاجازة العلمية تجاوزت حدود العلوم النقلية، لتجد مكانة لها في باقي العلوم العقلية؛ خاصة في فترة ازدهار المدارس المرابطية.

"أهتم المرابطون بعلم الطب، فساهموا في تطويره ووضع شروط تحكمه وتحافظ عليه، فأحدثوا - على غرار الشرق - منصب رئيس الصناعة الطبية لمراقبة اعمال الاطباء والصيادلة. كما لعبت المدارس دورا كبيرا في استقبال الطلبة وتلقيهم العلوم؛ وقد الف محمد بن التجلبي كتاب بعنوان "روضة المدارس وبهجة المجالس" فهذا دليل على وجود المدارس في عهد المرابطين."[63]

إجازة محمد بن سليمان الروداني بخط يده لتلميذه إدريس بن محمد الحسني المالكي المكي [64]

[63] تقي عبود الموساوي "تطور الطب في الاندلس منذ عهد خلافة بني امية وحتى نهاية عصر الموحدين"
[64] العهد المرابطي .. الإجازات العِلْمِيّةُ وَعِنَايَةُ المَغَارِبَةُ بِهَا (مرجع سابق) /arrabita.ma

- الدولة الموحدية : 1147-1269

تكتسي هذه الفقرة أهمية خاصة في بحثنا الراهن؛ باعتبار ان منح جامعة القرويين لأول الاجازات الطبية تزامن وعُهدة الدولة الموحدية. وفي لمحة عن تاريخ الحياة العلمية والثقافية الموحدية، فنجد ان المدارس كان لها النصيب الأكبر من اهتمام الخفاء الموحدين، "فقد اشرفوا على بناء المدارس كمراكز علمية تتولى تعليم أبناء الموحدين ، وتهيئتهم للقيام باعمالهم في البلاد خاصة في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور."[65]

اما عن دور الاجازات العلمية في تنظيم السيرورة التعليمية في تلك الفترة، فيرد الحبيب حاكمي[66] على الباحثة صفية الديب التي ذكرت في رسالة بعنوان "التربية والتعليم في المغرب في عهد الموحدين"، من أن وظيفة التعليم في العصر الموحدي لم تخضع لمعايير محددة كالحصول على الإجازة مثلا، وأن الواحد يكفيه أن يستوعب كتابا في التاريخ أو غيره يؤهله لممارسة التعليم. ويضيف الحاكمي: " لقد اسند للكراسي العلمية دور بارز في التشجيع على العطاء والإنتاج العلمي بحكم أنها كانت تسند لكبار الشخصيات العلمية من جهة، ومنح الإجازة كدرجة علمية وتأكيد على تفوق صاحبها من جهة أخرى".

وكان الطب مجالا واسعا لتطبيق الاجازة من حيث ماهيتها لكن تحت مسما اخر: " نظم الموحدون حرفة الطب حفاظا على صحة الناس عامة، وإبعادا للمدعين للطب، غير المؤهلين له، فكان لهم رئيس يراقبهم وينظم أعمالهم، ويأذن بهم بالممارسة، ويتقبل شكاوى العامة يسمى «المزوار»، يعينه الخليفة من بين أمهرهم وأكثرهم تجربة، وأكرمهم أخلاقا، ويرتب له أجرة." [67]

---

[65] مدارس الموحدين التعليمية وأهميتها في بلاد المغرب العربي ص 37 / د. نعيم خليفه كنتر الزيذي

[66] "الاسهام العلمي للبربر في الاندلس في العصر الموحدي ق 12 13م" الحبيب الحاكمي /مذكرة لنيل الماجستر في التاريخ الإسلامي ص 67

[67] يوسف كمال في مقالة له بعنوان" الطب بالمغرب:نشأته وتطوره" نون بريس

- الدولة العلوية :

امتاز العصر العلوي بتنوع مرافد الحياة الثقافية المغربية، وظلت الاجازة العلمية عملة العلم المتداولة، فكانت غاية العلماء والطلبة ورسخت موقعها في المنظومة التعليمية لقرون عدة من تاريخ المغاربة الفكري، العلمي والأدبي. ونذكر على سبيل المثال إجازة المرابط لليوسي:[68] في مستهل سنة 1079هـ أي بعد نحو من عشرين سنة، قضاها في طلب العلم. وقد استهل - بعد البسملة- بحمد الله تعالى:

«مؤهل أهل اصطفائه للاقتداء بسيد البشر، ومنهل خاصة أوليائه مناهل السنن والأثر، الميسر لهم من طرف الإجازة مدارجها. ثم الصلاة والسلام على رسوله «واسطة عقد النبيئين، وصفوة خلصائه الصديقين».وتعرض الكاتب بعد ذلك إلى مزية اتصال الأسانيد، واعتبرها غاية يسعسعى للحصول عليها كبار العلماء في كل العصور والأمصار، ويقطعون في سبيل تحقيقها الفيافي والقفار مغادرين الأهل والأوطان. وبعد:

فإن اتصال الأسانيد غاية يتجارى لاحتيازها ذوو النباهة من فضلاء الأمصار، ويتبارى في الامتياز بشرفها الكبراء في عامة الإعصار، حتى لقد ركبوا في طلابها النتائف، واقتحموا في ابتغائها المخاوف ورفضوا الأوطار والأوطان».

واليوسي سلك هذا المسلك عندما طلب من شيخه أن يجيزه، ويذكر له أسانيده وشيوخه.وتفنن الشيخ المقدر لتلميذه المعظم له، في مدحه، والتنويه بمقدرته وعلمه، ونزاهته وهمته.«وقد سلك ذلك، السند الصدر الرذيس فارس الإملاء والتدريس... أبو الحسن بن مسعود، صاحب النباهة الشامخة، والنزاهة الباذخة. والجلالة العليا، والهمة التي نيطت بالثريا، المتمسك من الرواية بأسبابها... يرغب إلى أن أجيزه وأشبع تبريزه.

«فأجبت مراده، وبادرت إسعاده، فأجزته إجازة تامة، مطلقة عامة، في كل ما يصح لي وعني روايته... من كل مقروء ومسموع ، ومفرد ومجموع، ومنثور ومنظوم، ومأثور ومفهوم».

[68] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،مجلة دعوة الحق العدد80

الاجازات العلمية في الاندلس

وصل المسلمون الى الأندلس سنة 92ه/710م، وأصبحت إقليما تابعا للدولة الإسلامية الكبرى، لكن سرعان ما استقلت بنفسها، وبدأ عهد قرطبة عاصمة لها، وواصلت الدولة الاندلسية تقدمها الى ان بلغت أوج ازدهارها في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي مد نفوذه الى كل شبه الجزيرة الايبرية. وما لبثت الامة الاندلسية ان عاشت صحوة فكرية جلية؛ تجاوزت بها الاعتماد على علوم الإغريق ومجهودات علماء المشرق الإسلامي، الى تكوين مجتمع ذو خصوصية و استقلال فكري.

" إن الازدهار الثقافي العربي السريع في الأندلس ساعدت عليه عوامل عدة، منها: الاستقلال السياسي الذي ولد ذلك الإحساس بالشعور القومي، فضلاً عن ان بعد الأندلس عن مراكز الثقافة العربية في الشرق أرهف فيهم الحساسية الثقافية والفكرية فجعلهم أكثر تطلعا للأخذ بأسباب الثقافة. "[69]

فكان الازدهار العلمي، الفني والأدبي بقرطبة، التي كانت تطل بفخر الإشعاع العلمي لجامعها على المدن الإسبانية، فاشرأبت أعناق طالبي العلم والمعرفة في الجارة الأوروبية إلى العلوم والمعارف العربية والإسلامية. "وكانت قرطبة في ذلك العصر رائدة الماركز الثقافية في الغرب و حُبِيَ مسجدها الجامع شهرة عريضة في جميع انحاء أوروبا في القرن العاشر الميلادي ,ذلك انه كانه بمثابة الجامعة الوحيدة فيها, وفضلا عن قرطبة, زفرت حواضر الاندلس الأخرى لا سيما اشبيلية وملقة وغرناطة وطليطلة بمساجدها ومدارسها التي كان اساتذتها يختارون على أسس معينة ومؤهلات خاصة " [70]

من هذه المؤهلات؛ حظي نظام الاجازة العلمية بالاعتراف والمكانة الخاصة لدى جمهور العلم الاندلسي؛ على غرار نظيره في المشرق العربي، وأُلحِق مصطلح "إجازة العلم" كنظام أساسي في منظومة التعليم،

---

[69] القلماوي ومكي / الادب ,ص34-35

[70] سعيد عبد الفتاح عاشور ,المدينة الإسلامية واثرها على أوروبا ,القاهرة ,1963 ,ص1بتصرف

وأُعتُمِدت كشهادة ثقة موثقة، فبموجبها يصبح الطالب قادراً على الإنابة في العلم الذي درس فيه عن معلمه. يقول حسين يوسف دويدار: "أن الإجازات العلمية كانت معروفة في الشرق وانتقلت إلى الأندلس بإنتقال العلماء المشارقة وأصبح منح الأستاذ الإجازة لطلابه أمراً شائعاً، بعد تتلمذهم على يديه." [71]

ومن جهته؛ يقول خوليان ريبيرا : " اذن اصبح منح الأستاذ الشهادة عملا قائما بذاته وشائعا أيضا، وكان ذلك يسجل في الكتب التي يدرسها الطالب وبخط الأستاذ نفسه؛ او في ورقة منفصلة؛ او على صفحة من جلد الرق المدبوغ الجميل." [72]

لكن بالمقابل؛ يضيف المستشرق الإسباني انه كان هناك من يقوم بتحريف هذه الإجازات طمعاً في المناصب، نفس الموضوع الذي كتب فيه أبو العباس العمري كتاباً سماه (كتاب الوجازة) محتجّا على بعض الإجازات العلمية التي رأى أن الزيف قد شابها. اشرنا الى هذه الجزئية - فقط من اجل موضوعية البحث - رغم انها لا تتجاوزحالات شاذة في بحر مزايا و درر الموروث الثقافي لحضارتنا. "والشاذ لا يقاس عليه" .

ومن تلكم المزايا و الدرر، وفي التفاتة طيبة تبين مدى عدالة الإسلام وعدم تفرقته بين ذكر وانثى خاصة في مسالة طلب العلم. نشيرالى ان بعض النساء الاندلسيات قد حزن اجازات علمية وكسرن احتكار الرجال لها.

"وقد ذكر الضبي أن أبا عمرو الداني المقرئ المعروف ب"أبن الصيرفي " كان يقرأ بالمرية وقرأت عليه إمرأة تدعى (ريحانة) في القرن الخامس الهجري، وكانت تقعد خلف ستر فتقرأ، وأنها أكملت السبع عليه وقرأت عليه خلاف السبع روايات وطالبته بالإجازة فكتب لها إجازتها ." [73]

---

[71] حسين يوسف دويدار في كتابه المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ص 403/ مطبعة الحسين الإسلامية 1994

[72] خوليان ريبيرا " كتاب التربية الإسلامية في الأندلس" ص120

[73] أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس/ andalushistory.com

واذا ما تعمقنا في الموضوع؛ فان تاريخنا الإسلامي المشرف زاخر بإسهامات العنصر النسوي في الحياة الثقافية والعلمية لمجتمعهن. وكانت لهن الريادة والفضل في نشر التعليم وبناء المدارس والجامعات وذلك منذ قرون بعيدة. حيث وصل جهد المرأة المسلمة إلى إنشاء منظومة تعليمية فريدة في غرب إفريقيا **"جامعة القرويين"** التي أنشئت عام 245 هـ/ 859 م في مدينة فاس المغربية، والتي تعد أقدم جامعة في العالم، تخرّج منها العديد من رموز العلم والدين والأدب العربي، وشخصيات غربية بارزة.

تلكم الجامعة تأسست على يد امرأة عربية هي **فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية**. التي قال ابن خلدون عنها : "فكأنما نبهت عزائم الملوك بعدها".[74]

مثل هذه السيدة الفاضلة وتلك الصروح الخالدة، نماذج نعتبرها وصمة شرف وعزة في جبيه تاريخ المغرب الثقافي، حتمت علينا تخصيصها بدراسة خاصة في الفقرات القادمة من هذا البحث المتعلق أساسا بالاجازات الطبية في تاريخ فاس. خصوصا - و نذكرها بكل فخر- ان أول اجازة في الطب منحت من مؤسسة عامة كانت من جامعة القرويين و ذلك سنة 1207م.

[74] تاريخ ابن خلدون، ج 4 / ص 15

6. تاريخ"الاجازة" في الجامعات الاوروبية

قبل المناقشة الخاصة لمفهوم الاجازة وتطورها في منظومة التعليم الأوروبي، سنحاول الاطلاع على السياق العام للموضوع؛ وذلك بالتطرق لعنوان رابط بين مجزوءة التعليم بالاندلس (كممثلة للحضارة العربية الإسلامية) من جهة، وبين نفس المجزوءة في أوروبا العصور الوسطى: الا وهو موضوع **"الجامعات".**

يجمع كثير من المؤرخين الغربيين فضلا عن العرب؛ ان مؤسسة الجامعة هي من المبتكرات الخالصة للحضارة الإسلامية. ولنعرج على الموضوع ننطلق من حقيقة ان المسلمين لم يستخدموا فيما مضى مصطلح الجامعة، وانما أطلقوا اسم المدرسة او الجامع على مؤسساتهم. "لقد كان التدريس في الجامع كمعهد للتعليم العالي في ارقى صوره"[75] . وما لبثت الجامعات ان انتشرت في ربوع العالم الإسلامي متحدية الحدود السياسية والجغرافية، من الشرق الى الغرب، فكانت نظامية ومستنصرة بغداد، ازهر القاهرة، زيتونة تونس، قرويين فاس و قرطبة الاندلس.

" أما في الأندلس فقد كانت المساجد الجامعة منذ قيامها على ما كانت عليه في المشرق مراكز لدراسة العلوم الدينية واللغوية، بيد أنها ما لبثت أن استحالت بسرعة إلى جامعات علمية حقة، ومنذ أوائل القرن الرابع الهجري نرى جوامع الأندلس تبدو في صفتها الجامعية الواضحة، وتجذب إليها الطلاب، ليس فقط من أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية والمغرب، بل من أنحاء أوروبا، إذ كان كثير من الطلاب المسيحيين يرون مثلهم الأعلى في الدراسات الأندلسية التي كانت يومئذ تتفوق في مناهجها ومقرراتها على دراسات الأديرة، وهي يومئذ مراكز العلوم والدراسات الأوروبية."[76]

---

[75] الدكتور حسن عزوزي (رئيس مركز الدراسات لتصحيح صورة الإسلام بالمغرب) إسهام الجامعات الإسلامية في الحضارة الإنسانية/ اسيسكو 2010

[76] نفسه

"منحت الجامعات الإسلامية إجازات كثيرة ليس لطلاب العلم المسلمين فقط، ففي الأندلس على سبيل المثال درس عدد من الباباوات في جامعات المسلمين وتم منحهم الإجازات العلمية منها، كما درس العديد من العلماء الأوروبيين في كنف المسلمين ومعاهدهم وحازوا من هناك على إجازات علمية."[77]

حتى ان اللباس الاكاديمي" أو كما يسمى بالإنجليزية (Graduation robe) - وهو زي يتكون من عباءة وقبعة تكون في الغالب مربعة الشكل – هو من الأعراف المميزة للتخرج الجامعي التي ظل البعض يعتقد لفترات طويلة أن أصولها غربية، إلا أن التاريخ يؤكد حقيقة مختلفة تماما، فاصول اللباس تعود إلى الأندلس قبل نحو 15 قرنا من الزمان. حين أسس المسلمون أعرق جامعات أوروبا، وكان خريجوها يلبسون الروب، وهو العباءة العربية السوداء التي تميزهم عن بقية طلاب الجامعات الأوروبية.

"والطريف ان طلبة هذه الجامعات من الأوروبيين كانوا عند عودتهم الى ديارهم مكللين بالنجاح يرتدون الثوب العربي وقميصه محاكين المسلمين في لباسهم. فقد كان اللباس العربي في ذلك الزمن يشير الى تميز الطالب ومكانته الاجتماعية بما انه تخرج من جامعة إسلامية. وقد بقيت هذه العادة الى أيامنا الحاضرة، وهو ما يفسر الثوب الفضفاض الذي يلبسه المتخرجون من الجامعات الغربية وغيرها. ويكتب جيمس غودي في كتابه "الإسلام في اوروبا" متحدثا عنه :" وقد بقي اللباس العربي (الثوب) اصفى وأوضح رمز للامانة الاكاديمية الى يومنا هذا لا سيما خلال الفعاليات الاكاديمية مثل مناقشة الاطروحة ويوم التخرج "."[78]

[77] موقع الأندلس - ثقافة وحضارة، تراث وحاضر

[78] الدكتور حمد بن عبدالعزيز الكواري "وظلم ذوي القربى... الطريق إلى اليونسكو" ص 77

وبذلك يمكننا ان نقول ان جامعات الاندلس كانت مصدر الهام للمجتمع الأوروبي، ويظهر ذلك جليا في وجود الشبه المعماري بين الجامعات الإسلامية و الأوروبية التي نشأت بعدها والذي لم يكن مجرد صدفة، فضلا عن أن معظم الكتب الجامعية التي كانت تدرس في جامعات أوروبا هي كتب مترجمة عن العربية.

" تدل بعض الحقائق على أن القرون الوسطى للإسلام مهدت لنشوء الجامعات في أوروبا الوسيطة، فقد نشأت الجامعات العربية قبل قيام الجامعات بأوروبا بأكثر من قرن، لقد أقيم جامع القرويين سنة 859م، بينما في اوروبا فان أولى الجامعات ظهرت بعد ذلك في وقت متأخر نسبيا على سبيل المثال جامعتا بولونيا وباريس لم تظهرا قبل القرن 11"[79]

ومن هنا نستنتج أن مؤسسة "الجامعة" هي من المبتكرات الخالصة للحضارة الإسلامية. هذا من حيث الهيكلة فمذا من حيث نظام التدريس و الشهادات؟

هل استنبط مفهوم الشهادة الجامعية دلالاته من الاجازة التعليمية العربية ام انها خاصية غربية مستحدثة؟

[79] لويس يونغ/ العرب وأوروبا ص 131، ترجمة ميشيل ازرق / دار الطليعة للطبع بيروت 1979

أ. الاجازة في العصور الوسطى لاوروبا

لدراسة معمقة لتاريخ الاجازة في المجال الأوروبي، وجب التعرف اولا على السياق الإجمالي للتعليم في ذات المجال ابان العصور الوسطى، وعن تلك الصلة بين الجامعات الغربية ونظيراتها العربية .

لذلك نستهل برواية عن تاريخ إنشاء جامعة مونبلييه بفرنسا سنة 1289م، نقلا في كتاب "فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية: " عندما أراد أهل مونبلييه إنشاء جامعتهم، وجدوا أنه ليس في مدينتهم الأساتذة والعلماء ذوو الكفاءة اللازمة لإنشاء الجامعة وإلقاء المحاضرات العلمية العالية، ففكروا في الاستعانة بجامعات أخرى لهذه الغاية، نظروا أولا إلى باريس فرأوا أنها ليست أحسن حالا منهم، ثم فكروا في روما فوجدوا أنهم أحسن حالا منها، أما أنجلترا وألمانيا فكانتا لا تزالان في الأشواط الأولى من العلم والثقافة، وبعد بحث قرروا أن لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة من البلد الوحيد الذي يستطيع أن يمدهم بالأساتذة والخبراء الأكفاء وهو الدولة العربية الإسلامية في الأندلس فاتصلوا بها وعرضوا عليها وضعهم، قلبت الحكومة العربية طلبهم، وأرسلت إلى مونبلييه ثلاثة من كبار الأساتذة المسلمين المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة وعكف هؤلاء على مهمتهم وأخذوا ينظمون الجامعة لا سيما كلية الطب مع الأساتذة الفرنسيين، كما ألقوا المحاضرات العلمية فيها خلال ثلاث سنوات."[80]

"..وكان أساتذة جامعة سالرنو الطبية وبعض الضباط الملكيين يعقدون الامتحان التأهيلي وهو الشيء الذي عرفته مدارس بغداد قبل ذلك."[81]

[80] عزالدين فراج / "فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية" ص 135

[81] المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية، منشورات الاسيسكو 2011

إذن وكما سبقت الإشارة؛ فان جامعات أوروبا عموما والخاصة بتدريس الطب على وجه الخصوص، كانت قد استوحت مقرراتها، أسلوبها بل واستعارت رجال تعليم من الجامعات العربية. فماذا كان الحال بالنسبة لرخص الممارسة او شهادات التخرج؟

في خضم بحثنا عن وثائق تصب في الموضوع، صادفنا مقالات تعج بجحود وتنكير غير المنصفين من المستشرقين؛ لكن وبالمقابل كانت أقلام غربية تكتب وبكل مهنية ومن ذلك ما يلي : مقال جريدة التايمز اللندنية تحت عنوان "هل اخترع العرب الجامعة؟ " [82]

" ومن العجيب أنه في الوقت الذي تصر فيه مختلف الجامعات في العالمين العربي والإسلامي على استخدام اللفظتين **"الليسانس" و"بكالوريوس"**، فان هذين اللفظين قد اقتبسا عن أسماء **الإجازات العلمية** في الجامعات الإسلامية التي سبقت مثيلاتها في أوروبا بعدة قرون. كما أن فكرة الجامعة كانت من نتاج الحضارة الإسلامية.

أن الجامعات الأوروبية قد أسست على غرارها وحذت حذوها بدقة استدعت استخدام العبارات نفسها التي كانت تستخدمها الجامعات الإسلامية في إصدار إجازاتها العلمية، وأن لفظة "بكالوريوس" ما هي إلا تحريف لفظي للجملة العربية **"بحق الرواية"** والتي كانت تستخدم في الإجازات العلمية الإسلامية، وكذلك لفظة "ليسانس" التي لا تعدو أن تكون ترجمة حرفية لكلمة **"إجازة"** ويذكر المقال أن أول شهادة منحت من جامعة أوروبية كانت ترجمة حرفية للتعبير العربي **"إجازة التدريس"** التي كانت تمنحها الجامعات الإسلامية (Licentia docendi)." كما يذكر المقال أيضا أن اول اسم أطلق على الجامعة في أوروبا كان التعبير اللاتيني (Studium General) وهي ترجمة حرفية للتعبير العربي "مجلس العلم".

[82] مقال جريدة التايمز اللندنية بتاريخ 1975 / 5 / 2 . المصدر كتاب " أزمة التعليم المعاصرة و حلولها الإسلامية" د زغلول راغب النجار ص 157

إن مراحل التطور هذه متماثلة في طبيعتها وموثقة توثيقا جيدا في المصادر إلى حد يستبعد معه احتمال ان حدوث مثل هذا **التطور المتماثل** كان من قبيل المصادفة البحتة. وقع هذا التطور عند المسلمين قبل أكثر من قرن من بدء أي عنصر منه في الغرب المسيحي، كما أن المصطلحات الفنية المستعملة فيه تعبر عن نفس المحتوى، بل إنها في أكثر الحالات ترجمة دقيقة لسوابقها العربية المتقدمة عليها زمنيا.[83]

كما أشار باحثون غربيون إلى مدى تأثر الجامعات الأوروبية بنظام الإجازة الإسلامي: «إنني أفترض أن درجة الليسانس الموجودة عندنا نشأت من هذا النظام الإسلامي الذي يعني الإجازة». [84]

"وشهد شاهد من أهلها" والخلاصة؛ هي ان **"الاجازة العلمية"** سابقة إسلامية. لكن هل حافظت على شروط تحصيلها تحت هيمنة الكنيسة في عصور أوروبا المتوسطة؟

اذا كان الغرب الأوروبي قد وعي تماما ماهية الاجازة العلمية داخل اسوار جامعات الاندلس، وانها تعني شهادة تُقَدم - وبدون مزايدات - لمن شُهد له بالتمكن والأهلية، فان الظروف السياسية والاجتماعية لاوروبا خلال القرون الوسطى - حيث إشراف الكنيسة وإمساكها بكل زمام الأمور -حالت دون ذلك، فكسر جناح ذلك الأسلوب العلمي المهني (الاجازة)، واقحم في دهاليزه جموع الباباوات ورجال السلطة.

هذه المقالات عن تاريخ الاجازة في اوروبا مقتبسة من كتاب نشاة الكليات لجورج مقدسي (بتصرف) :

لقد كانت الاجازة في الغرب تستمد شرعيتها من مصدرين: السلطة المستندة الى الاختصاص المعترف به، والسلطة المستندة الى حق معترف به لمنح الاجازة.

نقلا عن كتاب : أزمة التعليم المعاصر للدكتور زغلول راغب النجار، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

[83] 1 / 1990R, Y Ebied and young : Did the Arabs invent the university ? Times, London, May 2/1975

[84] دانييل هانيبرج في كتابه عن التربية الإسلامية عام 1850 نقلا عن اسهام-الجامعات-الإسلامية-الحضارة-الإنسانية ص19/ isesco.org.ma

" ظل، حتى القرن الثالث عشر الميلادي، تنظيم منح الترخيص بالتدريس و منح الإجازات العلمية في أوروبا بيد الكرسي البابوي حصراً كما يتمثل في المرسوم الذي أصدره الباب الاسكندر الثالث، كما كان الترخيص بالتدريس في جامعة نابولي يمنح باسم الملك، كما أن الامبراطور فريديرك الثاني بصفته ملكا على صقلية كان يحظر ممارسة الطب وتدريسه بدون الترخيص الملكي.[85]". مقابل ذلك، يتبين حسب النص اسفله؛ ان فرقا جامعية قبلت هذا النظام، في حين عارضتها فرق اخرى تصدرتها جامعة بولونيا.

".. وكانت هناك تقاليد مختلفة يُعمل بها في منح الترخيص بالتدريس في الجامعتين اللتين يضرب بهما المثل، وهما جامعتا بولونيا وباريس، يذكر راشدال أن المدرسين كانوا يعقدون الامتحانات في بولونيا، ويمنحون الترخيص بالتدريس باسمهم شخصيا دون حاجة للحصول على ترخيص أو إذن من أي جهة أيا كانت كنسية. على عكس النظام المتبع في باريس الذي كان تحت هيمنة رئيس الجامعة الموكل في ان يمنح أو يرفض منح الإجازة حسب تقديره في المحل الأول. الامر الذي لم يستمر، ففي سنة 1229؛ انسحب المدرسون من جامعة باريس للتدريس الى جهات أخرى؛ بعيدا عن تدخل الكنيسة، ولجا كثير منهم إلى مدارس الأسقفيات؛ حيث مارسوا تدريسهم بدون تدخل، ومنحوا التراخيص على مسئوليتهم الخاصة دون مصادقة من الأسقف أو رئيس الجامعة. وقد صادق على تلك التراخيص مرسوم بابوي صدر لاحقا حين منح البابا غريغوريوس التاسع جامعة باريس إعفاءات عدة، ومنها: الحق في منح الإجازة العلمية، ووضع الأنظمة من قبل الأساتذة "[86]

وأضاف "مقدسي"" كانت الجهة المانحة للاجازة في كلا النظامين الإسلامي والمسيحي جهة دينية أساسا."[87]

---

[85] نشاة الكليات ص 422 ،جورج مقدسي/ ترجمة محمد السيد محمد، مدارات للبحث والنشر ، 2015

[86] نفسه ص232

[87] نفسه / لكننا نتعارض مع الكاتب "مقدسي" في هذا القول، فالمسجد لا يعارض النشاطات الدنيوية غير الدينية بعكس الكنيسة؛ ففيه يصدر القاضي أحكامه؛ وفي داخله يستطيع الغريب أن يقضي ليلته، أو تجاذب أطراف الحديث ضمن حدود معنية

ب.تاريخ الاجازة :عصر النهضة - العصر الحديث

في سياق تتبعنا تاريخ المعلومة التعليمية التي بذرت في القرون الوسطى، وأعطت ثمارها نهضة فأنوارا ثم حداثة لأوروبا. بدا من الملح تعقب هذه المراحل إغناءا لبحثنا بمعطيات تاريخية تؤطر مناقشتنا للاجازة العلمية ضمن سياقها العام، ورصدا لكل ما من شانه الهامنا لاسترجاع مجد الأمة.

اما البوادر؛ فكانت مرتبطة بتحرير العقلية الأوروبية والانتقال من قاعدة "اعتقد لافهم" الى " لا اعتقد حتى افهم"، وهكذا آمن الانسان الأوروبي بالراي، بالتوجه المعرفي والاستقلالية الشخصية، فتحرر بذلك من كل الأوهام والخرافات. وتلاشى الطابع المقدس للسياسة الكنيسية التي كانت لا ترضى من العلم الا بما تطابق مع توجهاتها. اما مهد هذا التحول فكان ...الجامعة، "لقد ولدت الأجواء العلمية وانخرط الطلاب والأساتذة وكانت الجامعة قاعدة انطلاق الرغبة في تغيير البنية الفكرية للمجتمع الأوروبي"[88]

اذن وبعد ان داع الفكر الجامعي؛ لم يكن للكنيسة توجها غير التنازل للجامعة الأوروبية عن حزمة من المهام الباباوية في المجال التعليمي. ثم تطورت الجامعات وزاد استقلالها وحلت محل جميع معاهد التحصيل العلمي والديني الأخرى التي كانت سائدة قديما.

[88] جامعات الاندلس واثرها على النهضة الاوربية، زينل عوني قاسم / جامعة القادسية كجزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في التاريخ

اما عن مسالة الشهادة الجامعية، نقتبس من مقال" اقدم جامعات أوروبا تسبق اكتشاف أمريكا" [89] :

"وكان نظام التعليم ينقسم إلى مرحلة أولى لمدة 3 سنوات تعقبها مرحلة متقدمة لمدة سنتين يتخرج بعدها الطالب. ويمكن دراسة دورات متخصصة فيما بعد يحصل بعدها الطالب على لقب «ماستر» أو ما يعادل درجة الماجستير الحديثة."

وكما اشرنا سابقا؛ فان الغربيين استوحوا مفهوم الاجازة العلمية من الحضارة الإسلامية التي لا ينكر لها فضل تطوير تداول المفهوم وإدماجه في العلوم الحية، بل والتفنن في مراسم نيلها بعد التأكد من استحقاق الطالب لها. لكن أيضا لا نجحد دور الجامعة الأوروبية في جعل الاجازة شهادة أكاديمية ذات مصداقية

- فكيف تطور مصطلح الاجازة داخل أسوار الجامعات الحديثة واصبح يرادف مفهوم الشهادة ؟

- وكيف استنسخت كلمة الاجازة في حد ذاتها لتصبح مرحلة من مراحل الشهادات الاكاديمية؟

وإجابة على الأسئلة سنعتمد على وثائق مستسقاة من مصادر غربية ثم سنسعى للتعليق عليها.

[89] مقال جريدة الشرق الأوسط "اقدم جامعات أوروبا تسبق اكتشاف أمريكا" 06-02-2017

الاجازة: الشهادة

La licence est, en réalité, le grade universitaire le plus ancien (XIIIe siècle)Elle remonte à l'époque où les écoles cathédrales étaient seules dépositaires de l'enseignement supérieur et ne donnaient pas de grades proprement dits, mais seulement des certificats d'aptitude (licentia docendi).

90

"الاجازة" هي أقدم الشهادة الجامعية وتعود للقرن الثالث عشر حين كانت المدارس الكاتدرائية هى الموكلة الوحيدة للتعليم العالي ولم تكن تقدم شهادات بما تحمله الكلمة من معنى بل فقط رخص اهلية .

The licence system failed completely, because it was so easy to counterfeit …the licence system was being discarded

91

فشل نظام الاجازة تمامًا ، لأنه كان من السهل تزويره. ثم تم التخلص

تاثرت "الاجازة العلمية" سلبا تحت قبة الكاتدرائيات وفقدت جزءا من توازنها وماهيتها بل وتحولت من غاية سامية لمريدي العلم يتاتونها بعد جد واطلاع الى وسيلة سهلة المنال تخول التحصل على مزاياها.

و ليعاد للاجازة التعليمية نصيبها من الموضوعية والمهنية خصوصا بعد أفول نجم الكنيسة اعتمدت الجامعات الأوروبية منهج الانتقاء والامتحان :

90 La vie intellectuelle au Moyen Âge/ Les universités médiévales / cosmovisions.com

91 Renaissance Impostors and Proofs of Identity by Miriam Eliav-Feldon ; p 206

Les universités du Moyen âge ne connaissaient guère qu'un seul genre d'examen important, celui de la maîtrise, la « licence » n'étant généralement qu'une étape préparatoire pour obtenir ce grade.

92

كانت الجامعات في العصور الوسطى تعرف نوعًا واحدًا من الاختبارات المهمة ، ألا وهو درجة الماجستير ، فكلمة "الاجازة" لا تعدو كونها سوى مرحلة تمهيدية للحصول على هذه الدرجة.

Jusqu'à l'époque de la Renaissance, le terme « licence » eut généralement une acception restreinte : il signifiait l'autorisation donnée au candidat par les professeurs pour procéder à l'examen qui devait lui conférer le grade de maître.

93

حتى عصر النهضة ، كان مصطلح "الاجازة" بوجه عام ذو معنى محدود: فهو يعني التفويض الذي يمنحه الأساتذة للمرشح للانتقال للامتحان الذي يؤهل لمرتبة التدريس.

إذن فقد اعتمد نهج الامتحان للتنقل من مرحلة جامعية لأخرى، وابتداءا وقبل تطوير نظام الشهادات الجامعية كانت مرحلة "الاجازة" هي مستهل محطات التعليم العالي متبعة بمرحلة "المعلم" التي كانت تعتبر حينئذ اسمى غايات المتعلم :

92 Imago Mundi encyclopédie/ cosmovisions.com

93 Fabienne ROUSSET these 2011 en psychologie sociale p 26/ univ TOULOUSE

L'examen de la maîtrise était assez compliqué, Il comportait deux parties distinctes. Dans la première partie une commission de docteurs désignait au candidat, plusieurs passages de textes à commenter. La seconde partie était une dissertation publique et contradictoire sur un point de théologie, de droit ou de sciences. Elle donnait lieu à une cérémonie solennelle, en présence de toutes les autorités universitaires, municipales... Depuis le XVe siècle Le candidat était tenu de soutenir oralement sa thèse et de répondre à tous ses contradicteurs ou opposants depuis le lever du soleil jusqu'au soir, pendant une journée entière. Pendant cette séance, le candidat prenait le nom d'inceptor ou defendens. Le grade était conféré par le chancelier, qui remettait le bonnet (biretta) au candidat, qui avait désormais le droit de porter la robe (cappa) de maître.

كان امتحان الماجستير معقدًا جدًا ، وكان له قسمان في البداية تقوم لجنة من الأساتذة بتعيين مقاطع من النصوص للتعليق عليها من قبل المرشح. اما الجزء الثاني كان دراسة عامة حول مسالة اللاهوت أو القانون أو العلم. ثم إقامة احتفال رسمي ، بحضور السلطات الجامعية والبلدية ... ومنذ القرن الخامس عشر كان مطلوبا من المرشح أن يلقي أطروحته شفهياً وأن يجيب على الانتقادات من شروق الشمس حتى غروبها. خلال هذه الحصة ، ينال المرشح اسم المعترف. تم منح رتبة من قبل المستشار ، الذي سلم قبعة (BIRETTA) ، الذي كان يحق له الآن ارتداء لباس (كابا) الرئيسي.

94

ومن هنا بدأت معالم التعليم الجامعي الحديث في التبلور: الانتقاء، الامتحان بحلتيه الكتابية والشفوية، ثم مراسم التخرج.

Les universités médiévales Imago Mundi encyclopédie [94]

الدرجات الجامعية

بدا العمل بنظام تسلسل الشهادات الجامعية في أوروبا منذ القرن الثالث عشر وكانت هذه البادرة فكرة ذكية ترمو لضخ نفس جديد في المسيرة التعليمية للدراسات العليا. فبابتكار هذا التسلسل الممنهج؛ جُعل من الجامعة سلما علميا يساهم كلما ارتقى فيه الطالب في تحقيق ذاته واستشراف اقافه المستقبلية.

The hierarchy of degrees dates back to the universities of 12th-century Europe faculties

95

يرجع اعتماد الطبقات الجامعية في أوروبا الى القرن الثاني عشر

c'est dans cathédrales qu'apparaissent au 12ème siècle des hiérarchisées selon les grades académiques (baccalauréat, licence, maîtrise et plus tard doctorat).

ظهر تسلسل الألقاب الجامعية (باكالوريوس-إجازة-ماجيستير ثم دكتوراه)في الكاتدرائيات خلال القرن

96

فظهرت طبقات مختلفة من "الاجازات" او الدرجات الاكاديمية ذات التسلسل المرتبط أساسا بعدد سنوات الدراسة والتمكن من اجتياز حواجز الاختبارات:

95 Degree; TITLE OF ACADEMIC ACHIEVEMENT : encyclopedia britannica

96 Jean-Luc De Meulemeester Professeur à l'Université Libre de Bruxelles, openedition.org

Mais il n'y a pas que la licence. Dans notre XIIIe siècle, la communauté universitaire met progressivement en place ses propres critères. C'est ainsi que l'ancêtre du baccalauréat (avant la licence) a été instauré, et que la maîtrise ou le doctorat (après la licence) donnent eux aussi le droit d'enseigne

لم تكن الاجازة منفردة. في القرن الثالث عشر ، وضعت الجامعات معاييرها الخاصة تدريجياً. وهكذا تم اعتماد البكالوريا (قبل الاجازة) ، والماجستيرأو الدكتوراه (بعد الاجازة) وكل الشهادات تؤهل للتعليم.

97

The terms master, doctor, and professor were all equivalent. The degree of doctor of civil law was first awarded at the University of Bologna in the second half of the 12th century, and similar degrees came to be awarded in canon law, medicine, grammar, logic, and philosophy. At the University of Paris, however, the term "master" was more commonly used, and the English universities of Oxford and Cambridge adopted the Parisian system

درجات الماجستير،الدكتوراه والبروفيسور كانت متعادلة. تم منح درجة الدكتوراه في القانون المدني لأول مرة في جامعة بولونيا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وتم منح درجات مماثلة في القانون الكنسي ، والطب ، والنحو ، والمنطق ، والفلسفة. في جامعة باريس ، ومع ذلك ، اما مصطلح "الاستاذ"كان الأكثر شيوعا في الجامعات الإنجليزية كأكسفورد وكامبريدج التي اعتمدت النظام الباريسي.

98

97 Et si vous étiez étudiant... au Moyen Âge? Par Hugues Lefèvre Publié le 23/10/2015 Le Ficago etudiant.fr

98 Degree; TITLE OF ACADEMIC ACHIEVEMENT ; encyclopedia britannica

الانتقاء

اعتمد أسلوب الانتقاء منذ القرن 13 في الجامعة الباريسية، و الهدف منه كان التأكد من مدى أهلية المرشح واستعداده لنظام الدراسات الجامعية:

Pour en avoir une idée, suivons le cheminement d'un étudiant qui sera diplômé dans la Faculté des Arts à l'Université de Paris au XIIIème siècle :

Le premier examen était quelque chose qui s'apparentait au determinatio.Suite à cela, l'étudiant devenait Bachelier. Cependant, avant le determinatio, il y avait deux étapes préalables : dans la première, l'étudiant devait soutenir un débat avec son maître puis, en second lieu, il passait le baccalariandorum pendant lequel il répondait aux questions d'un jury de maîtres, pour prouver qu'il connaissait bien les éléments de son programme. Ensuite, l'étudiant devait donner une série de cours de façon à prouver, encore une fois, qu'il était apte à poursuivre son cheminement.

[99]

للحصول على فكرة عن مسار طالب يود التخرج من جامعة باريس خلال القرن الثالث عشر:

الامتحان الأول كان شيئًا مشابهًا "Determinatio" يصبح الطالب بموجبه على مستوى الباكلوريوس ، لكن قبل هذا كانت هناك خطوتان أوليتان: الأولى ، كان على الطالب أن يجتاز مناقشة مع معلمه ، وثانيا ، اجتياز الامتحان المؤهل "baccalariandorum" خلاله يطالب بالاجابة على أسئلة لجنة التحكيم التي تضم اساتذته ، لإثبات معرفته عناصر المقرر بشكل جيد. بعدها يقوم الطالب بتقديم دروس يثبت من خلالها أنه اهل لمواصلة المسيرة.

[99] Les étudiants dans les universités du Moyen-âge par Kareen Healey, l'Université du Québec .Montréal

الباكلوريوس

وكما أشرنا انفا فكلمة "باكالوريوس" لا تعدو كونها استنساخا للكلمة العربية "بحق الرواية"

The baccalaureate, or bachelor's degree, was originally simply a stage toward mastership and was awarded to a candidate who had studied the prescribed texts in the trivium (grammar, rhetoric, and logic) for three or four years and had successfully passed examinations held by his masters. The holder of the bachelor's degree had thus completed the first stage of academic life and was enabled to proceed with a course of study for the degree of master or doctor.

[100]

كانت شهادة البكالوريا ، أو درجة البكالوريوس ، في الأصل مجرد مرحلة في اتجاه الماجستير ، ومُنحت للمرشح الذي درس النصوص المقررة عليها في الفصل (قواعد اللغة ، والخطابة ، والمنطق) لمدة ثلاث أو أربع سنوات ، واجتاز بنجاح امتحانات التي عقدها اساتذاه. وبذلك يكون الحائز على درجة البكالوريوس قد أكمل المرحلة الأولى من الحياة الأكاديمية وتمكن من المضي للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه.

ظهرت درجة الباكالوريوس بعد مدة كدرجة ابتدائية للتعليم الجامعي تُنال بعد ثلاث او اربع سنوات وتخول المرور للدرجات الموالية.

L'examen du baccalauréat ne se constitua que tardivement et fut une imitation de celui de la maîtrise

[101]

اعتمد امتحان الباكلوريا متاخرا وكان مشابها لامتحان درجة التدريس

[100] Degree; TITLE OF ACADEMIC ACHIEVEMENT /encyclopedia britannica

[101] encyclopedie mundi

The scholar attended lectures and argued on set questions in the schools, the bachelor was a student-teacher who was seeking to obtain a license to teach in his own right.

يحضر الطالب في البكالوريوس محاضرات حول أسئلة محددة في المدارس ، وكانه طالب-معلم ا يسعى للحصول على ترخيص للتدريس كاستاذ معتمد.

102

الى هنا كانت الألقاب الجامعية متكافئة في جميع ربوع أوروبا، الى ان قررت المدرسة الفرنسية اعتماد امتحان الباكالوريا كنهاية للدراسات الثانوية، و تعويضها في مسار التدراسات العليا بالاجازة الجامعية.

Le bachelier possédait le grade universitaire le plus inférieur. C'était le terme qui désignait, un jeune homme ou un apprenti dans le métier de professeur. les bacheliers faisaient des cours ou des « suppléances », avant d'avoir obtenu aucun grade. Bachelor s'acquérait après cinq ou six années d'études. L'examen proprement dit du baccalauréat était, à partir du milieu du XIIIe siècle. A partir du XVIe siècle, le grade de bachelier ne subsista plus qu'en Angleterre.

كانت "البكالوريوس" أدنى درجة جامعية. و هو مرادف لشاب أو متدرب في مهنة التدريس. وقد كان خريجوا البكالوريوس يقومون بتقديم دروس اضافية حتى قبل الحصول على أي درجة. وتكتسب البكالوريوس بعد خمس أو ست سنوات من الدراسة. اما الامتحان الفعلي للبكالوريا فكان منتصف القرن الثالث عشر. وابتداءا من القرن السادس عشر حصرت درجة البكالوريوس في إنجلترا فقط.

103

History of Academic Degrees /academicapparel.com 102

Fabienne ROUSSET these psychologie sociale univ TOULOUSE 103

La première promotion à passer le baccalauréat est celle de 1809, composée de 31 bacheliers issus de la bourjoisie

سنة 1809 جرى اول امتحان للباكالوريا اختبر فيه 31 تلميذا جلهم من الطبقات البورجوازية

[104]

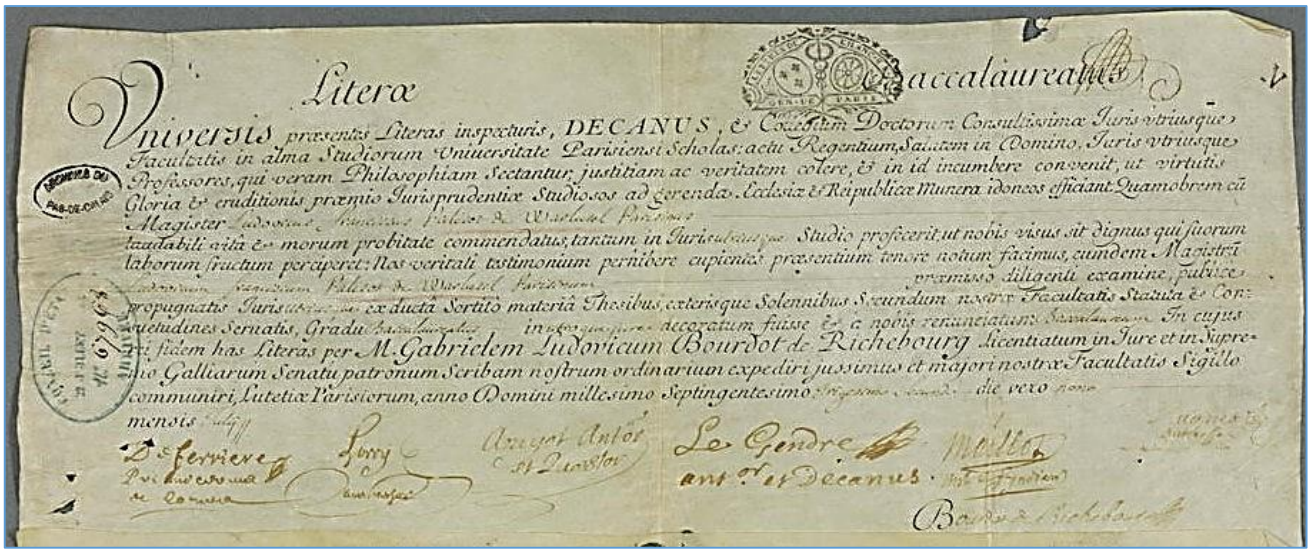
Litera
Baccalaureatus
Universis praesentes Literas inspecturis, DECANUS, & Coetum Doctorum Consultissimæ Juris utriusque Facultatis in alma Studiorum Universitate Parisiensi Scholas: actu Regentium, Salutem in Domino. Juris utriusque Professores, qui veram Philosophiam Sectantur, justitiam ac veritatem colere, & in id incumbere convenit, ut virtutis Gloria & eruditionis præmio Jurisprudentiæ Studiosos ad gerendæ Ecclesiæ & Reipublicæ Munera idoneos efficiant. Quamobrem cū Magister [illegible] Studio profecerit, ut nobis visus sit dignus qui suorum laudabili vita & morum probitate commendatus, tantum in Jurisprudentia Studio profecerit, ut nobis visus sit dignus qui suorum laborum fructum perciperet: Nos veritati testimonium perhibere cupientes præsentium tenore notum facimus, eumdem Magistrum [illegible] præmissis diligenti examine, publice propugnatis Juris [illegible] ex ducta Sortitio materia Thesibus, exteris que Solennibus Secundum nostræ Facultatis Statuta & Consuetudines Senatis, Gradu Baccalaureatus [illegible] in [illegible] decoratum fuisse & a nobis renunciatum. In cujus rei fidem has Literas per M. Gabrielem Ludovicum Bourdot de Richebourg licentiatum in Jure et in Supremo Galliarum Senatu patronum Scribam nostrum ordinarium expediri jussimus et majori nostræ Facultatis Sigillo communiri, Lutetiæ Parisiorum, anno Domini millesimo Septingentesimo [illegible] die vero [illegible] menois [illegible]
Le Gendre ant.s et Decanus.

الوثيقة 1 : شهادة باكالوريا 1732[105]

UNIVERSITÉ DE FRANCE.
Diplôme de Bachelier ès Lettres.
AU NOM DU ROI.

الوثيقة 2: شهادة باكالوريا 1853 [106]

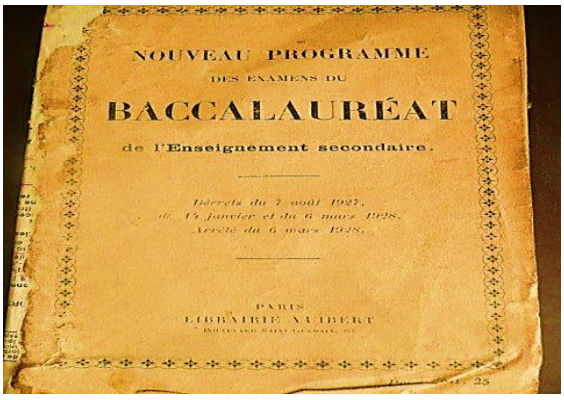
NOUVEAU PROGRAMME
DES EXAMENS DU
BACCALAURÉAT
de l'Enseignement secondaire.
Décrets du 7 août 1927,
du 11 janvier et du 6 mars 1928.
Arrêté du 6 mars 1928.
PARIS
LIBRAIRIE ALBERT

الوثيقة 3: شهادة باكالوريا 1928 [107]

2011 Pas-de-Calais le Département / Archives départementales [104]
Le baccalauréat à travers les siècles, archivespasdecalais.fr [105]
Baccalauréat Es Lettres Du Célèbre Auteur De Pièces De Théâtre Eugène Labiche, picclick.fr [106]
l histoire au baccalaureat : fr.shopping.rakuten.com [107]

الاجازة

هذه المرة سنناقش مصطلح "الاجازة" باعتبارها درجا في السلم الجامعي بعدما كانت مرادفة للشهادة التعليمية بل وأصلا لها.

La licence est, en réalité, le grade universitaire le plus ancien... certificats d'aptitude (licentia docendi).Et au lieu de cette simple autorisation, les universités conférèrent, à partir de la seconde moitié du XIIIe siècle, une licence qui comporta le droit exclusif, garanti par l'autorité d'enseigner dans les universités de tout pays (jus ubique docendi).

الاجازة، أقدم شهادة جامعية ...تعادل شهاداة الكفاءة (LICENTIA DOCENDI). وبدلاً من هذا الترخيص البسيط ، منحت الجامعات في النصف الثاني من القرن الثالث عشر شهادة الاجازة تشمل الحق المضمون من قبل السلطة للتعليم في جامعات كل بلد

108

Pour ce qui est des diplômes, en 1179, le Concile de Latran III a mis en place la «licence d'enseigner». C'est un grade conféré par les évêques. Comme l'Église est présente partout en Occident, ce certificat garantit l'universalité du niveau de l'enseignement.

في موضوع الدبلومات ، وفي سنة 1179 ، أُنشأت"اجازة التدريس". كشهادة يمنحها الأساقفة تضمن عالمية المستوى التعليمي . خصوصا أن سلطة الكنيسة كانت في كل زاوية.

109

---

108 Les universités au Moyen âge: encyclopedie mundi

109 Et si vous étiez étudiant... au Moyen Âge Par Hugues Lefèvre Publié le 23/10/2015 Le Ficago etudiant.fr

La licence (*licentia docendi*) était obtenue après 6 à 8 ans d'études au sein de l'université. Il s'agissait théoriquement du seul diplôme reconnu par la société civile et attestait que son titulaire maîtrisait suffisamment les savoirs de la faculté pour exercer un métier

تنال الاجازة (licentia docendi) بعد ست إلى ثمان سنوات من الدراسة في الجامعة. لقد كانت الدبلوم الوحيد المعترف به من قبل المجتمع المدني كوثيقة تثبت أن صاحبها لديه معرفة كافية لممارسة المهنة

[110]

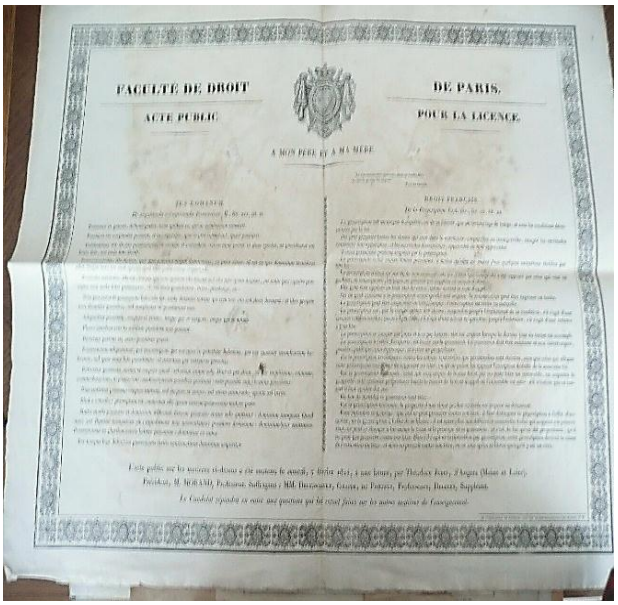

شهادة ليسانس 1824 [112]

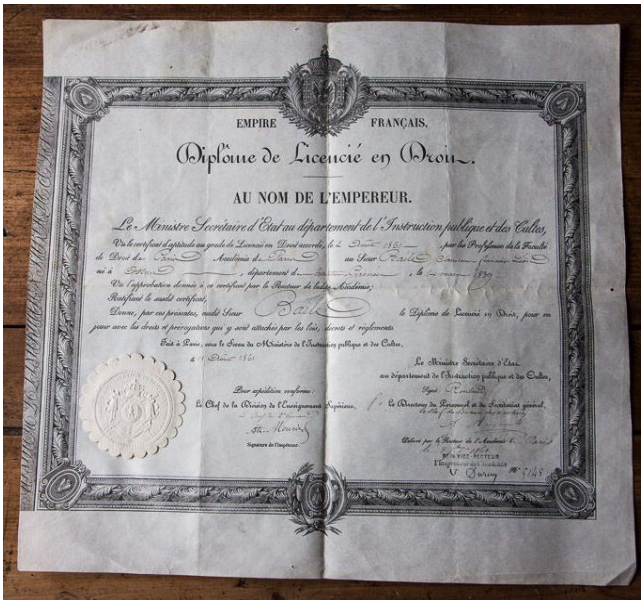

شهادة ليسانس 1861 [111]

VU DU MOYEN ÂGE : L'UNIVERSITÉ, LA PLUS MÉDIÉVALE DES INSTITUTIONS http://lettres.sorbonne-universite.fr [110]

Parchemin ancien vélin diplôme de licence de droit 1861 timbre à sec Pau, /picclick.fr [111]

Diplome Faculte De Droit De Paris Acte Public Pour Licence Theodore Jubin 1824/ https://www.ebay.fr [112]

الماستر

THE MASTERSHIP WAS THE HIGHEST GRADE IN ANY FACULTY, AND CARRIED WITH IT THE OBLIGATION TO LECTURE IN THE UNIVERSITY FOR TWO YEARS AFTER INCEPTION

كانت درجة الماجستير أعلى مرتبة في أي كلية ، وحملت معها واجب إلقاء محاضرة في الجامعة لمدة عامين بعد التعيين.

[113]

Le grade de maître (magister) indiquait un membre titulaire de l'Université en tant que corporation, qu'il appartint au personnel enseignant ou non. Le maître ès arts devait être âgé d'au moins vingt ans (Bologne, Paris, etc.). On ne pouvait recevoir le grade de maître qu'au moins six mois après avoir obtenu la licence. On ne devenait maître qu'après six années d'études (Paris), au XIIIe siècle, et après trois années seulement, depuis la fin du XIVe siècle. A Oxford, l'examen était remplacé par un serment du candidat sur la réalité de ses études et l'attestation de quatorze professeurs dans le même sens. *Mundi encyclopedie*

كانت تعطى درجة الماجستير لخريج الجامعة في اطار شراكة ، سواء كان ينتمي أم لا إلى هيئة التدريس. كما ان سن " الاستاذ" يجب ان لا يقل على عشرين سنة (بولونيا ، باريس). ولا يمكن الحصول على درجة الماجستير إلا بعد ستة أشهر على الأقل من الحصول على الاجازة. في القرن الثالث عشر يصبح الطالب" ماستر" بعد ست سنوات من الدراسة في باريس ، ومنذ نهاية القرن الرابع عشر يتأتاها بعد ثلاث سنوات فقط .وفي أكسفورد ، تم استبدال الامتحان بقسم المرشحين على حقيقة دراستهم وشهادة أربعة عشر

The Master of Arts is an academic rank with a considerable pedigree, going back to the great universities of medieval Europe. Originally, *Magister* was the title conferred upon university graduates when they began to teach. Later it became a distinct degree, typically awarded "in course" to recipients of a baccalaureate degree who were able to maintain a respectable lifestyle (i.e., "keep ... out of jail for three years") and willing to pay a token fee. It remained that way for centuries. The idea of an earned master's degree, signifying advanced study in a particular academic discipline, is thus relatively new, it dates from no earlier than the 1870s.

درجة الماجستير هي مرتبة أكاديمية مقتدرة ، استعملت في الجامعات العظيمة في أوروبا ابان العصور الوسطى . في الأصل، الماجستر هو اللقب الذي يمنح للخريجين المصرح لهم بالتدريس. وفي وقت لاحق أصبح درجة خاصة. وجرت العادة تمنح للحاصلين على شهادة البكالوريا الذين تمكنوا من الحفاظ على نمط حياة محترم أي "ابقوا خارج السجن لمدة ثلاث سنوات" وعلى استعداد لدفع رسوم رمزية . وظلت على هذا النحو لعدة قرون. وبالتالي فإن فكرة الحصول على درجة الماجستير المكتسبة ، والتي تعني الدراسة المتقدمة في تخصص أكاديمي معين ، هي فكرة جديدة نسبياً. في هذا البلد ، يعود تاريخه إلى ما قبل

[114]

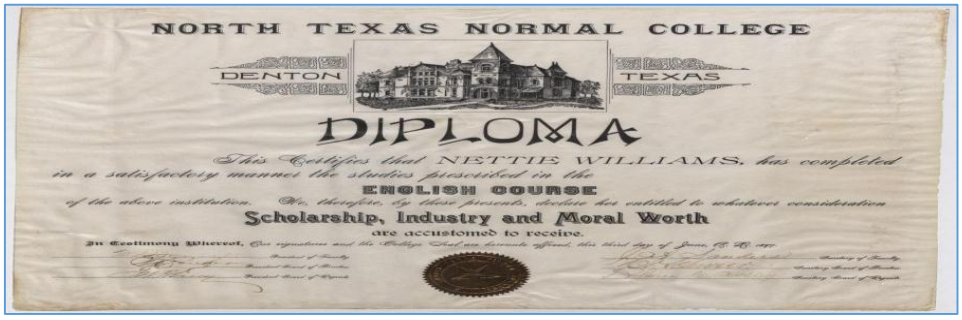
NORTH TEXAS NORMAL COLLEGE
DENTON TEXAS
DIPLOMA
This Certifies that NETTIE WILLIAMS, has completed in a satisfactory manner the studies prescribed in the
ENGLISH COURSE
of the above institution.
Scholarship, Industry and Moral Worth
are accustomed to receive.

شهادة تمكن من اللغة الإنجليزية 1897 [115]

American Historical Association BRIEF HISTORY OF THE MASTER'S DEGREE: historians.org [114]

Williams, Nettie. Personal English Diploma from North Texas Normal College. Denton, 1897. exhibits.library.unt.edu [115]

الدكتوراه

في بدايات تداول الألقاب الجامعية، كان هناك تكافؤ بين شهادة الدكتوراه الماستر..

'Doctor', like 'Master' and 'Professor', originally meant no more than 'teacher' or 'learned man'.All three terms were thus at first synonymous, but during the fourteenth century the title 'Doctor' began, particularly in southern Europe, to be used instead of 'Master' for the chief degree in the Faculties of Canon Law, Civil Law, and Medicine, but not in those of Theology and Arts.Masters of Theology later became known as doctors except in France where as late as 1584 they were still called masters.

"دكتور" "ماستر" و "بروفسور" ، لم تكن تعني في الأصل أكثر من "معلم" أو "رجل متعلم". وهكذا ، ولكن خلال القرن الرابع عشر كان لقب"دكتور" خاصة في جنوب أوروبا ، يتداول بدل "ماستر" كدرجة مرموقة بكلية الحقوق ، القانون المدني ، والطب ، لكن ليس في علم اللاهوت والفنون. ثم ادمج اللقب في كل العلوم ،وتاخر في فرنسا حتى عام 1584

[116]

UNIVERSITÉ IMPÉRIALE.

DIPLÔME DE *Docteur ès Sciences*

AU NOM DE NAPOLÉON, EMPEREUR DES FRANÇAIS, ROI D'ITALIE, ET PROTECTEUR DE LA CONFÉDÉRATION DU RHIN.

NOUS LOUIS DE FONTANES, Grand-Maître de l'Université Impériale, Comte de l'Empire;

Vu l'article XI du Décret du 17 Septembre 1808 qui accorde aux Facultés de l'Université, dans les Nominations émanant de Sa Majesté, le Diplôme au Grade correspondant aux fonctions auxquelles le nommé avait été présenté;

Vu la délibération du Conseil de l'Université Impériale en date du 15 Mai 1809 portant que les Actes à soutenir pour mériter le Grade de Docteur ès Sciences auront lieu chacun à tour d'emploi;

Vu la liste approuvée par Sa Majesté le 12 Décembre 1809, portant nomination de M. Poulin (Nicolas-Rémi) au dit Grade, Décret qui ordonne de plus que le Récipiendaire sera tenu de soutenir sa Thèse devant la Faculté des Mathématiques;

Vu aussi les pièces qui ont successivement établi à l'appui des Mathématiques;

DONNONS, par ces présentes, audit sieur *Poulin*, le Diplôme de *Docteur ès Sciences* pour en jouir avec les droits et prérogatives qui y sont attachés par les lois, décrets et réglements, tant dans l'ordre civil que dans l'ordre des fonctions de l'Université.

Fait au chef-lieu, et sous le Sceau de l'Université, à Paris, le 23 Mars 1810

LE CHANCELIER, *Villaret*

LE GRAND-MAITRE, *Fontanes*

PAR SON EXCELLENCE LE GRAND-MAITRE, *Le Secrétaire général, Marcille*

شهادة دكتوراة 1810 [117]

[116] The History of Academical Dress in EuropeBy Hargreaves-Mawdsley, W. N.Oxford University Press 1963

[117] wikipedia.org شهادة الدكتوراة

لكن سرعان ما تمايزت هذه الدرجات وتصدرت الدكتوراه السلم الاكاديمي.

Le doctorat était le grade suprême. Les docteurs formaient le personnel dirigeant de l'Université. Le docteur recevait un anneau, usage qui s'est conservé dans l'Université de Bologne; en Espagne, il recevait quelquefois une épée, en signe d'investiture. A Bologne, il fallait dix ans pour devenir docteur en droit civil et en droit canonique (doctor utriusque juris). Pour la théologie, il fallait douze ans. Les professeurs qui avaient le grade de docteur se dispensaient souvent de faire leurs cours personnellement et se faisaient suppléer par des bacheliers, usage qui a persisté après le Moyen âge dans les universités anglaises. *Mundi encyclopedie*

كانت الدكتوراه هي أعلى درجة. حيث كان الدكاترة هم المكلفون بتدريب موظفي الجامعة. في جامعة بولونيا تستغرق الدراسة عشر سنوات في القانون المدني والقانون الكنسي.اما بالنسبة إلى اللاهوت فتستغرق اثني عشر عامًا ثم يحصل الدكتور على خاتم ، وهو تقليد محفوظ للجامعة.اما في إسبانيا فقد يحصل على سيف ، كعلامة على تنصيبه. الأساتذة الدكاترة غالباً ما كانوا يستغنون عن فصولهم شخصياً فيعوضهم متعلمي الباكالوريا ، وهي ممارسة استمرت بعد العصور الوسطى في الجامعات الإنجليزية.

شهادة دكتوراة 1617 [118]

[118] Doctoral Diploma in Law from the University of Valence /France, Valence, 20 June 1617 .textmanuscripts.com

اما عن امتحان الدكتوراه:

Au XVIe siècle, ils(Docteur) étaient évaluéspar environ 880 livres pour celui de docteur en médecine et 1000 livres pour celui de docteur en théologie.

في القرن السادس عشر ، كان تقييم الدكاترة بحوالي 880 كتابا للطبيب و 1000 كتاب للدكتور في

[119]

L'examen du doctorat (promotio) était pas difficile. Il se développa surtout à partir de la fin du Moyen âge. Une commission de docteurs de l'Université, au nombre de douze environ, faisait passer cet examen, au XVe siècle. Le candidat était investi du grade de docteur au moyen du bonnet doctoral et d'un livre, symbole de sa profession, qui lui était remis par le chancelier.

لم يكن امتحان الدكتوراه بالصعب. لقد تطور بشكل خاص مع نهاية العصور الوسطى. حيث كانت تقوم لجنة من دكاترة الجامعة - والتي كان هناك حوالي اثني عشرعضوا - بالاشراف عليه . وفي القرن الخامس عشر ينال المرشح بدرجة الدكتوراه خلال مراسم تنصيبه بدلة الطبيب و كتاب رمزا لمهنته .

[120]

[119] Les universités au Moyen âge: Mundi encyclopedie

[120] IBID

7. تاريخ الاجازة في الحقبة الاستعمارية

اذا ما اردنا وصف حال التعليم في الأقطار العربية - في فترة ما بعد الخلافة العثمانية وقبيل العهد الاستعماري - فأقل ما نصفه به انه كان تعليما تقليديا محضا. فالمدارس القديمة كانت أقرب إلى مجالس العلم المصغّرة منها الى صرح تعليمي مهيكل، واعتمدت أساسا على أسلوب التلقين من المعلم، وعلى الطلاب التقيّد بفهم وحفظ ما يميله عليهم. ففي تلك الفترة لم تسطر مناهج ثابتة يُعتمد عليها في شرح الدروس، ولم يكن المدرس محتاجا للحصول على شهادات متخصصة في إحدى الشعب، بل كان من الممكن أن يعمل في التعليم، كل شخص يتقن تدريس الطلاب بأسلوب مناسب.

وفي المقابل؛ كانت الضفة الشمالية تقوي تلك النزعة بالقومية الأوروبية من خلال ما سمي بالدولة الوطنية l'état nation ، ويظهر ذلك جليا في جعل اللغة اللاتينية لغة المعرفة التي وجب على كل فرد تعلمها، كما نصت الجامعات الأوروبية على عدم إجازة من كانت لاتينيته غير سليمة :

> *« Le latin était la seule langue dans laquelle se faisaient les cours.Il faisait figure de langue universelle dans le monde occidental, quand toute autre langue et culture était considérée comme l'apanage des peuples Barbares. »* Yann, superprof , publié le 09/04/2018

نقيض تلك السياسة؛ هي التي اعتمدتها الأجندة الاستعمارية سياسة الإقصاء وحرمان أبناء الوطن من الحق التعليمي. لكن سرعان ما استُبدِلت هذه الخطة السلبية، لأن المستعمرين وجدوا أنفسهم في حاجة للاستعانة بأهل البلاد لاستغلال المرافق الاقتصادية والثروات الطبيعية، ولذلك أخذوا يؤسسون معاهد لتعليمهم وإعدادهم لتلك الأعمال، تعليم نعم لكن مفتقر لأي تثقيف او شهادة.

لكن برز توجه أخر عنوانه " الفتح السياسي بالفتح الثقافي"، وكانت الغاية منه ادماج الأهالي مع المستعمرين، وبداية هذا الغزو الثقافي كان طبعا قصفا مباشرا للهوية والوطنية، أولا بطمس العربية الفصحى ونشر لغة المستعمر، وثانياً بتلقين الأهالي تعليماً ينشئ في نفوسهم حب الثقافة والعادات الاستعمارية فيستسلمون عن طواعية.

"إن اللُّغة الفَرنسية هي أكثر من لُغة للتدريس - بالمعنى البيداغوجي - إنها أيديولوجية تعمل على ربط المغاربة بفرنسا وبتاريخها العظيم ، إنها سلاح المعركة إذًا، ولربح الرهان لا بد من حسن استعمال هذا السلاح، حتى ولو تطلَّب الأمر اقتلاع الشعوب والأمم من امتدادها الحضاري، والرمي بها في مزابل التاريخ؛ إن الغاية تبرر الوسيلة؛ حسب جورج هاردي."[121]

وارتباطا؛ ظهرت النخبة العصرية التي تلقت تعليمها بالمدارس الأوروبية، فئة مؤطرة بقوالب الثقافة الاستعمارية، معجبة بالغرب وثقافته وأساليبه، مؤهلة اجتماعيا وثقافيا، وذات شهادات تخولها تولي المسؤوليات غداة الاستقلال، والعمل على استمرار الوضع القائم وتنميته على أساس النموذج الفرنسي.

ومن هنا يتضح أن التعليم الاستعماري أسس نمطين فكريين متنافرين إلى حد بعيد:

- الأول :إسلامي وتقليدي بدون شهادات
- الثاني: علماني حداثي مهيكل يختتم بتسليم شهادات تعليمية.

[121] إدريس الجنادري، الفرنكوفونية أيديولوجية استعمارية بغطاء ثقافي ولُغوي alukah.net

لكن وعلى الرغم من محولات طمس الهوية والتعتيم على رواد الحركة العلمية المغربية، الا ان علماء المغاربة؛ سواء منهم رواد العلوم النقلية او العقلية، قد راعوْا تقليد الاجازات العلمية وخَصُّوها بمكانة سامية ، فما فتئوا يتداولونها؛ يجيزون ويجازون في مختلف الميادين، ولنا عودة للموضوع في تاريخ الاجازة المغربية في الطب.

8. الإجازات المعاصرة

وهكذا تطور مفهوم الإجازة من صورته المقتصرة على الإذن برواية بعض الأخبار إلى كونها شهادة معتمدة من جهة ذات مصداقية في علم من العلوم ، تظهر قدرة حاملها على الأداء العلمي المتقن في مجال تخصصه. ثم تطورت الشهادات (الاجازات) في عصرنا الراهن إلى أنواع عدة بحسب تخصصاتها والجهات المشرفة عليها والسنوات المبذولة فيها والمستويات المندرجة تحتها وغير ذلك من الاعتبارات.

وصارت الاجازة التقنية **دبلوما** يخول الانخراط في سوق العمل،

والاجازة الاكاديمية عبارة عن سلسلة مراحل دراسية تستطيع التوقف بعد أي منها والاكتفاء بشهادة المرحلة التي وصلت إليها:

البكالوريوس أو الليسانس وهي مرحلة الدراسة الأكاديمية العامة، وفيها يحصل الطالب على الإجازة الجامعية في أحد المجالات بشكل عام.

الماجستير أو الماستر وهو الدراسة العليا الأولى المعترفة عالمياً، ويحصل عليها الطالب بعد الاجازة. تختلف مدتها حسب الجامعة والدولة والبرنامج ونمط الدراسة والتفرغ. تختتم بإجراء امتحانات نهائية وتقديم أطروحة البحث.

الدكتوراه وهي أعلى شهادة علمية أكاديمية معيارية يمكن الحصول عليها، وتتضمن دراسات بحثية دقيقة غالباً وتنتهي بمناقشة رسالة البحث

ثم وفي بداية القرن الحالي؛ ظهر نظام **ل م د** كسُلم شهادات جامعية مهيكل وموحد بين جل الدول الأوروبية يهدف الى جعل المنهجية التعليمية الجامعية اكثر سلاسة وذات قابلية اكثر للتبادل المعرفي.

L'article 15 de la «Déclaration mondiale sur l'enseignement supérieur pour le XXIe siècle» stipule qu'il faut « partager les connaissances et les savoir-faire à travers les frontières et les continents par «J'harmonisation des connaissances, compétences et aptitudes des diplômes».

122

Le LMD ou processus de Bologne naît d'un engagement intergouvernemental des pays de l'Union Européenne visant à construire un espace européen de l'enseignement supérieur avant 2010. Il ne s'agit pas de mettre en place un système universitaire unique, mais bien de placer les systèmes nationaux diversifiés dans un cadre commun reposant sur trois cursus : Licence, Master et Doctorat (LMD).

123

122 CONFERENCE MONDIALE SUR L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR, unesco.org

123 LES ENJEUX DE LA REFORME LMD EN FRANCE Annales de l'Université Marien NGOUABI, 2010

المبحث الثاني

الاجازة ضمن الأعراف الطبية

1. الامتحان في الطب

2. الحسبة في الطب

3. الاطروحة في الطب

4. القسم الطبي

5 . الاجازة في الطب

تقديم

بعد محورنا الأول الذي تعرفنا خلاله على مصطلح الاجازة: تعريفها، أنواعها، مضمونها وتاريخها، يأتي محورنا الثاني ليطلعنا على مفهوم الاجازة في ثوبه الطبي، في محور بعنوان ***"الاجازة في الطب"***

سيكون الطب اذن هو مجال بحثنا في هذا الجزء الثاني، لكن ونظرا لشساعة المجال الذي اتخذ صحة الانسان محورا له؛ نُذَكر ان دراستنا هذه لا تطمح الشمولية بقدر ما ترمو تيسسير الاطلاع -ولو على الجزء البسيط - من محطات علم الطب ومهنته التي تجاوزت العلاقة القائمة في مختلف الحرف بين عارض وطالب وموضوع قد يكون خدمة او سلعة...

لقد تجاوزت مهنة الطبيب ذلك بكثير؛ لتكون صحة الانسان موضوعا لها، ليكون رأسمالها تلك العلاقة الثمينة بين فاقد جزء من عافيته من جهة؛ والمتسبب في استردادها من جهة أخرى. مهنة تعامل الروح البشرية داخل جسم متعدد الأعضاء، كثير التفاصيل ولكل جزء أمراض وعلل متعددة، ولكل مرض أسباب وفرضيات نشوء مختلفة واقتراحات علاج متنوعة. خصائص تتيح لنا التأكيد على ان لا مكان لتلقين درس طبي نظري مجرد، وان لا حاجة لتعلم تشريح او دراسة أعراض وأمراض خارج نطاق المشاهدة والمعاينة الحية والتتبع الدؤوب. انه ليس منطقا ولا علما نقليا، انه علمُ جسمٍ متحرك، متغير، متعرض لاختلالات لا تقل تنوعا. علم تقتضي الكفاءة فيه معرفة المريض ابتداءا، ثم المرض والبحث في مسبباته والسعي لإبرائه، محترمين اختيارات المعني وقدراته، مستحضرين صحة نفسيته كجوهر الموضوع ... انه الطب.

الطب اشرف خدمة لبني الورى ولكم بها اضحى السقيم سليما

ليس العلاج سوى مظاهر حكمة ولذلك قد سمي الطبيب حكيما

الأعراف الخاصة بالمهنة الطبية

في هذا العنوان سنعرج على موضوع لا يقل أهمية في تأطير المادة الطبية ضمانا لجودة تكوين طالبها وتحققا من كفاءة ممارسها، موضوع نناقش عبره ملامح تطور بعض أعراف تدريس وممارسة المهنة الطبية؛ اعراف سنها الاسلاف الذين بلغت الحكمة منهم ان ساهموا في بناء **"صرح الطبيب"** على أساس من القيم الإنسانية ابتداءا، ثم بذل الجهد في ارتقاء الصرح وضمان أهليته العلمية عبر أعراف بديعة ترمو التقويم والتقييم.

سنتعرف اذن تلك الأعراف عبر إجابات عن أسئلة تبحث متى اعتمد الامتحان في منهج الدراسات الطبية؟ كيف جعلت مراقبة عمل الأطباء من مسؤوليات الدولة عبر نظام الحسبة؟ كيف أدرج نظام الاطروحة في مسار الدراسات الطبية؟ ما دور القسم الطبي المعنوي الحسي في ملامسة الجانب الخاص بأخلاقيات الطبيب؟ وما تاريخ الاجازات في الطب كرخصة لمزاولة الصنعة، وما سياق اعتمادها؟

1. الامتحان في الطب

أ. مقدمة

ولما ان كانت المهنة الطبية مرادفة لحفظ حياة الانسان وصيانة صحته؛ ظهرت – ومنذ التاريخ القديم - تشريعات وتنظيمات مهيكلة لمزاولة هذه المهنة الإنسانية وضامنة لتحقيق غاياتها؛ غايات تتمحور أساسا حول حسن اعداد الموارد البشرية المتمثلة في الأطباء؛ معلوماتهم النظرية، كفاءتهم المهنية وحسن سمتهم

من اقدم تلك التشريعات نذكر قانون حمورابي البابلي ومدونة مانو الهندي وتوصيات الألواح الاثني عشر الرومانية، تشريعات كان من بين بنودها تلك الخاصة بتأطير ذوي المهن الطبية، تأطير نهج ما يمكن ان نسميه سياسة الترغيب في الكفاءة والترهيب من الزلة، فكانت تنزل أقصى العقوبات على الأطباء في حال وقوع الخطأ وتقاضيهم اجورا مضاعفة اذا ما اتقنوا مهمتهم. وذلك لئلا يتعاطى للطب الا من يرى في نفسه الاهلية والقدرة.

وفي الحضارة اليونانية؛ كانت أهلية مزاول الطب مرتبطة أساسا بأهلية معلمه، وكأن لسان حالهم يقول " قل لي من علمك، اقل لك من انت"، وفي عهد أبقراط؛ لم يكن يحتم على من يريد ممارسة الطب أن يُقدم امتحانا عاما، ولكنه كان مطالبا بتقديم أدلة على أنه قد تمرَّن أو تتلمذ على طبيب مُعترَف به.[124] ثم تطورت الأمور الى فرض أداء قسم كميثاق شرف للمهنة الطبية، انه قسم ابقراط الذي ما يزال متداولا الى يومنا هذا، والذي سنخصص له فقرة قادمة خاصة.

[124] قصة الحضارة - ول ديورانت - م 2 ك 3 ب 15

ثم تبلور الاختبار في الطب ابان الحضارة الرومانية ليصبح عمليا حسب ما ينقله أبو صبيعة في مؤلفه الأنباء في طبقات الاطباء عن علامة زمانه جالينوس: يقول جالينوس فِي كِتَابه محنة الطَّبِيب الْفَاضِل: "فَلَمَّا أَن سُئِلَ ذَلِك الرجل عَن طَرِيق المحنة الَّتِي امتحنني بهَا حَتَّى وثق بِي فولاني أَمرهم، قَالَ إِنِّي رَأَيْت الْأَيَّام الَّتِي أفناها هَذَا الرجل (جالينوس) فِي التَّعْلِيم أَكثر من الْأَيَّام الَّتِي أفناها غَيره من مَشَايِخ الْأَطِبَّاء فِي تعلم هَذَا الْعلم".. ويسترسل:" وَإِنَّمَا قلت هَذَا لأدل كَيفَ يقدر الممتحن أَن يمْتَحن ويميز بَين الطَّبِيب الماهر وَبَين غَيره قبل أَن يجرب قَوْله وَعلمه فِي المرضى." [125]

اما في الحضارة العربية الإسلامية، فقد استعمل مبدا الامتحان في الطب ابتداءا من اجل التأكد من معارف المزاولين وعزل الدجالين والمتطفلين على الميدان، وبعد ذلك اعتمد لتسطير نهاية الدراسات الطبية؛ اختبارا من المعلم لتلميذه، على غرار الامتحانات السريرية الحديثة. هذه البادرة الإسلامية في سن الامتحان في الطب كوسيلة للحصول على الاجازة كانت في عهد الذروة العلمية المتزامنة والعهد العباسي. وفيما يلي تحليل لسياق فرض امتحان الأطباء ونماذج للاختبارات المقترحة آنذاك.

[125] ابي صبيعة الانباء في طبقات الأطباء ص 121

ب. ظروف فرض الامتحان

يحكي لنا الحكيم الرازي بعضا من جوانب ذلك الطب الروحاني: "إن مخاريق هؤلاء كثيرة، يضيق عن ذكرها كتابنا هذا بأسره، جرأتهم واستحلالهم تعذيب الناس باطلا في الغاية التي لا وراءها غاية، فمنهم من يزعم أنه يبرئ من الصرع بأن يشق وسط الرأس شقا، ثم يخرج أشياء قد أعدها معه، يوهم بخفته و تمويهه أنه أخرجها من ذلك الشق. وإنما تخفى على العقلاء إذا استرسلوا في أيديهم و تهاونوا ولم يظنوا بهم سوءاً ولم يتهموهم، فأما إذا استقصى تفقدهم بأعين كثيرة متهمة لهم، ظهر كذبهم و بان باطلهم."[126]

اما عن الطب العلمي في أول عهد الدولة الإسلامية؛ فقد كان يكتفي المتطبب بالتعلم على أي طبيب من النابهين في عصره، حتى إذا وجد في نفسه القدرة على مزاولة المهنة باشرها بدون قيد أو شرط[127] . هذه الحرية لم تعد سارية المفعول زمن ولاية الخليفة العباسي المقتدر بالله (295 - 320ه/ 907 - 932م)، اذ كانت حادثة موت مريض اثر خطا من احد المتطببين نقطة انعطاف منحى الممارسة الطبية؛ استلزم معها منع الخليفة المذكور سائر الأطباء من التصرف إلا بعد اجتيازهم لامتحان يقيم كفاءاتهم ويميز المدعي من الجذير، وذلك بإشراف من رئيس الأطباء.

"ذكر ابن أبي أُصَيْبعة أن الخليفة العباسي المقتدر بالله أوكل في عام (319ه/ 931م) إلى الطبيب "سنان بن ثابت بن سنان بن قرة الحراني البغدادي" امتحان المتطبِّبين في بغداد، وحدَّد لكلِّ واحد منهم ما يصلح له، وما يمكن أن يتصدى له، وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة ونيفًا وستين رجلًا، سوى مَن استُغني عن محنته (امتحانه) باشتهاره بالتقدُّم في صناعته، وسوى مَن كان في خدمة السلطان[128]."

---

[126] أ.ز. اسكندر في مقاله الرازي و محنة الطبيب، مجلة المشرق عدد 54

[127] شرف الطب في التراث العربي/ الدكتور محمد ياسر زكور

[128] د/ طه عبدالمقصود: الحضارة الإسلامية، ص (216، 217)

ج. امتحان الأطباء

وهكذا اصبح الامتحان منهجا معتمدا لاجازة مباشرة الممارسة الطبية، يقول الطبيب إسحاق الرهاوي - وهو من أطباء القرن الرابع الهجري - حول امتحان الأطباء: "فاني قائل في محنة الطبيب انها واجبة لأسباب أقدمها شرف موضوع صناعة الطب...الانسان. كذلك فان الغلط من الطبيب اذا وقع بالانسان كان اعظم كثيرا من أغلاط اصحاب الصنائع الأخرى. فلذلك وجب تمييز الأطباء بالمحنه وانتقادهم بالنظر والبحث ليظهر فضل الأفاضل فتسلم اليهم النفوس، ويظهر جهل المدعين لها فيحذر منهم."[129]

ويضيف الحكيم الرهاوي:" ومن الأسباب الموجبة لمحنة الطبيب صعوبة الصناعة وطولها، فلاشتباك أصولها وفروعها بعضها بعض؛ اتسعت الأقاويل فيها واستصعب دركها خاصة على اهل الكسل...فلذلك يجب ان يفتش عمن ادعاها لينظر هل هو من اهلها بالحقيقة وانه قد افنى زمانه في درس كتبها وفي صحبة أهلها وفي خدمة المرضى وانه عاني من امرها ما يستحق."[130]

منهج الامتحان هذا وجد موطأ قدم له في المستشفيات التعليمية (البيمارستانات) التي توفرت على قاعة كبيرة للمحاضرات والدرس وامتحان الأطباء الجدد. "كان الاستاذ يرافق تلامذته في مراحلهم الطبية، فيعلمهم، ويدوّن ملاحظاته، ويصف العلاج، وهم يراقبون ويتعلمون، ثم يشرح الأستاذ ويوضّح ويجيب عن أسئلتهم. بل إنه يعقد لهم امتحانًا في نهاية كل برنامج تعليمي معين ينتهون من دراسته، ومن ثم يعطيهم إجازة في الفرع الذي تخصصوا فيه".[131]

---

[129] إسحاق بن علي الرهاوي ،الباب السادس عشر، كتاب ادب الطبيب ص 180

[130] نفسه

[131] راغب السرجاني /قصة العلوم الطبية فى الحضارة الإسلامية ص 78

د. نماذج الامتحان

حول منهج رواد الحضارة الاسلامية في امتحان ممارس الطب المتبع بدايةً، نورد ما يلي: " كان فرض اجتياز امتحان على ممارسي مهنة الطب أحد الحلول الناجعة للمشاكل الناجمة عن عدم احترام المعايير العلمية والأخلاقية للمهنة. وقد كان بين أيدي حكماء القرون الوسطى الترجمات العربية لقواعد الامتحان التي صاغها جالينوس، فاتخذوها نموذجا، ثم غيروها وعدلوها لتصبح ملائمة لعصرهم."[132]

وفي هذا الاطار سنعتمد على "أدب الطبيب" الكتاب الذي لم يقصر مؤلفه الحكيم "الرهاوي" في تفسير الحيثيات والمقاربات العامة للامتحانات الطبية، فيقول: "لقد الف جالينوس وغيره في محنة للأطباء كتبا، وقد كتبت فيها اثنتي عشرة رسالة، حتى ننظر بما ينبغي أن يُمتحن المدعي لصناعة الطب. ذلك ان الطبيب لا يسعه جهل الاساس، وقد صنف الفاضل جالينوس في كتاب عَنوَنَه "فرق الأطباء"، وجعله أول ما يقرأ من كتبه. ثم اذا وقع الجواب منه بتحصيل راي فرقة من الفرق - ذلك ان هذه الصناعة اعظم مقدارا من ان ينالها الانسان في مدة عمره، كما قال الجليل ابقراط "العمر قصير والصناعة طويلة " - فاذا ادعى جزءا منها فيجب أن يسال عنه اى جزء هو الذي احكمته و قرأت كتبه و خدمت فيه. واما اذا ما ادعى اجمالها، فهو من الجهل بحيث لا يحتاج ان يمتحن ولا ان يفتش عن عمله."[133]

كما اكد الرهاوي على ضرورة ان يمتحن كل متطبب في جزء من الصناعة يخصه، "مثال ذلك أنه اذا حضر من يدعى علاج العين؛ فيجب ان يسال من اي الأعضاء البسيطة رُكِّبت، فانه ان لم يعلم ذلك لم يعلم باي الاجزاء يكون الأبصار، كما لا يمكنه أن يعلم انواع أمراضها، واذا لم يعلم ذلك لم يعلم العلامات الدالة على نوع الاسباب. فلا يعلم ما يعالج و لا بماذا يعالج." [134]

---

[132] ك ميلير/ أستاذة باحثة بجامعة ستانفورد الأمريكية في محاضرة بمركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات andalusite.ma

[133] إسحاق بن علي الرهاوي ،الباب السادس عشر، كتاب ادب الطبيب ص 171

[134] نفسه

وفي نفس الموضوع؛ يُروى انه في نهاية حياة الرازي كان بصره قد ضعف بشكل كبير، حتى أصابه مرضٌ في عينيه، فصار أعمى، وحاول أحد الأطباء معالجته بمرهم، فسأله الرازي عن تركيب العين، ولم يعرف الإجابة، فقال له الرازي: "لا أريد استخدام مرهم لا يعرف الشخص الذي صنعهُ علم التشريح"، علم التشريح هذا كان أول ما يمتحن به الرازي طلبته المتخرجين، فإذا فشلوا في الإجابة عنه، فلا يسألهم في الطب السريري، لأن فشلهم في هذا الموضوع لا يشفع لهم في النجاح حتى ولو نجحوا في الباقي.

مخطوط لتشريح العين أجراه كمال الدين الفارسي في القرن الثالث عشر اعتماداً على أفكار ابن الهيثم[135]

تطرقت أسئلة الاختبار الطبي كذلك إلى أسئلة تطبيقية تبحث في وسائل التشخيص والتشخيص الاختلافي من قبيل "ما الفرق بين أعراض ذات الجنب Pleurésie وانتفاخ الكبد؟".

حتى انه برز من المؤلفات ما يحتوي على تفاصيل مهمة ويحدد مثلا، ما يمكن أن يشكل أسئلة غير عملية، فقد كتب الحكيم صاعد بن الحسن في مؤلفه "التشويق الطبي" ينتقد مد المُمْتِحن (الغير العليل) يده للطبيب المُمْتحَنْ طالبا منه، من خلال النبض فقط، تشخيص حالته الصحية، دون إعطاء الأخير المعلومات الكافية من سوابق وأعراض تمكنه من تركيب الفرضيات والاستنتاج. ففي هذه الحالة، التشخيص مستحيل والسؤال مرفوض حسب الكاتب.[136]

[135] الطب والصيدلة في عصر الحضارة الإسلامية wikiwand.com

[136] التشويق الطبي/ د صاعد بن الحسين andalusite.ma

ه. مؤلفات في الامتحان في الطب

لقد بصم الامتحان في مسار الدراسات الطبية، حتى ان كبار الأطباء المسلمين قد اهتمُّوا بتأليف كتبٍ خاصة تتحدث عن سلوك الطب وأنظمته وقوانينه وعهوده، منها كتاب أدب الطبيب لإسحاق بن علي الرهاوي وشرف الطب والنافع في تعليم الطب لعلي بن رضوان وغيرها من الكتب التي حوت ما يفيد في معرفة شروط متعاطي مهنة الطب.

كما أُلِّف من الكتب ما يمكن اعتباره مرجعا للمقبلين على اجتياز الامتحان، فوضع المعلم القواعد والمعلومات الأساسية في محنة الأطباء. يقول المعلم ابن سينا في تقديمه لموسوعته القانون الذي ظل مرجعا للمتطببين قرونا مديدة: " ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في قصر المواضيع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات الأمراض وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق. فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية ...ثم أعطيت القانون الكلي في المعالجة ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية."[137]

ولطالما صنف جالينوس العرب ارجوزات ملخصة وميسرة لحفظ الدروس الطبية، "لبيان أهمية العلم النظري وجرعة المعلومات قبل التطبيق لم يكن يسمح لطلبته بحضور درسه إلا بعد أن يحفظوا أرجوزته!"[138]

وإذا نظمت في كتاب العلم في الطب ما سمعته من نظم
وكان أن نظمته في أملي من ههنا مبتدئاً بالعملي
قد قلت في مبتدأ الكتاب ما احتجت أن اذكر في ذا الباب

[137] القانون في الطب / ابن سينا : المقدمة ص 9
[138] إسلام صبحي المازني، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين ص 48

لقد ظلت هذه المؤلفات مرجعا لتكوين وامتحان الأطباء خلال القرون الوسطى حتى في جامعات أوروبا، والنموذج من ساليرنة.

Mentionnée dès 846, l'école de Salerne, la civitas hippocratica, était placée sous le patronage de saint Matthieu. Dix docteurs sont à sa tête et les examens portent avant tout sur les textes d'Hippocrate, Galien et Avicenne (le Canon d'Avicenne, son oeuvre principale, a exercé une influence certaine jusqu'au XVIIe siècle

[139]

"على ان أصول الطب لا تبلغ الا بقراءة جميع تلك الكتب التي تقرب صناعة الطب من المتعلمين وخاصة تلك التي وضعها جالينوس، لذلك يجب على من ادعى علم طبيعة بدن الإنسان أن يكون خبيرا بهذه الكتب على ترتيبها، وان يكون قد قرأها على أستاذ عالم بها، فيسأل عن الغرض من الكتاب الذي يدعى قراءته وعن عنوانه، منفعته، قسمته، صحة نسبته وعن اي أجزاء علم صناعة الطب منه واي أنحاء التعاليم سلك فيه فأنه أن أجاب عن هذه الأوجه بالصواب علم منه أنه قد قرأ ذلك الكتاب، و ان لم يعلم ذلك لم يتعب معه في السؤال عما داخل الكتاب و أحرى و أجدر الا بعلم ما بعده من الكتب... و قد جمعها ايضا حنين و ثابت كي يسهل حفظها فيكون للمتعلمين أصولا باعثة ومشوقه لهم الى قراءة الكتب، فمن احب ان يمتحن طبيبا بشيء من فصولها فهو يستغني عن كل محنة لان كل فصل مسألة بنفسها."[140]

وكان المحتسب يمتحن كل طبيب حسب تخصصه ، فكان يمتحن الكحالون " بكتاب حنين بن اسحاق " .

وأما المجبرون " من الأطباء ، فلا تحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفه المقالة السادسة من كناش فولوس (الذي ترجمه حنين أبن اسحاق)[141]

---

[139] Histoire des universités de médecine Vincent-Pierre Comiti CAIRN.info

[140] إسحاق بن علي الرهاوي ،الباب السادس عشر، كتاب ادب الطبيب

[141] الاجازات والمخطوطات...سابق/ ص 21

و. امتحان الصيدلة

مع تقدم الطب والتجاء الناس للأطباء والأدوية؛ ظهر المتطفلين على علم الكمياء الذين يبيعون الأدوية المحرفة لذا كان من الملح تنظيم صنعة الصيدلة على غرار الطب.

" أما الصيادلة فكان لهم أيضاً امتحان ومراقبة لأعمالهم؛ فقد روى القفطي في كتابه" تاريخ الحكماء ان يوسف لقوة الكيميائي قال يوماً مشتكيا للخليفة المامون "ان الصيدلاني لا يطلب منه شيء من الأشياء كَانَ عنده أَوْ لَمْ يكن إلا دفع إِلَى طالبه شيئاً من الأشياء وقال : هَذَا الَّذِي طلبت"، ثم اقترح الحل قائلا: "فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً من الأسماء لا يُعْرَف ويوجِّه إِلَى جماعة من الصيادلة فِي طلبه لابتياعه فليفعل" فقال المأمون: "قَدْ وضعت الاسم وهو شفطيثا؛ - وشفطيثا ضيعة من الضياع بقرب مدينة السلام - فسير المأمون جماعة إِلَى الصيادلة يسألهم عن شفطيثا، فكلٌّ ذكر أنه عنده وأخذ الثمن ودفع شيئاً من حانوته، فصاروا إِلَى المأمون بأشياء مختلفة؛ فمنهم من أتى بقطعة حجر، ومنهم من أتى بقطعة وتد، ومنهم من أتى ببعض البزور، فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه." [142]

وهكذا ومنذ عام 221هـ /836م استُنَّ امتحان الصيادلة، واصبح في كل مدينة كبيرة عميد للصيادلة يقوم بامتحانهم كابن البيطار في القاهرة. كما فرض الدستور الجديد على الأطباء أن يكتبوا ما يصفون من أدوية للمريض على ورقة سمّاها أهل الشام الدستور وأهل المغرب النسخة وأهل العراق الوصفة.

[142] اخبار العلماء باخيار الحكماء المؤلف : القفطي جمال الدين / الجزء : 1 صفحة : 147

2. المراقبة المهنية

وامتدادا لسلسلة الأعراف الخاصة بتنظيم المهنة الطبية، وبعد الابداع في عنوان "الامتحان في الطب"، اجاد الحكماء المسلمون مرة أخرى بإدراجهم مفهومَ الحسبة : كسلطة مستقلة وُلِّيت مراقبة الحرفيين والصناع؛ جودة سلعهم، جاهزية أدواتهم ومستوى إتقانهم.

أ. الحسبة لغة واصطلاحا[143]

معجم مقاييس اللغة:(395 ه): الحسبة: هي العَدُّ والإحصاء. وتعني أيضا التدبير.

لسان العرب:(711 ه) : يحتسب الأخبار أي يتحسَّسها. واحتسَب على فلان أى أنكر عليه قبيح عمله.

تاج العروس: 1205 ه، :«الحسبة من حساب» وقوله «والله سريع الحساب» أى حسابه واقع لا محالة.

" اقترب المعنى اللغوى للحسبة شيئاً فشيئاً من معناها الاصطلاحى الذي ذكره المؤلف طاشكبرى: "علم الاحتساب هو النظر فى أمور أهل المدينة، بإجراء ما رُسم فى الرياسة أو بتنفيذ ما تقرَّر فى الشرع، والمواظبة على هذه الأمور ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، إذ السلطان بمنـزلة الرأس من البدن وهو منبع التدبير، والوزير بمنـزلة اللسان الذى هو السفير، والمحتسب بمنـزلة الأيدى والأقدام والخُدَّام."[144]

ب. الحسبة في التاريخ

ترجع عدة دراسات اصل تداول الحسبة كأمر تنظيمي ذو صبغة اجتماعية وسياسية الى عصر الخليفة المأمون "فكان هناك الفقيه الذى يستخرج الأحكام، والقاضي الذى يحكم وفقاً للشريعة، والمحتسب الذى ينفذ الأحكام. وهذه صورةٌ مبكرة من (نظرية فصل السلطات) التى ظهرت فى أوروبا الحديثة على يد جان جاك روسو."[145]

---

143 يوسف زيدان: أَصْلُ الحِسْبة وسِرُّ المِحْنة، جريدة المصري 13-04-2010

144 نفسه

145 نفسه

ج. الحسبة والطب

اما ادراج نظام الحسبة في مجال الممارسة الطبية؛ فكان نابعا أساسا من تعاليم الدين الإسلامي الداعية الى حسن التداوي وحفظ النفس. ولعل الحديث المستشهد به في هذا السياق وسابقه؛ هو قوله صلوات الله وسلامه عليه: ((مَن تطبَّب ولم يعلم منه طب فهو ضامن)).

ومن بعض الأقوال الحكيمة التي تزكي الحسبة في الطب:

قول ابن القيم في وجوب الضمان على الطبيب الجاهل: "فإذا تعاطى علم الطب وعمله، ولم يتقدم له به معرفة : فقد هجم بجهله على إتلاف الأنفس وأقدم بالتهور على ما لم يعلمه، فيكون قد غرر بالعليل، فيلزمه الضمان."[146]

قول الخطابي : " لا أعلم خلافاً في أن المعالج إذا تعدَّى فتلف المريض كان ضامناً ، والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه : متعدٍّ ، فإذا تولد من فعله التلف : ضمن الدية، وسقط عنه القصاص." [147]

قول العلامة ابن عقيل رحمه الله في كتابه الفنون:"جُهَّال الأطباء هم الوباءُ في العالم، وتسليمُ المرضى إلى الطبيعة أحبُّ إليَّ من تسليمهم إليهم."[148]

لذلك "يعتبر نظام الحسبة في الإسلام من أروع النظم التي طبقت في تاريخ البشرية للحفاظ على المصالح العامة، وكان من نتائج نظام الحسبة في المجال الطبي أن منع دخول المتطببين الجهلة إلى ميدان الطب لكيلا يضروا بالناس ويغروا المرضى وهم لا يعرفون من الطب شيئاً. فلم يكن المحتسب أو من يقوم مقامه يسمح للطبيب بالممارسة إلا بعد أن يمتحنه كبار الأطباء ويصدرون له إجازة بالممارسة".[149]

---

146 زاد المعاد (4/127 ، 128)

147 نفسه

148 موقع د قيس المبارك/ الحسبة على الاطباء

149 د. محمد علي البار / الحسبة في المجال الطبي، موقع لهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن

ويروي الشيزاري في محاكاة لما كان عليه حال الممارسة الطبية ودور المحتسب فيها:

"وينبغي إذا دخل الطبيب على المريض أن يسأله عن سبب مرضه وعما يجد من الألم، ويعرف السبب والعلامة والنبض والقارورة (المقصود فحص البول) ثم يرتب له قانوناً (أي وصفة طبية وتذكرة للعلاج) من الأشربة وغيرها، ثم يكتب نسخة بما ذكره له المريض وبما رتبه له في مقابلة المرض، ويسلم نسخته لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض. فإذا كان الغد حضر ونظر إلى دانه وسأل المريض ورتب له قانوناً على مقتضى الحال وكتب له نسخة أيضاً وسلمها إليهم وفي اليوم الثالث كذلك وهكذا إلى أن يبرأ المريض أو يموت. فإن برئ من مرضه أخذ الطبيب أجرتـه وكرامته، وإن مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير أعملهم وإن رأى الأمر بخلاف ذلك قال لهم: (خذوا دية صاحبكم من الطبيب فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه).."[150]

د. الكتب الخاصة بالحسبة

منذ أن استقرت وظيفة المحتسب في القرن الثاني الهجري؛ بدا من اللازم إقرارها وتوثيق بنودها ليُعرَف لكل ذي حق حقه، وحتى يقنن دور المحتسب ولا يلتبس الأمر على الرعية، لهذه الأهداف تضمنت عدة كتب فصولاً خاصة تتعلق بالحسبة وحيثياتها. نذكر منها:

"الأحكام السلطانية" للماوردي ، "معالم القربة في أحكام الحسبة" لمحمد بن محمد القرشي، ثم الكتاب الجامع الذي اعتمدنا عليه في هذا الفصل: " نهاية الرتبة في الحسبة" للشيزاري.

" كما كان المرضى وعائلاتهم كانوا يتوفرون على كتيب "الحسبة" الذي يبين لهم الإجراءات التي يجب القيام بها. "[151]

---

[150] الشيزاري في مؤلفه "نهاية الرتبة في الحسبة"

[151] كاثرين ميلير، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. andalusite.ma

ه. الحسبة في الأدوات الطبية

لأهمية الطرح؛ فقد خُصِّصت لموضوع مراقبة الأدوات الطبية: توفرها، عمليتها وتعقيمها فصولا خاصة كذلك الذي ذكره الشيرازي في "نهاية الرتبة في الحسبة"، وعَنونه *"وَيَنْبَغِي لِلطَّبِيبِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ جَمِيعُ آلَاتِ الطِّبِّ عَلَى الْكَمَالِ"*.

" فمن بديع ما ذكره الفقهاء؛ أنَّ من شروط الإذن للطبيب بالعلاج أن يكون عنده جميع ما تحتاجه مهنته من الأدوات الطِّبية، وأن من واجب المحتسب أن يراقبه، للتأكُّد من وفرة الآلات عنده ومن نظافتها." [152]

"وَيَنْبَغِي لِلطَّبِيبِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ جَمِيعُ آلَاتِ الطِّبِّ عَلَى الْكَمَالِ، وَهِيَ كَلْبَاتُ الْأَضْرَاسِ، وَمَكَاوِي الطِّحَالِ، وَكَلْبَاتُ الْعَلَقِ، وَزَرَّاقَاتُ الْقُولَنْجِ، وَزَرَّاقَاتُ الذَّكَرِ، وَمِلْزَمُ الْبَوَاسِيرِ، وَمِخْرَطُ الْمَنَاخِيرِ، وَمِنْجَلُ النَّوَاصِيرِ، وَقَالِبُ التَّشْمِيرِ، وَرَصَاصُ التَّثْقِيلِ، وَمِفْتَاحُ الرَّحِمِ، وَبَوَّارُ النِّسَاءِ، وَمُكَمِّدَةُ الْحَشَا، وَقَدَحُ الشَّوْصَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ."[153]

غير ان بعض الاختصاصات الطبية كان يلزمها معارف وأدوات خاصة كطب العيون والجراحة كما يتبين في الفقرة الموالية.

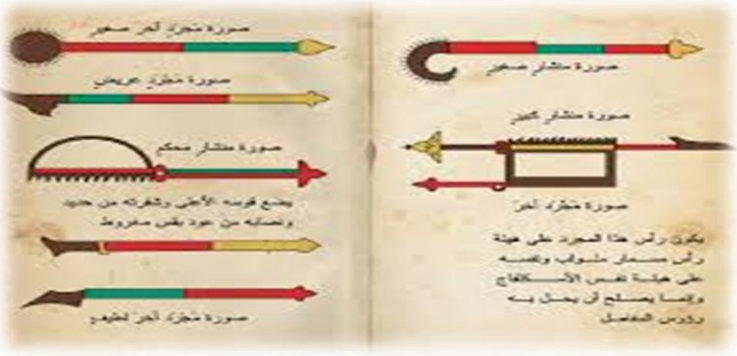

[152] د. قيس المبارك، الحِسْبَة على الأطباء/ صحيفة المدينة 06 / 12 / 2013

[153] نهاية الرتبة ...(سابق) / الباب 37

و. الحسبة حسب الاختصاص

سنقتصر على ذكر بعض من تلك الاختصاصات حسب مرجعنا الأساسي "نهاية الرتبة في طلب الحسبة ":

- حسبة الكحالين

وأما الكاحلون: فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق، أعني العشر مقالات في العين، فمن وجده فيما امتحنه به عارفاً بتشريح عدد طبقات العين السبعة، وعدد رطوباتها الثلاثة، وما يتفرع عن ذلك من الأمراض، وكان خبيراً بتركيب الأكحال، أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس.

"وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُفَرِّطَ [الْكَحَّالُ] فِي شَيْءٍ مِنْ آلَاتِ صَنْعَتِهِ، مِثْلِ صنانير السَّبَلِ، وَالظِّفْرَةِ، وَمَبَاضِعِ الْفَصْدِ، وَدَرَجِ الْمَكَاحِلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا كَحَّالُو الطُّرُقَاتِ فَلَا يُوثَقُ بِأَكْثَرِهِمْ، إِذْ لَا دِينَ لَهُمْ يَصُدُّهُمْ عَنْ التَّهَجُّمِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ بِغَيْرِ عِلْمٍ . فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرْكَنَ إلَيْهِمْ فِي مُعَالَجَةِ عَيْنَيْهِ، وَلَا ان يَثِقَ بِإِكْحَالِهِمْ."

- حسبة الْمجبرين

وَأَمَّا الْمُجَبِّرُونَ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَصَدَّى لِلْجَبْرِ إلَّا بَعْدَ أَنْ يُحْكِمَ مَعْرِفَةَ الْمَقَالَةِ السَّادِسَةِ مِنْ كُنَّاشِ بولص فِي الْجَبْرِ، وَأَنْ يَعْلَمَ عَدَدَ عِظَامِ الْآدَمِيِّ وَصُورَةَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْهَا، وَشَكْلَهُ وَقَدْرَهُ، حَتَّى إذَا انْكَسَرَ مِنْهَا شَيْءٌ أَوْ انْخَلَعَ رَدَّهُ إلَى مَوْضِعِهِ، عَلَى هَيْئَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا؛ فَيَمْتَحِنُهُمْ الْمُحْتَسِبُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ.

- حسبة الجراحين

وَأَمَّا الجرائحيون، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةُ كِتَابِ جَالِينُوسَ الْمَعْرُوفِ بقاطاجانس فِي الْجِرَاحَاتِ وَالْمَرَاهِمِ، وَ كِتَابُ الزَّهْرَاوِيِّ فِي الْجِرَاحِةِ، وَأَنْ يَعْرِفُوا التَّشْرِيحَ وَأَعْضَاءَ الْإِنْسَانِ، وَمَا فِيهِ مِنْ الْعَضَلِ وَالْعُرُوقِ وَالشَّرَايِينِ وَالْأَعْصَابِ، لِيَتَجَنَّبَ [الْجَرَّاحُ] ذَلِكَ فِي وَقْتَ فَتْحِ الْمَوَادِّ وَقَطْعِ الْبَوَاسِيرِ. وَيَكُونُ مَعَهُ دَسْتُ الْمَبَاضِعِ، فِيهِ مَبَاضِعُ مُدَوَّرَاتُ الرَّأْسِ، وَالْمُوَرِّبَاتُ، وَالْحَرَبَاتُ، وَفَأْسُ الْجَبْهَةِ، وَمِنْشَارُ الْقَطْعِ، وَمِجْرَفَةُ الْأُذُنِ، وَوَرْدُ السَّلَعِ، وَمَرَّ هَمْدَانَ الْمَرَاهِمِ، وَدَوَاءُ الكندر الْقَاطِعُ لِلدَّمِ، الَّذِي قَدَّمْنَا صِفَتَه

ز. مهام المحتسب

يمكننا ان نخلص الى المهام الموكلة الى المحتسب في مراقبة المهنة الطبية وضمان جودة التطبيب:

- يمنع سائر المتطببين من التصرف وممارسة مهنتهم إلا بعد إجراء امتحان.

- يأخذ على سائر الأطباء عهد ابقراط - بعد تعديله وإزالة القسم بالآلهة والأوثان – (فقرة القسم الطبي)

- يراقب مدى احترام القواعد الأساسية لأخلاقيات الطبيب بالا يفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار.

- ينبغي للمحتسب أن يعظ وينذر بالعقوبة والتعزيز وان يعتمر على المتطببين بانتظام.

- مراقبة: الأدوات الطبية؛ مهارات كل محترف حسب تخصصه

- مراقبة الصيادلة : الموارد، تحضير الجرعات وحفظها

ويمكننا ان نجمل دور الحسبة في مصطلحنا الحديث "ربط المسؤولية بالمحاسبة"، خاصة في ميدان الطب الذي لا يحتمل العبث. اذ ان "الطِّبُّ عِلْمٌ نَظَرِيٌّ وَعَمَلِيٌّ، أَبَاحَتْ الشَّرِيعَةُ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، لِمَا فِيهِ مِنْ حِفْظِ الصِّحَّةِ وَدَفْعِ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ عَنْ هَذِهِ الْبِنْيَةِ الشَّرِيفَةِ. وَالطَّبِيبُ هُوَ الْعَارِفُ بِتَرْكِيبِ الْبَدَنِ، وَمِزَاجِ الْأَعْضَاءِ، وَالْأَمْرَاضِ الْحَادِثَةِ فِيهَا، وَأَسْبَابِهَا وَأَعْرَاضِهَا وَعَلَامَاتِهَا، وَالْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ فِيهَا، وَطَرِيقِ مُدَاوَاتِهَا. فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا يَحِلُّ لَهُ مُدَاوَاةُ الْمَرْضَى، وَلَا يَجُوزُ لَهُ الْإِقْدَامُ عَلَى عِلَاجٍ يُخَاطِرُ فِيهِ."

ومن هنا كانت مسؤولية الأطباء أعظمَ من غيرهم، ذلك أنَّ خطأ الطبيب أخطر من خطأ غيره، لذلك، كانوا يَحتاطون على صورته الشريفة؛ حتى لا يتعاطى الطبَّ مَن ليس من أهله.

"ومن ذلك ما حدث به الطبيب زكريا الطيفوري؛ حيث كان نظام الحسبة سارياً على الأطباء موضحاً أن مكانة الطب كانت لا تنازع وكرامة الأطباء لا تمس، وكان الطبيب يطلع على أسرار الملوك والخلفاء وغيرهم وأسرار وخفايا عائلاتهم." [154]

[154] شرف الطب في التراث العربي" للدكتور محمد ياسر زكور

كانت هذه اذن نبذة عن الامتحان والحسبة ضمن الأعراف الخاصة بتنظيم ممارسة المهنة الطبية. اما وقد أصبحت هذه الأخيرة مسلكا اكاديميا مؤطرا؛ فقد برزت مراسم وأعراف حديثة تضمن كفاءة الطبيب المتخرج، فكانت الامتحانات الدورية وتجاوز التداريب الاستشفائية طيلة سنوات الدراسة، ثم الامتحانات السريرية في نهاية تلك السنوات، ثم العمل على اعداد أطروحة متممة لذلك المشوار الحافل..وهنا نتساءل عن تاريخ ادراج نظام الأطروحة في مسار دراسة الطب، وعن مواضيعها وخصوصياتها.

3. نظام الاطروحة في الطب

1. الاطروحة

أ. تعريف الاطروحة:

تعرف الأطروحة أو الرسالة العلمية بانها الوثيقة المقدمة لدعم ترشيح الحصول على درجة أكاديمية أو تأهيل مهني، ويتم من خلالها تقديم بحوث المؤلف (الطالب أو الباحث) و ما توصل إليه من نتائج.

وبصورة تطبيقية أدق؛ تعرف الأطروحة بانها مسألة تُطْرَحُ للمناقشة ويتم عرضها للتناول العلمي، كدعوة لتدقيق النَّظرِ والبحث. وعرفت الأطروحة أيضا ب"رسالة الدكتوراه"، تقوم بمنحها الجامعات لتكون أعلى شهادة في التخصص الذي يقوم به الطالب؛ وذلك بعد أن يقوم بتقديم أطروحته التي يقدم من خلالها بحثا علميا يقدم إضافة جديدة إلى مجال التخصص الذي يقوم فيه الباحث.

ب. الاطروحة والدكتوراة :

وقد نظم الدستور المغربي في بنود الدراسات العليا حيثيات الحصول على درجة الدكتوراة؛ وجعل من مناقشة الاطروحة شرطا أساسيا، كما حدد فقرات تنظم مناقشة هذه الأخيرة:

المادة 6 تتوج شهادة الدكتوراه اعتراف لجنة بأهلية المترشح لإنجاز بحث علمي رفيع المستوى وإتمامه. ولهذه الغاية، يقدم المترشح للمناقشة أطروحة أو مجموعة أعمال علمية تقيمها اللجنة باعتبار قيمتها وجدواها.

المادة 9 يقترح المشرف على الأطروحة أو أعمال البحث، على المترشح موضوعا وفق تخصص وحدة التكوين والبحث ويحدد برنامج إنجاز الأعمال ويتابع تقدمه بانتظام.

المادة 11 ويمكن اختيار المقررين من خارج وحدة التكوين والبحث أو المؤسسة الجامعية التي تم تسجيل المترشح بها.

المادة 14 ويبلغ تقرير المناقشة شفويا فور انتهاء مداولة اللجنة. ويعلن عن النجاح مع إحدى الميزتين: مشرف أو مشرف جدا.

مرسوم رقم 2.96.796 صادر في 11 من شوال 1417 (19 فبراير 1997) بتحديد نظام الدراسة والامتحانات لنيل الدكتوراه

adala.justice.gov.ma

ج. عناصر الأطروحة:

تعتبر الأطروحة رسالة منشورة تشتمل مجموعة من الأجزاء، الأبواب والفصول التي تشكل المضمون من الغلاف الى الغلاف، منظمة وفق البنية المعتادة من مقدمة، منهجية، مناقشة، استنتاجات ومراجع. لكنها تختلف في بنيتها الجزئية وفقًا لمجال الدراسة.

اما من حيث العناصر الرئيسية الموحدة للرسالة العلمية فتتمثل في:

- الغلاف: مكتوب عليه عنوان الدراسة العلمية وشعار الجامعة واسم الكلية واسم الباحث العلمي واسماء المشرفين على البحث اعضاء لجنة المناقشة. ومن المهم ان يقَدِّر الباحث العلمي عنوان البحث الذي يجب ان يكون عنوانا جذابا للمتلقي ومحفزا للباحث للدخول إلى أعماق هذه الدراسة.
- صفحة الاهداء والشكر: واجبة التقديم، على الباحث العلمي ان يصيغها بعبارات رقيقة تظهر الفضل والشكر لمن يقصده بذلك.
- فصل المقدمة: يقدم للقارئ لمحة عامة عن الدراسة؛ دافع اختيار موضوعها؛ مراحل الإعداد والأساليب المستخدمة؛ اظهار مقوماتها بداية من موضوع الدراسة مرورا بالأهداف والمنهجية العلمية وصولا الى ما اتت به الدراسة من نتائج وتوصيات.
- الاطار النظري للبحث : ويتم خلاله استعراض المعلومات الأساسية اللازمة لتعريف القارئ بالبحوث والمعلومات والنظريات ذات الصلة.
- الاسلوب او المنهج العلمي: عنصر اخر من عناصر البحث، يتضح من خلاله الطريقة العلمية التي اتبعها الباحث العلمي في كامل الدراسة حول موضوع البحث ومشكلته.

- نتائج الدراسة: وهي ثمار العمل، فاما تجيب على الأهداف والاسئلة المرسومة ابتداءا، او تؤكد او تفند الفرضية المقترحة ابتداءا.

- الخاتمة: وفيها يلخص الباحث بإيجاز المشروع بأكمله، و يعيد تذكير القارئ باهداف الدراسة من زاوية التأثير العام في هذا المجال، كما ينبغي أن يسعى لترك ذلك الانطباع عن أهمية الأطروحة، مع نقل نفس العاطفة التي دفعت صاحب المشروع البحثي إلى إنجازه، ثم يخرج بتوصيات لنشء الباحثين في نفس المجال.

- الملحقات، المراجع: قائمة المصادر التي استفاد منها الباحث واقتبس منها.

- الفهرس: قائمة المحتويات التي قد تكون في اخر البحث او اوله، او حتى تبويب كل فصل من البحث بصفحة محتوى خاصة به.

2. الاطروحة في الطب

يُفترض أن تُنهى الدراسات الطبية بالتقدم باطروحة لنيل الدكتوراه، أطروحة تاتي متممة لسنوات الدراسة النظرية والتطبيقية ولجملة من الامتحانات الورقية والسريرية.

في بادئ الامر؛ لم تكن للاطروحة مكانتها الحالية كبحث ختامي لسنوات التحصيل الطبي؛ لقد كانت بالأحرى عبارة عن تمرين للطالب على اساليب الخطابة والدفاع عن النظرية ومنهجيات النقد "لا دفاع عن عمل شخصي؛ فغالبًا ما كانت النصوص مكتوبة من قبل الرؤساء ، وأحيانًا يستأنفها الخريجون الآخرون تحت رئاسة أخرى، والهدف كان هو اختبار تعامل صاحب الالتماس - لعدة ساعات – مع أسئلة واعتراضات الطلاب الآخرين والاطباء وبعض من اعضاء الكلية، فكان الطالب الواحد يناقش ست أو سبع أطروحات في سلك دراسته.

Il faut dire que l'exercice auquel les bacheliers étaient soumis – ou plutôt les exercices puisque un étudiant soutenait six ou sept thèses en tant que bachelier à la Faculté – n'a rien à voir avec celui des thésards actuels. Pas de défense d'un travail personnel (les textes étaient souvent écrits par les présidents, parfois repris plus tard par d'autres bacheliers ...), mais plutôt un exercice de rhétorique où durant plusieurs heures l'impétrant était soumis aux questions et contradictions des autres bacheliers et docteurs-régents de la Faculté.

وكما بالنسبة لدور الاجازة العلمية في عكس صورة الحياة الثقافية لحقبتها؛ فان الاطروحة الطبية كان لها من الأثر واضحه في التعريف بمجريات المسيرة التعليمية في فترة مناقشتها. الامر الذي يمكن ان نستشفه من خلال النص الموالي الوارد في الموقع الخاص "بالمكتبات الجامعية للصحة BIU " [155] التي تضم رفوفها تراثا زاخرا بأكثر من 4 000 أطروحة طبية ممثلة لثلاثة قرون من تاريخ كلية الطب بباريس.

Ce sont ainsi près de 4 000 thèses et billets d'invitation, de 1539 jusqu'en 1793,

4 000, le chiffre paraît imposant mais rapportée à la période couverte, la production est finalement assez modeste, une dizaine de thèses seulement étaient imprimées chaque année. Si l'on rajoute à cela le fait que les bacheliers soutenaient plusieurs thèses chacun, on se rend assez vite compte que le nombre de personnes réellement concernées par l'exercice et a fortiori membres de la Faculté de médecine (que ce soit en tant que bachelier, puis en tant que docteur-régent) est assez faible : en moyenne, au XVII[e] *siècle, sept nouveaux bacheliers intégraient la Faculté tous les deux ans...*

4000 اطروحة، يبدو رقما مهما لكن يجب الاشارة الى انه يتعلق بالفترة المشمولة من 1539 إلى 1793 ، وهنا نخلص الى ان الإنتاج العلمي في الحقل الطبي كان متواضعا؛ حيث كانت تتم طباعة عشرة أطروحات فقط كل سنة. إذا أضفنا إلى هذا حقيقة أن كل طالب كان يناقش عدة أطروحات في مسيرته، فإننا ندرك بسرعة أن عدد الأشخاص من كلية الطب المعنيين حقًا بالتمرين (مناقشة الاطروحات الطبية) ضعيف للغاية؛ في المتوسط، في القرن السابع عشر، التحق سبعة خريجين جدد بالكلية كل عامين ...

ثم تطورت مفهوم الاطروحة في الطب ليصبح بحثا في الميدان؛ وجب على كل طالب في سلك الدراسات الطبية القيام به في نهاية مشواره؛ ليحظى اخيرا بلقب الطبيب...

[155] biusante.parisdescartes.fr Bibliothèque interuniversitaire de Santé – Paris

Après l'obtention de la licence, le candidat au doctorat doit soutenir une thèse qu'on nomme la vespérie, dans lequel il discute une question de médecine qui lui est proposée par un des docteurs, le président prononce ensuite un discours et le lendemain il est fait docteur.

Les thèses d'Ancien Régime sortent des combles", Solenne Coutagne

بعد الحصول على الاجازة، يجب أن يناقش مرشح الدكتوراه أطروحته التي كانت تُعرف باسم "vespérie" ، والتي يناقش فيها مسألة طبية اقترحها عليه أحد الأطباء ، ثم يلقي الرئيس خطابًا وفي اليوم التالي يصبح

The first evidence that the thesis or dissertation was considered a requirement for the degree of Doctor of Medicine is in a statement in the catalog from 1839, which in part reads, "...the candidate must present a dissertation on some subject connected with the medical sciences." . The creative discipline required to carry out a project and prepare a thesis enables each student to become a physician-scholar. The thesis teaches a student how to understand the scientific method from the inside, how to design an hypothesis, how to collect and evaluate data and communicate the knowledge to others, and how to think scientifically and critically for the rest of his/her professional life.

الدليل الأول على أن الأطروحة كانت تعتبر شرطًا للحصول على درجة دكتوراه في الطب في بيان من عام 1839 ، والذي ينص في جزء منه على ما يلي: "... يجب على المرشح تقديم أطروحة حول بعض الموضوعات ذات الصلة بالعلوم الطبية." . يُمَكِّن الانضباط الإبداعي في تنفيذ مشروع إعداد الأطروحة كل طالب من أن يصبح طبيباً. فالأطروحة تعلم كيفية فهم الطريقة العلمية من الداخل، كيفية تصميم فرضية، كيفية جمع البيانات وتقييمها وإيصال المعرفة للآخرين، وأخيرا؛ كيفية التفكير العلمي الناقد لبقية الحياة المهنية .

واذا ارجع أرشيف جامعة "يال" الطبية الامر الى سنة 1839؛ فان ثالث اعرق الجامعات الاروبية قد قدمت تاريخا اقدم من ذاك بكثير؛ اذ نذكر اعتمادا على بحث خاص بنظام الاطروحات القديمة من خزانة جامعة باريس الطبية ان : "بعض التعليقات التي تتوفر عليها الكلية تسمح لنا بمعرفة أنه تم بالفعل دعم الرسائل العلمية في عام 1395."

Les *Commentaires de la Faculté de médecine* nous permettent de savoir qu'il se soutenait déjà des thèses en 1395. Sans doute cette pratique est-elle encore plus ancienne, la collection de la BIU Santé commence, elle, à la date (*déjà très reculée*) de 1539.

Les thèses d'Ancien Régime sortent des combles", Solenne Coutagne

Bibliothèque interuniversitaire de Santé – Paris biusante.parisdescartes.fr

- شكل الاطروحة

لم تكن اولى الاطروحات الطبية سوى بحث ملخص يمكن اختزاله بخمس فقرات مكتوبة باللغة اللاتينية مقدمة على ورقة كبيرة أو –لاحقا - على شكل كتيب من أربع لثماني صفحات. (الأطروحات الأكثر من عشرين صفحة تحسب على أصابع يد واحدة).

En fait de thèses, les documents parvenus jusqu'à nous peuvent paraître bien légers pour un œil contemporain : cinq paragraphes écrits en latins sur le recto d'une grande feuille ou plus tard sous la forme d'un livret de quatre ou huit pages (*les thèses faisant plus d'une vingtaine de pages se comptent sur les doigts d'une main*).

156

لقد كانت الأطروحات الأولى مكتوبة بخط اليد. ثم ابتداءا من القرن السادس عشر؛ بدات تظهر أول الأطروحات المطبوعة. اما في القرن الموالي اتخذت رسائل الدراسات الطبية شكل الكتيب.

Les premières thèses étaient donc des grands placards, écrits à la main sur papier ou parchemin. À partir de 1569, on voit apparaître les premières thèses imprimées (La première thèse imprimée est celle soutenue par Claude Bazin en 1563, présidée par Claude Bailly et dont le titre est : « An mas celerius foemina tardius conformatur ? »). En 1662, les thèses prennent systématiquement la forme de livret.

157

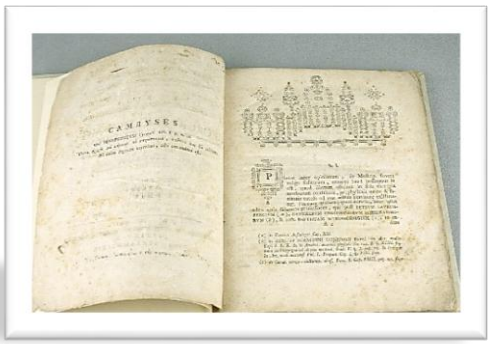

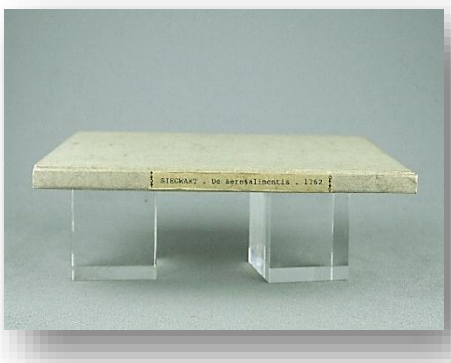

"Les thèses d'Ancien Régime sortent des combles ," Solenne Coutagne biusante.parisdescartes.fr 156

IBID 157

ثم شيئا فشيئا؛ بدا التخلص من المنهجية التقليدية في صياغة الاطروحات؛ واخذت الجمالية والتفنن في التسلل الى تلك "المخطوطات" وذلك باستدعاء النقاشين والخطاطين الموهوبين، الامر الذي يكلف المرشحين إنفاق مبلغ كبير من المال لاطراء أطروحاتهم.

Si la plupart des thèses ont un aspect un peu austère, répliquant à l'infini la même présentation, utilisant les mêmes bois gravés pour les en-têtes, on voit apparaître au début du XVII[e] siècle, accompagnant les dédicaces, des frontispices gravés qui vont prendre des proportions considérables à partir des années 1625-1630 : peu à peu, on fait appel à des graveurs de talent. Les candidats peuvent ainsi dépenser une somme d'argent importante pour faire illustrer leurs thèses avec magnificence. Dans le courant du XVIII[e] siècle, des critiques sur les dépenses somptuaires liées aux thèses et à la cérémonie de soutenance ont peu à peu fait décliner cette pratique.

158

Dédicace de la thèse de Claude Séguyn soutenue le 8 janvier 1643 à Claude Gallard, dessiné et gravé par Mellan. La Paix, Mars et la Justice entourent son écusson armorié.

Thèse soutenue en 1622, *Première page au format in-quarto*

IBID ; texte et legendes [158]

- مواضيع الاطروحة

لقد بدات أوائل الاطروحات الطبية في مناقشة مواضيع ذات صلة صرفة بالمجال:

Medical Doctorate Thesis

The presentation of a dissertation has been one of the requirements for the degree of Doctor of Medicine. Initially, case reports and reviews of literature predominated, but as the scientific method found its place in medicine, the faculty has required that dissertations presented be based on original investigation either in the laboratory or in the clinic. This experience is considered an important and essential phase of a curriculum which is designed to promote the development of critical judgment, habits of self-education and imagination, as well as the acquisition of knowledge and research skills.

Medical Doctorate Thesis medicine.yale.edu

رسالة الدكتوراه الطبية

لقد كان تقديم أطروحة أحد متطلبات درجة دكتوراه في الطب. في البداية، سادت تقارير الحالات ومراجعات الأدبيات، ولكن بما أن الطريقة العلمية وجدت مكانها في الطب، فقد طلبت الكلية أن تكون الرسائل المقدمة مستندة إلى تحقيق أصلي سواء في المختبر أو في العيادة. تعتبر هذه التجربة مرحلة مهمة وأساسية من المناهج الدراسية التي تهدف إلى تعزيز تطوير الحكم النقدي، وعادات التعليم الذاتي والخيال، وكذلك اكتساب المعرفة ومهارات البحث.

Student Research

A wide choice of subjects for research is permitted. Students may choose basic laboratory projects or may investigate clinical, epidemiologic or sociologic (including medicine and humanities) topics. Publications in the literature may serve as the source of data for research. One basic requirement applies to all projects: there must be a specific hypothesis that can be supported or rejected by new data that are generated by the student. Data must be subjected to statistical analysis and results should either confirm or reject the original hypothesis.

يُسمح بخيارات واسعة لموضوعات للبحث، حيث يمكن للطلاب اختيار الدراسات المختبرية الأساسية أو التحقيق في مواضيع سريرية أو وبائية أو اجتماعية (بما في ذلك الطب والعلوم الإنسانية). كما قد تكون المنشورات في الأدب مصدر البيانات للبحث. لكن المتطلبات الأساسية لجميع الاطروحات كانت وجوب وجود فرضية محددة يمكن دعمها أو رفضها بواسطة بيانات جديدة يتم إنشاؤها بواسطة الطالب، ووجوب خضوع البيانات للتحليل الإحصائي الذي يؤكد النتائج أو يرفض الفرضية الأصلية.

ونورد هذا المثال للاطروحات القرن التاسع عشر التي اختارت من المستجدات الطبية موضوعا لها، " فقد أعاد جان نيكولا كورفيزار- طبيب نابليون الخاص وأستاذ الطب في مدرسة باريس - اكتشاف الأطروحة اللاتينية لأوينبروجر.

تألفت الأطروحة التي نشرها لايك عام 1819 من جزأين: الأول عن فن استخدام السماعة الطبية، والثاني عن التشريح الباثولوجي لأعضاء الصدر".

ثم انفتحت الدراسات الطبية وتطورت مواضيع اطروحاتها لتشمل طيفا من كل الالون، اطروحات تسعى لربط الطب بعديد المجالات من تاريخ وعلم اجتماع وسياسة...

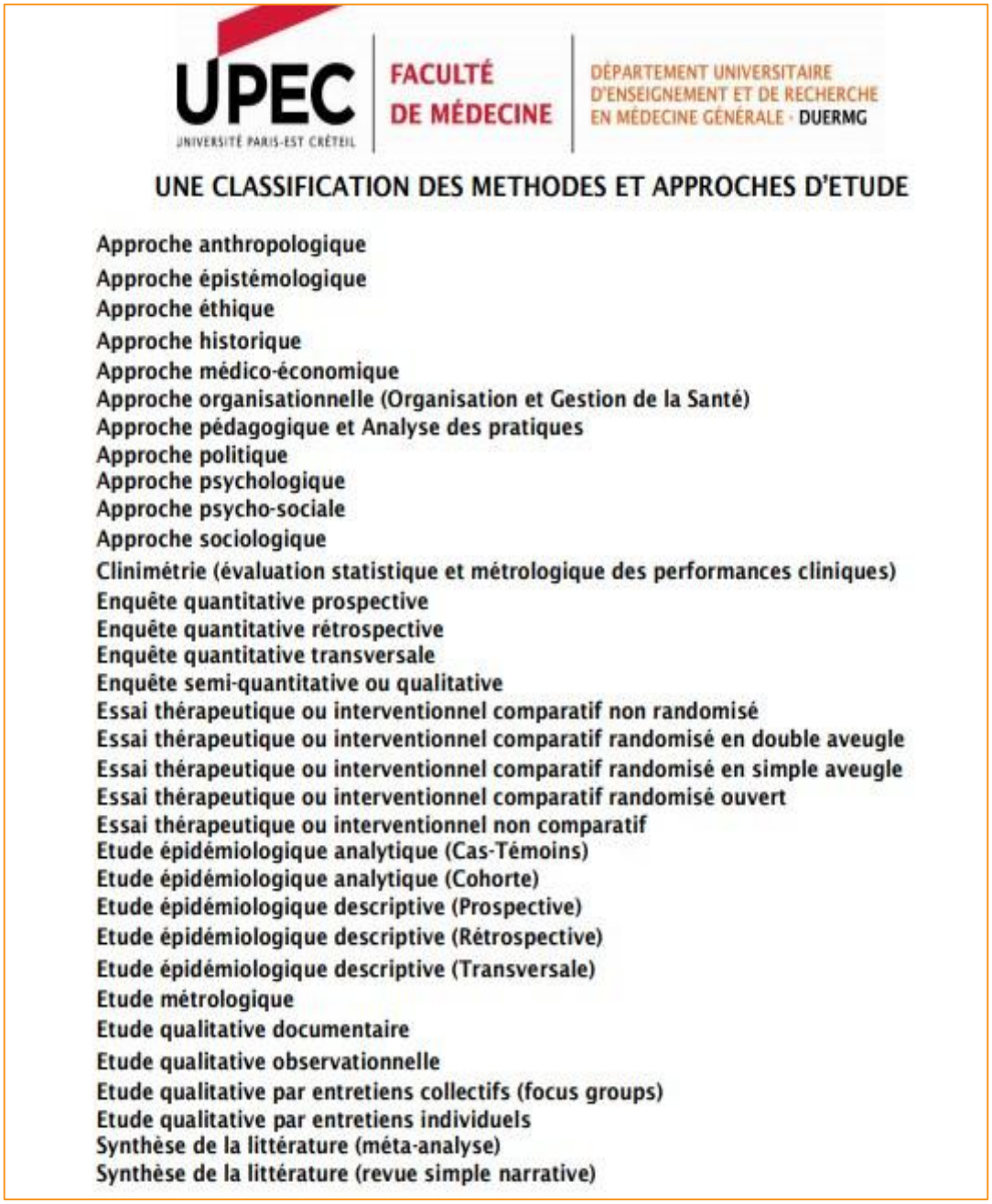

UPEC
UNIVERSITÉ PARIS-EST CRÉTEIL
FACULTÉ DE MÉDECINE
DÉPARTEMENT UNIVERSITAIRE D'ENSEIGNEMENT ET DE RECHERCHE EN MÉDECINE GÉNÉRALE · DUERMG

UNE CLASSIFICATION DES METHODES ET APPROCHES D'ETUDE

Approche anthropologique
Approche épistémologique
Approche éthique
Approche historique
Approche médico-économique
Approche organisationnelle (Organisation et Gestion de la Santé)
Approche pédagogique et Analyse des pratiques
Approche politique
Approche psychologique
Approche psycho-sociale
Approche sociologique
Clinimétrie (évaluation statistique et métrologique des performances cliniques)
Enquête quantitative prospective
Enquête quantitative rétrospective
Enquête quantitative transversale
Enquête semi-quantitative ou qualitative
Essai thérapeutique ou interventionnel comparatif non randomisé
Essai thérapeutique ou interventionnel comparatif randomisé en double aveugle
Essai thérapeutique ou interventionnel comparatif randomisé en simple aveugle
Essai thérapeutique ou interventionnel comparatif randomisé ouvert
Essai thérapeutique ou interventionnel non comparatif
Etude épidémiologique analytique (Cas-Témoins)
Etude épidémiologique analytique (Cohorte)
Etude épidémiologique descriptive (Prospective)
Etude épidémiologique descriptive (Rétrospective)
Etude épidémiologique descriptive (Transversale)
Etude métrologique
Etude qualitative documentaire
Etude qualitative observationnelle
Etude qualitative par entretiens collectifs (focus groups)
Etude qualitative par entretiens individuels
Synthèse de la littérature (méta-analyse)
Synthèse de la littérature (revue simple narrative)

نماذج لمجالات الاطروحات في كلية الطب الباريسية

- اطروحات في تاريخ الطب

اذا ما تحدثنا عن تاريخ الاطروحات الطبية باعتبارها جزءا من الموروث التاريخي لعلم الطب؛ فان إزالة الستار عن هذا الأخير يتصادم وافتقار- او بالأحرى فقدان - الذاكرة العلمية لجملة من المعطيات.

ولخزانة BIU الرائدة في حفظ الموروث الطبي للجامعات الفرنسية مداخلتها في الموضوع " اذ لم تكن هناك التزامات تفرض على الكليات الاحتفاظ بهذه الوثائق (الأطروحات)، مما يفسر اختفاء العديد منها. لقد ظلت مجموعة من أطروحات النظام القديم كنزا دفينا، وإذا احتفظت BIU بمثل هذه المجموعة الهامة ، فذلك بفضل الاهتمام الشخصي لعميدين سابقين لكلية الطب. فمجموعة الاطروحات تلك تعتبر الوحيدة التي تتضمن التسلسل المتواصل لإنتاج كلية واحدة لما يقرب من ثلاثة قرون (القرن السادس عشر - أواخر القرن الثامن عشر)."

وعرفانا بمكانة الاطروحات الطبية في كشف الهوية التاريخية للطب؛ فقد انكب عدد من الطلاب لمناقشة

Aucun règlement n'imposait aux facultés de conserver ces documents(theses) ce qui explique que bon nombre d'entre eux ait disparu. Si la BIU Santé conserve une collection aussi importante, c'est grâce à l'intérêt personnel de deux doyens de la Faculté de médecine.

La collection des **thèses d'Ancien Régime** *est longtemps restée un trésor peu mis en valeur. Elle est considerée comme la seule collection qui comprend la suite ininterrompue de la production d'une seule et même faculté pendant près de trois siècles (début XVI^e^ siècle – fin XVIII^e^ siècle).*

La plus ancienne thèse de médecine conservée à la BIU, présidée par Jacques de Forment en 1539

موضوع من هذا القبيل في اطروحاتهم، وذلك منذ القرن العشرين في العديد من الجامعات الأوروبية تحت شعار "*un grand pan de l'histoire de la faculté reste à (ré)écrire…*"

جزء كبير من تاريخ الكلية لا يزال إلى (إعادة) الكتابة"، واستجابة؛ نوقشت مثل هكذا اطروحات:

Delage, Anna. ***Histoire de la thèse de doctorat en médecine d'après les thèses soutenues devant la Faculté de médecine de Paris***. Thèse d'exercice de Médecine. Paris : Librairie de la Faculté de médecine Ollier-Henry, 1913

Legrand, Noé. ***La collection des Thèses de l'Ancienne Faculté de Médecine de Paris depuis 1539 et son Catalogue inédit jusqu'en 1793***. Paris : Honoré Champion, 1913

Meyer, Véronique. ***L'illustration des thèses à Paris dans la seconde moitié du XVIIe siècle : peintres, graveurs, éditeurs***. préface de Bruno Neveu , Paris Musées, 2002

ثم توالت الاطروحات التي تنبش في تاريخ علم الطب؛ التشخيصي، الاجتماعي، السياسي وغير ذلك، وهذه مجموعة لتلك الاطروحات المناقشة بين اسوار الجامعات الفرنسية منذ سنة 2004:

Thèses d'histoire de la médecine (depuis 2004)

- **Du corps médical au corps du sujet : étude historique et philosophique du problème de la subjectivité dans la médecine française moderne et contemporaine** par Alexandre Klein
- **Le frisson et le baume : souffrantes et soignantes au siècle des Lumières** Nahema Hanafi
- **Préo[c]cupations de santé, savoir médical, et pratiques de soins sous l'Ancien Régime dans le Sud-Ouest atlantique** par Jean-François Viaud
- **Folles de maternité. Théories et pratiques autour du diagnostic de la folie puerpérale. (XVIIème – XXème siècles)** par Francesca Arena
- **Le Dr. Bourneville, l'hystérie et l'anticléricalisme au début de la Troisième République : un médecin à l'assaut des superstitions et des croyances religieuses** Philippe Galanopoulos
- **Médecine et politique dans l'oeuvre de Pierre-Jean-Georges Cabanis.** par Robert Mrozovski
- **Médecine et colonisation 1699-1803.** par Sarah Faraud
- **De « Monstre » à « Malformation »Histoire des représentations du corps difforme dans la société française du XVIème au XVIIIème siècle** par Aziza Maadi
- **L'IDEE D'INCONSCIENT, SA GENESE ENTRE PSYCHOLOGIE ET PHILOSOPHIE ET MEDECINE, DEPUIS LE 19ème SIECLE A NOS JOURS.** par Omar Reghaouat

SOCIETE FRANÇAISE POUR L'HISTOIRE DES SCIENCES DE L'HOMME

PAR NATRICHARD/23 MAI 2014 SFHSH.HYPOTHESES.ORG

3. نماذج من الاطروحات الطبية عبر التاريخ:

(أقدم أطروحة دكتوراه في الطب وثقناها في الموقع الخاص للخزانة الجامعية لعلوم الصحة بباريس **BIU** Bibliothèque interuniversitaire de Santé – Paris، ومن موقع **PicClick FR** انتقينا باقي الاطروحات المطروحة).

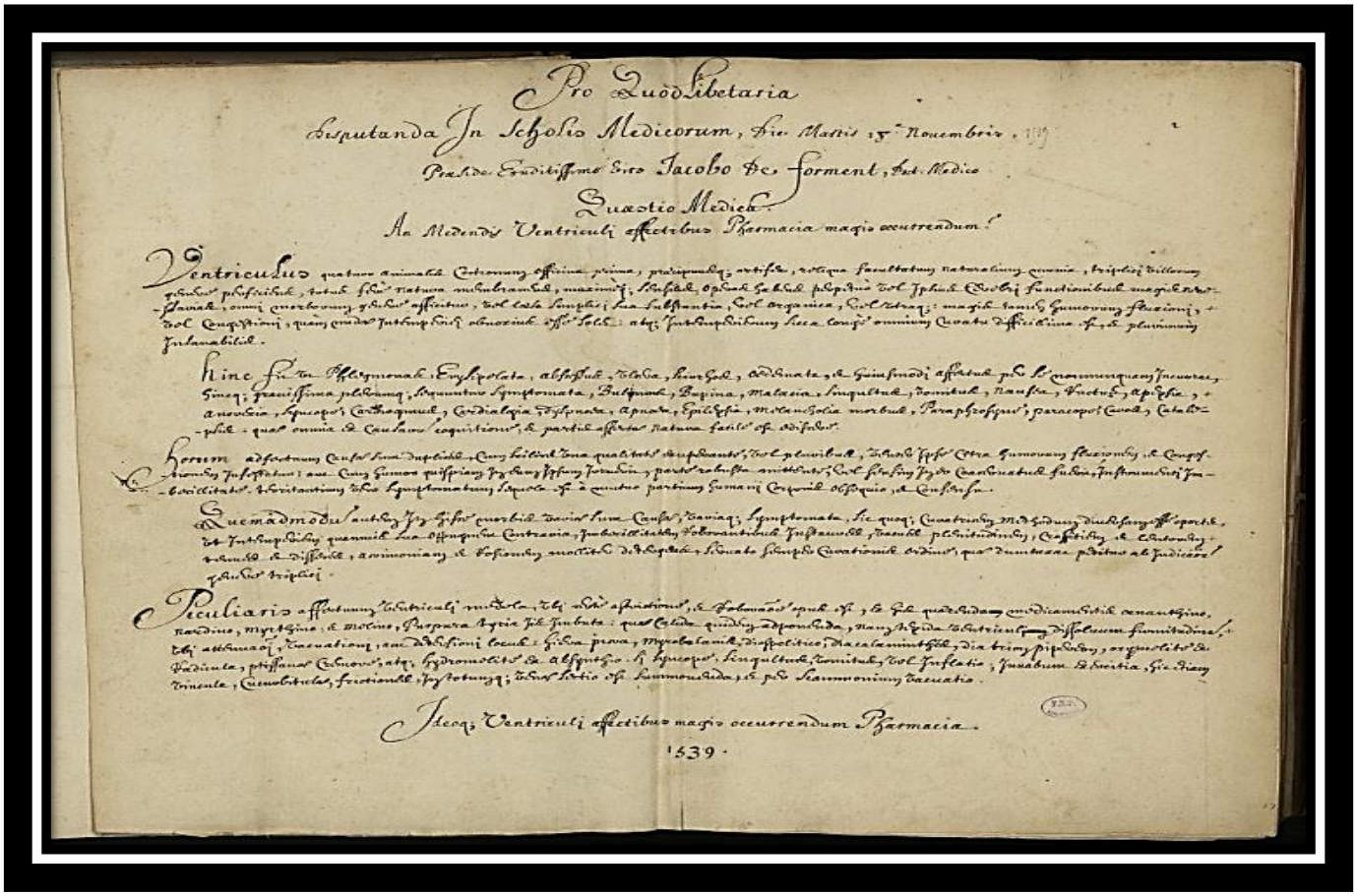

Pro Quodlibetaria

Disputanda In Schola Medicorum, die Martis 15ª Novembris, 1539

Præside Eruditissimo Viro Jacobo de Forment, Art. Medico

Quæstio Medica:

An Medendi Ventriculi affectibus Pharmacia magis occurrendum?

La plus ancienne thèse de médecine conservée à la BIU Santé, soutenue en 1539.

تعد هذه الاطروحة الطبية الاقدم في المجموعة؛ اذ تعود الى سنة 1539 ، نوقشت باللغة اللاتينية وهي مكتوبة بخط اليد. على ان اول الاطروحات المطبوعة تلت هذه بأربع وعشرين سنة:

La première thèse imprimée est celle soutenue par Claude Bazin en 1563, présidée par Claude Bailly et dont le titre est : « An mas celerius foemina tardius conformatur ? »

الاطروحات الطبية في القرنين 17 و18

QVAESTIO MEDICA
CARDINALITIIS DESPVTATIONIBVS

Thèse cardinale de Claude Quiqueboeuf, soutenue en 1622, An aqua vino salubrior ?

استخدامات الماء العلاجية؟

DISSERTATIO INAVGVRALIS MEDICA
DE
ÆGILOPE,
Consensu & Autoritate
GEORGIO WOLFF-
GANGO WEDELIO,
Medicinæ Doctore, Comite Palatino Cæ-
sareo, Theoretices Professore Ordinario, Consiliario &
Archiatro Ducali Saxonico,
PRO LICENTIA
JOHANNE FRIDERICO
JENÆ,

thèse Monoyer ophtalmologie optique médecine Johanne Friderico Aegilope1681

أطروحة في وسائل طب العيون

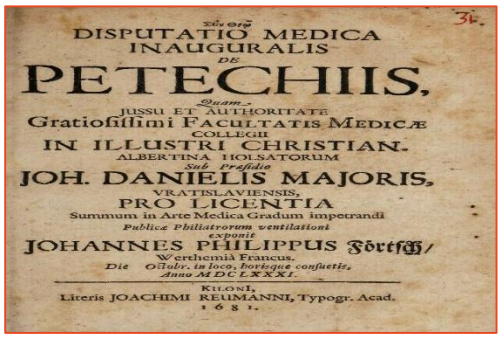
DISPUTATIO MEDICA
INAUGURALIS
DE
PETECHIIS,
JUSSU ET AUTHORITATE
Gratiosissimi Facultatis Medicæ
COLLEGII
IN ILLUSTRI CHRISTIAN-
ALBERTINA HOLSATORUM
JOH. DANIELIS MAJORIS,
PRO LICENTIA
JOHANNES PHILIPPUS
KILONI,
Literis JOACHIMI REUMANNI, Typogr. Acad.
1681.

Disputatio medica inauguralis de petechiis ,latin 1681

TENTAMEN
MEDICUM,
DE
HEPATITIDE,
AUCTOR,
MONSPELII.

These Medecine Montpellier. Tentamen Medicum. De Hepatitide. J.m. Barrau 1774

العلاج الدوائي للالتهاب الكبدي

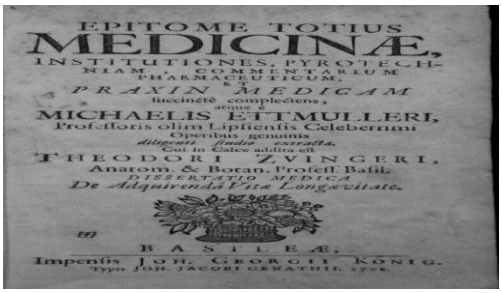
EPITOME TOTIUS
MEDICINÆ,
INSTITUTIONES, PYROTECHNIAM, COMMENTARIUM PHARMACEUTICUM,
ET
PRAXIN MEDICAM
succincte complectens,
AUCTORE
MICHAELIS ETTMULLERI,
Professoris olim Lipsiensis Celeberrimi
Operibus genuinis
diligenti studio extracta.
Cui in Calce addita est
THEODORI ZWINGERI,
Anatom. & Botan. Professi Basil.
DISSERTATIO MEDICA
De Antipraxeadi Vitæ Longævitate.
BASILEÆ,
Impensis JOH. GEORGII KÖNIG.
Typis JOH. JACOBI GENATHII, 1704.

1704 Ettmüller : Epitome Totius Medicinae

La Dissertation de Georg Conrad Wegelin en Bußweiler chez Strasbourg 1759

B. C. D.
DISSERTATIO INAUGURALIS MEDICA
DE
METASTASI
QUAM
SUB AUSPICIIS DIVINIS
CONSENSU
GRATIOSÆ FACULTATIS MEDICÆ
PRO LICENTIA
SUMMOS IN ARTE MEDICA HONORES
ET PRIVILEGIA DOCTORALIA
RITE CONSEQUENDI
DIE XV. JANUARII ANNI MDCCLIX.
PUBLICÆ DISQUISITIONI SUBJICIT
GEORGIUS CONRADUS WEGELIN
BUXOVILLA-HANOICUS.
M. L. Q. C.
ARGENTORATI, Typis JOH. HENRICI HEITZII Univers. Typ.

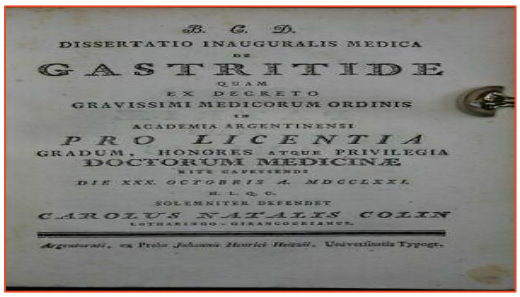
B. C. D.
DISSERTATIO INAUGURALIS MEDICA
DE
GASTRITIDE
QUAM
EX DECRETO
GRAVISSIMI MEDICORUM ORDINIS
IN
ACADEMIA ARGENTINENSI
PRO LICENTIA
GRADUM, HONORES ATQUE PRIVILEGIA
DOCTORUM MEDICINÆ
RITE CAPESSENDI
DIE XXX. OCTOBRIS A. MDCCLXXI.
H. L. Q. C.
SOLEMNITER DEFENDET
CAROLUS NATALIS COLIN
LOTHARINGO-GIRANCOURIANUS.
Argentorati, ex Prelo Johannis Henrici Heitzii, Universitatis Typogr.

1771 la Médicales Dissertation de Carl Colin Lotharingo-Girancourianus

CHARIERE, Henri. - Aperçu sur l'histoire de la médecine 1799

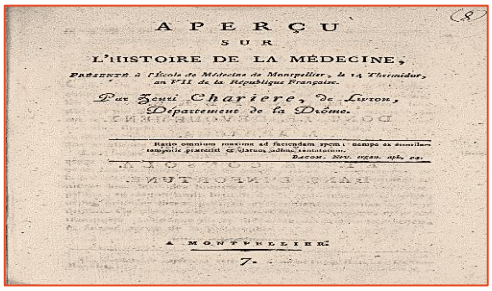
APERÇU
SUR
L'HISTOIRE DE LA MÉDECINE,
PRÉSENTÉ À l'École de Médecine de Montpellier, le 1A Thermidor, an VII de la République Française.
Par Henri Chariere, de Lyon, Département de la Drôme.
A MONTPELLIER.

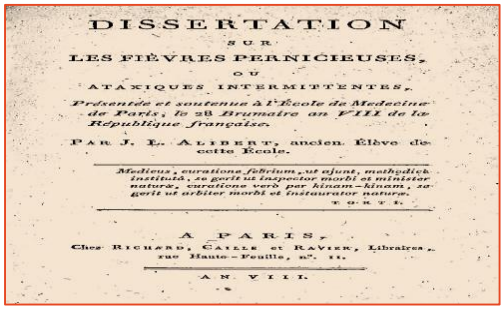
DISSERTATION
SUR
LES FIÈVRES PERNICIEUSES,
OU
ATAXIQUES INTERMITTENTES,
Présentée et soutenue à l'École de Médecine de Paris, le 28 Brumaire an VIII de la République française.
PAR J. L. ALIBERT, ancien Élève de cette École.
Medicus, curationes febrium, ut ajunt, methodicè instituit, ea gerit ut inspector morbi et minister naturæ; curationes verò per kinam-kinam, ac gerit ut arbiter morbi et instaurator naturæ.
TOTUS.
A PARIS,
Chez RICHARD, CAILLE et RAVIER, Libraires, rue Haute-Feuille, n°. 11.
AN VIII.

Dissertations sur les fièvres pernicieuses ou ataxiques intermittentes
thèse de médecine de Paris n° 14, 1799

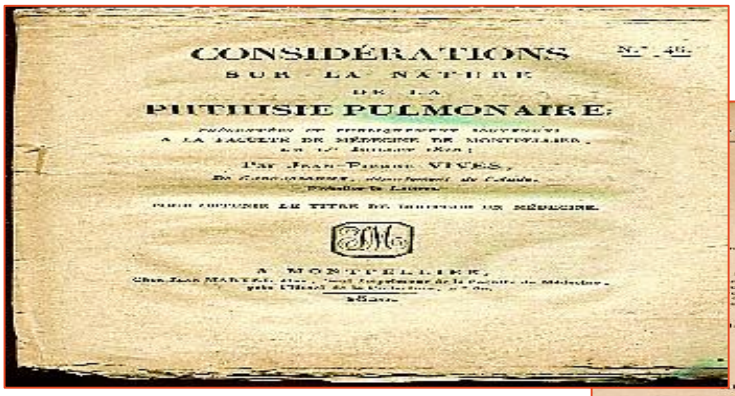
CONSIDÉRATIONS
SUR LA NATURE
DE LA
PHTHISIE PULMONAIRE.
Par Jean-Pierre VIVES,
A MONTPELLIER,

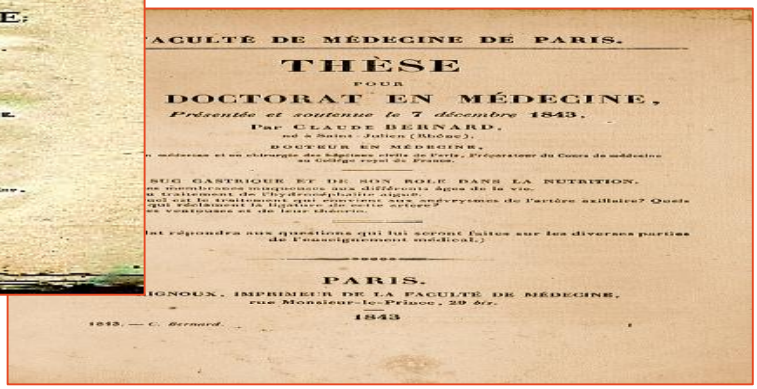
FACULTÉ DE MÉDECINE DE PARIS.
THÈSE
POUR
DOCTORAT EN MÉDECINE,
Présentée et soutenue le 7 décembre 1843,
Par CLAUDE BERNARD,
PARIS,
1843

ESSAI GÉNÉRAL ET CLINIQUE
SUR
LES LÉSIONS DU SYSTÈME OSSEUX.
THÈSE
PRÉSENTÉE ET PUBLIQUEMENT SOUTENUE
PAR
COMPAGNON
(JEAN-PIERRE-JULIEN),
MONTPELLIER,
IMPRIMERIE DE RICARD FRÈRES, PLAN D'ENCIVADE, N 3.
1846.

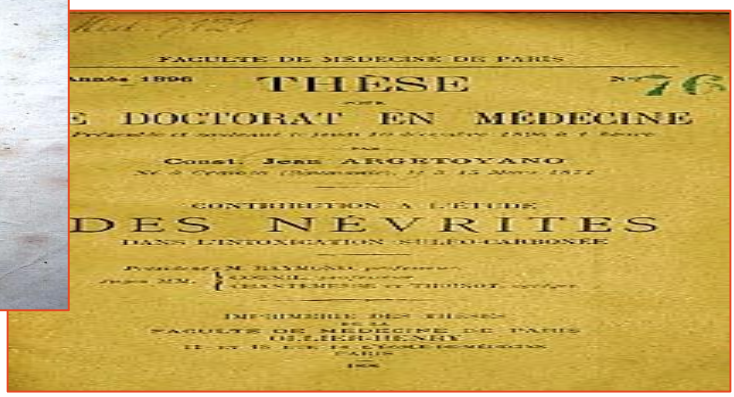
FACULTÉ DE MÉDECINE DE PARIS
THÈSE
DOCTORAT EN MÉDECINE
Conal Jean ARGERTOYANO
CONTRIBUTION A L'ÉTUDE
DES NÉVRITES
DANS L'INTOXICATION SULFO-CARBONÉE
PARIS

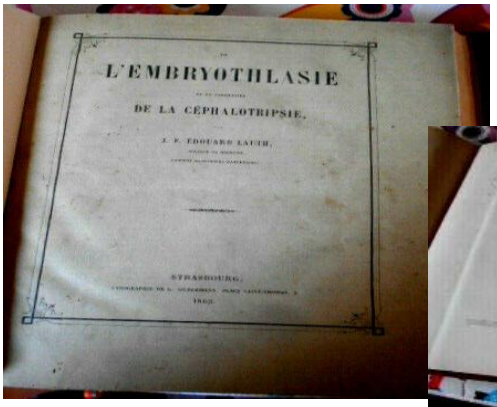
L'EMBRYOTHLASIE
DE LA CÉPHALOTRIPSIE,
STRASBOURG,

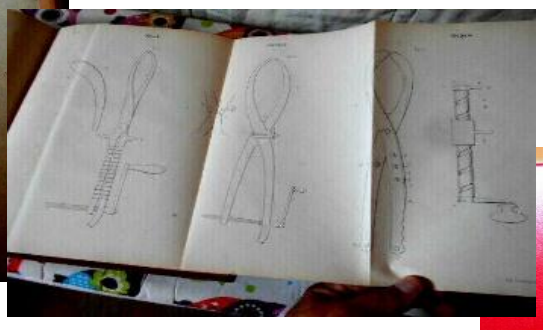

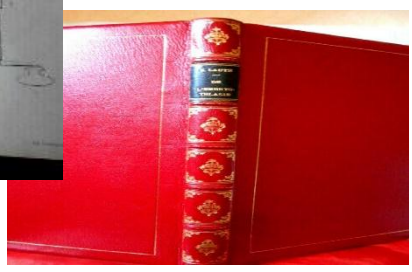

Médecine de L'Embryothlasie 1863 thèse envoi,10 planches superbe reliure rouge

4. القسم الطبي

وهنا لا بد لنا من وقفة متأنية متأملة، لنتحدث عن "الضمير" كمفتاح للممارسة الطبية السوية، فالوظيفة التي تتعامل مع الصحة والعافية، مع المرض والاحتضار، مع الحياة والموت...تستلزم ذلك.

ان الطبيب هو مفتي الناس في شأن صحتهم ومرضهم، يُعطى ثقة لا تُمنح غيره، وتوكيلا لا يحزه سواه، فترى المريض يصغي إلى الطبيب ويكشف له ما يعتبره سرًا عند اقرب محيطه...ونظير ذلك؛ وجب على الحكيم التحلي بالورع واستشعار المسؤولية بتمام النصح، وشدة الحذر، وبذل الوسع في التعامل مع حاجة المريض وتفهم معاناته، وتخصيص كل حالة بالفحص والتمعن، فما من حالتين مرضيتين متطابقتين.

وكان عهد او قسم أبقراط - الذي يعود الى ثلاثة قرون قبل الميلاد – اولاها. فالى "ابي الطب" يعزى وضع ولاء طالب الطب لمهنته، أستاذه وزملائه. الولاء الذي لا يزال متداولا حتى عصرنا الراهن؛ ورديفا لتخرج طلاب كليات الطب. "ولما رأى أن هذه الصناعة ـ التى يكبرها ويجلها ـ أوشكت أن تخرج منه إلى غيره. وضع عهدا استحلف فيه المتعلم لها: أن يكون ملازما للطهارة والفضيلة، وعرف فيه جميع ما يُحتاج إليه."[159]

[159] الهيبةُ والقداسةُ معنيان تجسّدا في مهنتيْ التعليم والطب/ صحيفة المثقف عدد 4717

قســـم أبقـــراط

{ أقسم بالطبيب أبولو وأسكليبيوس وجميع الأرباب وأشهدهم، بأني سوف أنفذ قدر قدرتي واجتهادي هذا القسم وهذا العهد. وأن أجـعل ذلك الذي علَّمني هذا الفن في منزلة أبويّ، وأن أعيش حياتي مشاركًا إياه، وإذا صار في حاجة إلى المال أن أعطيه نصيبًا من مالي، وأن أنظر بعين الاعتبار إلى ذريته تمامًا كنظرتي إلى إخواني وأن أعلمهم هذا الفن -إذا رغبوا في تعلمه- دون مقابل، وأتعهد أن أعطي نصيبًا من التعاليم الأخلاقية والتعليمات الشفهية وجميع أساليب التعليم الأخرى لأبنائي ولأبناء الذي علَّمني وللتلاميذ الذين قبلوا بالعهد وأخذوا على أنفسهم القسم طبقًا لقانون الطب، وليس لأي أحد آخر.

وسوف استخدم العلاج لأساعد المرضى حسب مقدرتي وحكمتي، ولن استخدمه للأذى أو لفعل الشر، ولن أعطي عقارًا مميتًا لأي إنسان، ولن أعطي اقتراحًا بهذا الشأن. وكذلك لن أعطي لامرأة دواءً مجهضًا. وسوف أحافظ على حياتي وفني بطهارتي وتقواي. وأيا كانت البيوت التي قد أزورها، فإنني سأدخل لنفع المريض، على أن أظل بعيدًا عن جميع أعمال الظلم المتعمَّد وجميع الإساءات. وسأمتنع بوجه خاص عن تشويه جسم أي رجل أو أي امرأة، سواء أكانوا من الأحرار أو الأرقاء. وسوف أظل حريصًا على منع نفسي عن الكلام في الأمور المخجلة، التي قد أراها أو أسمعها أثناء فترة المعالجة، والا انشر الأسرار.

فإذا ما وفيت بهذا القسم ولم أحِدْ عنه، يحق لي حينئذ أن أهنأ بالحياة وبالفن الذي شَرُفت بالاشتهار به بين جميع الناس في جميع الأوقات؛ وإذا ما أقسمت كاذبًا وحنثت القسم ونقضت العهد فيجب أن يكون عكس هذا نصيبي وجزائي.}

أما في عهد الحضارة العربية الإسلامية، فقد استعمل قسم ابقراط من حيث المبدأ مع التحفظ على القسم بالآلهة، وقد وُكِّل المحتسب في اخذ هذا العهد من الأطباء.

"على أن الدول الاسلامية لم تكتف الانجازات التي تمنحها الجهات العلمانية فحسب بل أشركت في منح هذه الإجازة المحتسب " ، فقد جاء في كتب الحسبة قسما خاصا بالأطباء وصناعتهم وانه ينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط."ونصه: [160]

"برئت من قابض أنفس الحكماء، ورافع أوج السماء، فاطر الحركات العلوية، إن خبأت نصحا وبدأت ضرا، أو قدمت ما يقل عمله. إذا ما عرفت ما يعظم نفعه، وعليك بحسن الخلق بحيث تسمع الناس واستفرغ لمن ألقى، إليك زمامه ما في وسعك فإن ضيعته، فأنت الضائع والله الشاهد على وعليك والسامع لما تقول، فمن نكث عهده فقد استهدف لقضائه، إلا أن يخرج من أرضه وسمائه ."

وفي التاريخ الحديث، ورغم انه لا يوجد بصفة عامة ما يجبر الأطباء على هذا القسم، ذلك أن مهنة الطب في هذا العصر محددة بنصوص قانونية. الا ان أداء القسم الطبي لا يزال متداولا كواحد من اهم الأعراف الطبية العريقة.

تجدر الإشارة أنه توجد على غرار هذا القسم نصوص أخرى تختلف حسب البلدان والانتماءات الدينية، لكن تبقى الصيغة - المتفق عليها في إعلان جنيف 1948 من قبل الرابطة الطبية العالمية – الأكثر تداولا:

[160] مجلة المقتبس/العدد 33/الحسبة في الإسلام .wikisource.org

القسم الطبي

بسم الله الرحمن الرحيم. أقسم بالله العظيم أن أراقب الله في مهنتي. وأن أصون حياة الإنسان في كافة أدوارها، في كل الظروف والأحوال، باذلًا وسعي في استنقاذها من الموت والمرض والألم والقلق، وأن أحفظ للناس كرامتهم، وأستر عوراتهم، وأكتم سرّهم. وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله، باذلًا رعايتي الطبية للقريب والبعيد، الصالح والطالح، والصديق والعدو. وأن أثابر على طلب العلم، أسخِّره لنفع الإنسان لا لأذاه. وأن أوقر من علمني، وأعلّم من يصغرني، وأكون أخًا لكل زميل في المهنة الطبية في نطاق البر والتقوى. وأن تكون حياتي مصداق إيماني في سري وعلانيتي، نقيًا مما يشينني أمام الله ورسوله والمؤمنين. والله على ما أقول شهيد.

قسم الطبيب نظم في إعلان جنيف عام 1948من قبل الرابطة الطبية العالمية.

في نفس السياق، يقول الدكتور الدباغ:

"على مر القرون، اتخذت قواعد السلوك الطبي الصيغة القانونية والرسمية، فصدرت عن السلطة وعن النقابات والجمعيات الرسمية في القرون الثامن والتاسع عشر والعشرين أصول إجراء البحث العلمي وعلاقة السلطة بالممارسة الطبية وفقرات كثيرة مما يتعلق بحقوق الإنسان عامة والمريض خاصة ومنها إن الطبيب هو إنسان غير معصوم وأنه مسؤول عن الإهمال والخطأ المقصود قبل كل شي ..وفيما عدى ذلك يترك الأمر للمحاكم والضمير والرأي العام."

ثم يستعرض الكاتب أنواع القواعد والضوابط التي وصفها أشهر الحكماء والجمعيات الرسمية، عبر التاريخ:

- إعلان جنيف للجمعية الطبية العالمية لعام 1948
- قسم الطبيب في الاتحاد السوفيتي الذي اقر عام 1948 وعدل عام 1968 في الاجتماع العام للجمعية الطبية العالمية.
- إعلان هلسنكي الذي اتخذ في الاجتماع العام في هيلسنكي عام 1964 ثم نقح في طوكيو عام 1975
- آداب السلوك المهني للجمعية الطبية الأمريكية عام 1980 في شيكاغو
- إعلان هاواي لآداب الطب النفساني في هونولولو عام 1977
- قواعد السلوك الطبي والطب النفساني للجمعية الطبية الأمريكية عام 1973
- الجمعية الطبية الإسلامية التي شكلت في شمال أمريكا.

ويكمل الكاتب مفسرا للاتفاقية التي صدرت عن الجمعية الطبية الإسلامية:

" والحقيقة ان الجمعية الطبية الإسلامية تبنت في عام 1980 قسما طبيا خاص بالطبيب المسلم، بدلا من اعتماد قسم ابقراط في العديد من كليات ومدارس الطب في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وكانت خطوة ممتازة بهذا الشأن. وقد ترجمه عن الإنكليزية في حينها الدكتور إبراهيم الصياد إحياء لتعاليم الإسلام الحنيف، ولوضع الصياغة الجامعة للتراث الطبي العربي الإسلامي ومبدئه في أصول وآداب ممارسة مهنة الطبابة، وليكون دليلا لجميع الأطباء المسلمين، وهو عندما يقرأ يشعر الإنسان انه مزيجا من الدعاء ممزوجا بالقسم"[161] ونصه على ما يلي:

[161] الدكتور الدباغ في كتابه "أزمة الطب المعاصر" المؤلف عام 1982

الحمد لله رب العالمين ، العلي العظيم ، الواحد العليم ، خالق الكون ومعلم الناس أجمعين ، له الدوام ابد الآبدين ، لانعبد إلا إياه إن الشرك لظلم عظيم.

اللهم ارزقني القوة لأكون صادقا..أمينا..متواضعا..رحيما...وهب لي الشجاعة لأقر بذنبي..وأصلح خطئي..وأعفو عن هفوات غيري ..وأعطني الحكمة لأريح غيري..وأقدم النصح الداعي للسلام والوئام..وامنحني الإدراك بأن مهنتي مقدسة تمس أعز ماوهبته للإنسان وهو العقل والحياة ..وأجعلني يارب جديرا بهذا الموقف المتميز بالشرف والكرامة والتقوى حتى أهب حياتي لخدمة البشر ..فقراء وأغنياء..حكماء وجهلاء..مسلمين وغير مسلمين..بيضا وملونين ..متحليا بالصبر والتسامح..بالفضيلة والوقار..والعلم ومراقبة النفس..وأملأ قلبي بالحب والرحمة لعبادك فهم أعز مخلوقاتك....وهاأنذا أقسم باسمك الكريم ياخالق السموات والأرض أن ألتزم بما أنزلته على رسولك الكريم محمد (ص) أنه ((من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا))

5. الاجازة الطبية

أ. الامتحان والاجازة

أصبح الامتحان في الطب وسيلة لا غنى عنها في التأكد من كفاءة ممارس المهنة الطبية ومكتسبات طالبها، وسيلة تُثبت جدارة وأهلية الطبيب المجتهد وتجيز لمتخطيها التصرف وتفتح له افاق الانضمام الى نخبة الحكماء. أما مفهوم الاجازة - الذي سبق أن خصصناه بتحليل واف في مستهل بحثنا – فهو مشتق من فعل أجاز يجيز أي أباح ورخص، والإجازة الطبية تفيد في مصطلحاتنا الحديثة الشهادة الممنوحة من الكليات والجامعات والمعاهد المختصة في تدريس الطب؛ وذلك بعد ان يستوفي طالبه سنين دراسته ويجتاز جميع امتحاناته.

هذا التقليد الاكاديمي العريق تعود أصول تداوله الى زمن الخلافة العباسية، فبالموازاة مع ظروف فرض الامتحان في الطب التي ذكرنا أنفا، وبالتزامن مع تكليف الخليفة المقتدر رئيس أطباءه سنان بن ثابت باختبار كل متعاط للصنعة الطبية، سُن دور الاجازة كشهادة على نجاح المتطبب في محنته؛ تزكي معلوماته وتتيح له الممارسة.

" يقول ابن القفطي[162]: أن أول من نظم صناعة التطبيب وقيدها بنظام خاص حرصا على مصلحة الجمهور هو الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن المعتضد " ففرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول على اجازة تخوله هذا الحق بين الناس. وامر أبا ابراهيم بن محمد ابن أبي بطيحة المحتسب منع سائر المتطببين من التصرف، الا من امتحنه سنان بن ثابت بن قره وكتب له رقعة خط فيها ما يطلق له التصرف فيه من الصناعة.

[162] القفطي/ البيمارستانات في الحضارة الإسلامية، خلف أحمد محمود أبو زيد/ مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند العدد7

ويكمل ابن القفطي الرواية فيقول : فصاروا رأي الأطباء إلى سنان وأمنحتهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتعرف فيه ، وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيف وستين رجلا."[163]

قبل هذه البادرة، كان الاجازات العلمية محصورة في علوم الحديث، ثم تجاوزت ذلك لتشمل العلوم العقلية بريادة طبية وبسابقة إسلامية فريدة تجعل من الاجازة/الشهادة صلة وصل بين التعلم والممارسة.

"وصار النظام بعد ذلك ومتي أتم الطالب دروسه، يتقدم إلى رئيس الأطباء وطلب اليه اجازته لمعاناة صنعه الطبيب. وكان الطالب يتقدم اليه برسالة في الفن الذي يريد الحصول على الإجازة في معاناته ، وهذه الرسالة أشبه ما يسمى اليوم (أطروحة)، وقد تكون هذه الرسالة للمعلم أو لأحد مشاهير الأطباء المتقدمين أو المعاصرين فيمتحنه فيها، ويسأله في كل ما يتعلق فيها من الفن؛ فاذا أحسن الأجابة أجازه الممتحن مما يطلق له التصرف فيه من الصناعية ."[164]

---

[163] نفسه

[164] تاريخ البيمارستانات في الإسلام/ احمد بك ص 43

ب. امثلة لاجازات طبية

❖ الأجازة الأولى

نستهل بالاجازة الموقعة من الحكيم ابن النفيس، يشهد فيها على أن تلميذه شمس الدولة أبو الفضل قد قرأ وأتقن تعليق الطبيب الاستاذ حول مقالة أبقراط. وذلك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

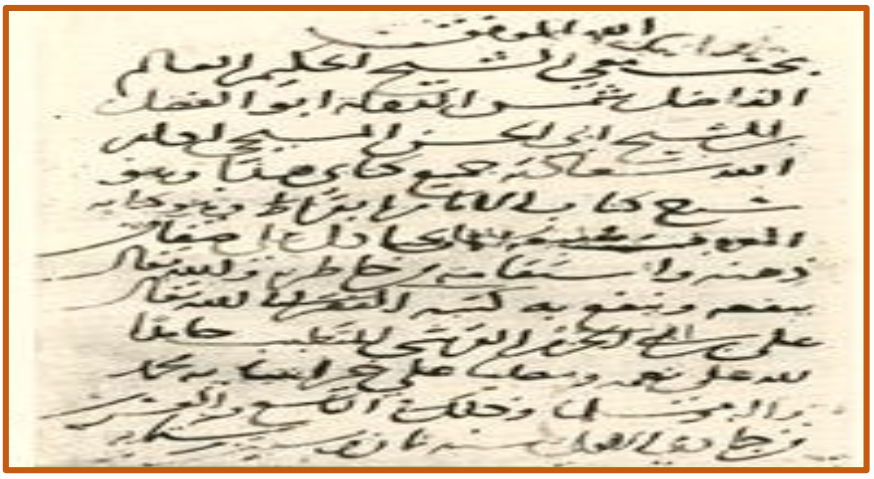

شهادة موقعة صادرة عن ابن النفيس بخط يده ومؤرخة في 668 هـ/ 1270[165]

الله الموفق بحث معي الشيخ الحكيم العالم الفاضل شمس الدولة أبو الفضل بن الشيخ ابي الحسن المسيحي ادام الله سعادته جميع كتابي هذا وهو شرح كتاب الامام ابقراط كتابه المعروف...يجادل علي صفاء ذهنه واستقامة خاطره...وتعالى يفهمه وينفع به. كتبه الفقير الى الله تعالى عن ابي الحزم القرشي المتطبب حامدا الله على نعمه ومصليا على خير انبيائه محمدا واله ومسلما

[165] فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في المكتبة الوطنية لعلم الطب/ Ms.A69 Fol. 67b Islamic Medical Manuscripts nlm.nih.gov

❖ الاجازة الثانية

هي اجازة المتطبب محمد عزام في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كتبها له الشيخ شهاب الدين ابن الصايغ الحنفى رئيس الأطباء بالديار المصرية على حفظه الرسالة. نسرد جزءها المحفوظ على ان باقي الفقرات مفقودة.

الحمد لله بمنه أستمد العناية، والحمد لله الذي وفق من عباده من اختار قديمية الفقراء والصالحين، وهدى من شاء الطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الأوقات والأزمان إلى يوم الدين.

وبعد فقد حضر على الشاب الموصل شمس الدين محمد بن عزام بن ..... أبن .. (كلمات مفقودة) على المؤذن الجروان " المتشرف بخدمة الجراح والمعقيد. خدمة الشيخ الصاع بقية السلف الصالحين العارفين وشيخ طائفة الجراحين بالبيمارستان المنصوري هو الشيخ عبد المعطي المشهور بابن رسلان نفعنا الله بيركانه ورحم أسلافه العارفين الصالحين

وعرض على جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة العضد ووقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة والرسالة المذكورة للشيخ الإمام العلامة الحمام شمس الدين محمد بن مساعد الأنصاري" شكر الله سعيه ورحمه واسكه بحايح جناته يمنه وكرمه ، عرضا جهدا دل على حسن حقله للرسالة المذكورة وقد أجزته أن يرويها عني بحلفي روايتها وغيرها من الكتب الطبية (باق الاجازة مفقود)

166

166 الإيجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 ه الى - 10 ه ص24

❖ الاجازة الثالثة

وهي من القرن الحادي عشر الهجري أصدرها الحكيم المعلم "محمد بن علي" رئيس الجراحين بدار الشفا المنصوري (قلاوون)، لتلميذه " شمس الدين محمد"، بعد مناقشته لرسالة بعنوان « برء الالام في صناعة الفصد والاحجام»[167] المنسوبة الى الشيخ شمس الدين الشربيني الجراح. إجازة مفصلة منظمة غنية تعكس رقي كاتبها ترفع قدر صاحبها وتمتع قارءها.

[167] الاجازات والتوقيعات المخطوطة.(مرجع سابق)...ص 25

بسم الله الرحمن الرحيم من حمد الكون أستمد العون ، الحمد لله الذي جعل هذه الأمة بالطب المملى شفا، أحمده حمدا يتقوى به الضعيف، وأشكره شكرا وافيا بكون لنا نعم العلاج عند الحكيم. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي جعل العضد والحجامة الأبدان من أنفع العلاج، (كلمات مفقودة) سقف الحرارة الردية والمزاج ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي قطع عرق الاشتراك، وعلى آله وأصحابه السادة النساك ، الذين جمعوا بالعلم والفصاحة بين الحكمة وفصل الخطاب، وعالجوا زمان الجهل بحسن تدبيرهم .

وبعد فقد وقفت على هذه الرسالة العظيمة، والمقالة الكريمة، الموسومة «بيرة الآلام في صناعة الفصد والحجام» نظم لووعى زمانه، وألعى عصره وأوانه الشمس شمس الدين محمد القيم شهرة، الجراح صنعة ومهرة، أصلها للشيخ الفاضل الشيخ شمس الدين الشربيني الجراح . لا زالت أبيب الرحمة والرضوان على قبره غادية رائحة، أذ هي في هذا الفن أسمى المقاصد , قد قرأها عليه قراءة اتقان وامعان ، فلم ير بدا من أن يسلها ليشهر حفظ تلك الفوائد ، ولتسهل ضبط تلك القواعد، قد أجاد ناظمها في تحقيقها ، وبذل الجهد في تحريرها وتدقيقها ، وأتقن الفاظ ميانها , وغاص في بحار معانيها ، وأستخرج الدر الثمين من أجلها ، وجمع بين فصلها ووصلها ، ولقد صارت في هذه الصناعة العمدة والكفاية ، وأعترف لها الكامل انها المنهاج والهداية ، ونسيت بها التذكرة ، ولم يبق هنا العلم تذكرة حميدة . وصرح تاريخ الأطباء أنها تعي ما في القانون . فلما ظهرت نتيجة الانتخاب في المسألة والجواب وتغذي ناظم سلكها بالخاص من اللباب ، وصارت الخنار تعقد، استحقي راقم وشيها وناسج بردها أن تتوج بتاج الاجازة فاستخرج الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح . وهو أن يعالج الجراحات التي تبرا باليط، ويقلح من السنان ما ظهر له من غير شرط . وأن يقصد من الأوردة ويتر الشرايين وأن يقلع من الأسنان الفاسدة المعصومين (كذا)، وغير ذلك وطهارة الأطفال ، هذا مع مراجعه وخدمته لرؤساء هذا الفن المتحرين ، والمهرة الأساتذة العارفين مع تقوى الله والنصح في الصناعة ، ولا يخشى مع ذلك من كساد البضاعة . ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا واياه الصالح الأعمال ، في كل حال ومال ، اللهم إني أسألك من فضلك العظيم مغفرة لذنوبنا وعافية لأبداننا ، لا اله غيرك ، ولا مرجو الا خيك رب العالمين .

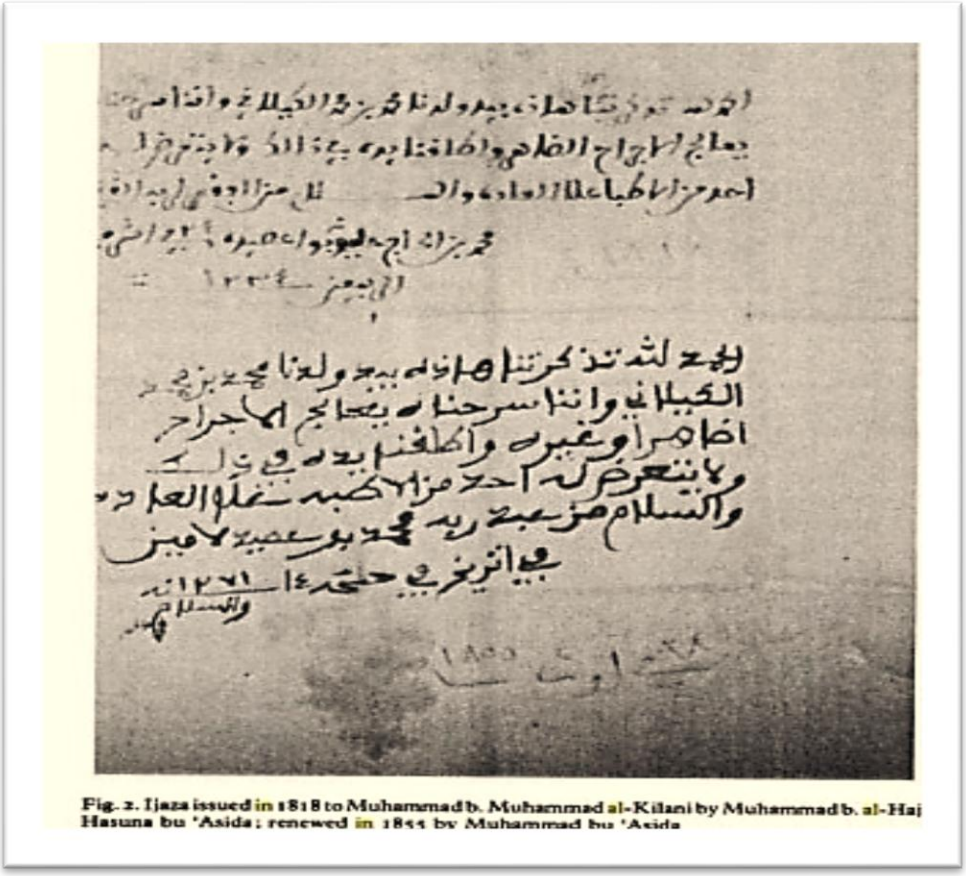

Fig. 2. Ijaza issued in 1818 to Muhammad b. Muhammad al-Kilani by Muhammad b. al-Haj Hasuna bu 'Asida; renewed in 1841 by Muhammad bu 'Asida

إجازة طبية تونسية 1818[168]

الحمد لله تذكرتنا هذه بيد ولدنا محمد بن محمد الكيلاني، واننا سرحنا ان يعالج الاجراح ظاهرا وغيره، واننا قد اطلقنا يده في ذلك فلا يتعرض له احد... والسلام من عبد ربه محمد بن العميد الأمين في التاريخ 1281 والسلام.

[168] Medicine and power in Tunisia, 1780-1900 by Nancy Elizabeth Gallagher

ج. الاجازة في الطب والمؤسسات

اتخذ نظام منح الاجازات الطبية منحى اخر، فبعد ان كان المجيز هو المعلم الذي واكب تعلم طالب الطب وأشرف على امتحانه؛ تبلور السياق في اقصى الغرب الإسلامي، وأبدع حكماء حاضرة فاس في جعل إجازة الطب أكثر موضوعية وأكثر اندماجا فيما يسمى بالطب المجتمعي، وذلك بمحاولة تعميم خبر إجازة الطبيب المجتهد، والوسيلة خطوتان في غاية الذكاء:

- منح الاجازة باسم المؤسسة التعليمية بدلا عن الأستاذ المعلم
- تخصيص تسليم الاجازة بمراسم خاصة وسط حضور جمع من الأعيان والعلماء

وفي هذا السياق كانت جامعة القرويين أول جامعة تمنح إجازة في الطب كمؤسسة علمية؛ وكان ذلك في سنة 603 ه الموافق ل 1207م وكان الطبيب المجاز هو عبد الله بن صالح الكتامي ثم توالت الاجازات الممنوحة من هذا الصرح العلمي قرونا عدة. ولنا عودة مفصلة الى الموضوع الذي استوحينا منه عنوان اطروحتنا.

ولما كانت مهنة الطب تخضع لضوابط الأحكام الشرعية ضمن منظومة الحسبة؛ فقد كانت الاجازة الطبية عبارة عن رخصة عمل لمن توفرت فيه شروط "معرفة طبائع الأدوية والنبات والحبوب والأشجار والمعادن... ومن جهل طبع الإنسان وطبع الأمراض والأدوية فلا يحل له الانتصاب إلى معالجة الناس بقول أو فعل."[169]

[169] أوملیل (علي) ، جمعية تاريخ المغرب، العدد 3، ص 30.

لقد استمر منح الاجازات الطبية من جامعة القرويين دهرا من الزمن، في ترجمة واضحة لما كانت عليه الدراسات الطبية من العطاء والإنتاج العلمي الذي – وللأسف - لم تربطه بعدد الاجازات الموثقة علاقة تناسبية.

وهنا نذكر مقالا - لم يتسنى لنا التأكد من رسمية مصادره – يخبر ان عملية منح الإجازات الطبية، من خارج مؤسسة القرويين، ظلت قائمة حتى أواخر القرن التاسع عشر ولو بكيفية محدودة ومتقطعة، من ذالك الإجازة الطبية التي حصل عليها الطبيب إبن عبد الرحمان الوزاني الوهراني، بإذن بعض أشهر العماء وقتداك وهما عبد الهادي الصقلي قاضي فاس والعالم محمد القادري، وبتصفح محتويات الإجازة يتبين أنها لم تقتصر على جرد كفاءة المجاز وإلمامه بأمور الطب وخاصة ذات الإنسان وما يتعلق بها من الأحشاء، المفاصل، العظام، وبعض الأمراض التي تصيبها؛ وإنما بينت كذلك على دراية المجاز بالأعشاب أنواعها وخصائصها..." [170]

والمشوق في هذا البحث، هو انه كلما غصنا في غياباته؛ ظهرت لنا تفاصيل أخرى. فقد ذُكر ان أخر إجازة منحت من القرويين في ميدان الطب كانت سنة 1893م [171]. وهذا نصها مقتبس من كتاب "رجال ونبات المغرب" لجمال بلخضر الذي يذكر ان النسخة الأصلية متواجدة بمتحف بفرنسا.

[170] الطبابة والعلم بالدول العربية من الريادة إلى التبعية الجزء الأول/ منتدى تاريخ العلوم ستارتايمز

[171] دبلوم طبيب مغربي بفاس عام 1832 [مقالة] عبد القادر كحاك / persee.fr

Voici le texte de l'un des derniers diplômes de médecine, délivré par l'université Qarawiyine de Fès le 25 avril 1893 , et qui permet d'apprécier le niveau des connaissances qui étaient exigées à cette époque des étudiants en médecine.

« Le candidat a la connaissance réelle des sciences certaines telles que l'art de la médecine reconnue par la loi, aussi la science fondamentale des quatre éléments d'où découlent les connaissances physiques. Il sait composer les médicaments entre eux pour en obtenir des effets violents ou modérés. Il sait classer les veines du corps, connaît leurs fonctions et leur nombre, ainsi que le nombre des os. Il distingue les nerfs fléchisseurs et extenseurs du corps ainsi que les tendons et les muscles. Il connaît les plantes, les herbes médicinales et les fleurs, leurs vertus actives ou négatives, leurs noms, leurs genres, leurs espèces. Il sait les distiller à l'époque utile de leur force ou de leur innocuité et les administrer aux heures convenables. En conséquence, après en avoir délibéré, les examinateurs lui ont conféré ce diplôme, qui lui fait honneur dans l'art pour lequel il a été examiné. Après quoi, ils l'ont congédié pour se rendre où bon lui semblera».

Le diplôme est signé par quatre professeurs en médecine dont deux originaires de Fès, un de Salé et un des Doukkala

172

"ويحصل دارس الطب على شهادة تخول له ممارسته، ففي شوال 1310هـ/ 1896م اجتمع أربعة من علماء فاس لامتحان طبيب، حيث شهدوا له بعد استفساره بتضلعه ومعرفته للطب وقوانينه وتطبيقاته، وكذا معرفته بتركيب الأدوية وتقاسيم الشرايين ووظائفها وعددها، وعدد العظام، وتمييزه بين أنواع العصب والعضلات في الجسم ومعرفة النباتات والأزهار والأعشاب الطبية وخواصها وأسمائها وطرق إذابتها في الوقت الصالح والأوقات المناسبة."[173]

ومن هنا؛ يتبين ما كان عليه المستوى التعليمي الطبي في القرويين من الرفعة والقدر، فالانتماء الى طبقة الحكماء رهين بالالمام بالعلوم النظرية وحسن استعمالها تطبيقيا.

---

[172] jamal bellakhdar, Homme et plante au maghreb p 94, (Collection des manuscrits marocains du Maréchal Lyautey, Château de Thorey,)

[173] أوملیل (علي) ، جمعية تاريخ المغرب عن موقع anfasse.org

د. الاجازات الطبية في التاريخ الاوروبي

انطلاقا مما سبق، نخلص الى ان أسلافنا هم من ابدعوا في إدماج الاجازات العلمية في مسار الدراسات الطبية، اجازات كان لها من المقاصد العلمية والإنسانية ما جعلها وسيلة ناجعة لضمان حسن سير الممارسة الطبية بين الرعية. ولان نور علم حضارتنا العربية الإسلامية كان وهاجا ساطعا؛ ولان رواده كانوا من الرقي والكرم في ان تفانوا في نشره وتعميم فائدته؛ فقد اقتبس منه الغرب شهبا أوقدوا بها شعلة حضارتهم.

تحدثنا سابقا عن اسهامات علم وعلماء الإسلام في تأسيس المناهج التعليمية للجامعات الأوروبية ابان القرون الوسطى؛ وما صاحب ذلك من ادماج لمفهوم الاجازة الذي تطور من شهادة الى رتبة اكاديمية. كما فصلنا في تاثير حضارتنا في الطب كمادة علمية؛ ابتداءا من الكتب المقررة الى المنهجية النظرية والتطبيقية فالامتحان في الطب. فماذا عن الإجازات الطبية؟

"أما عن تاريخ نشأة الاجازات في الغرب وطريقة منحها، فلم يكن واضحا تماما اللهم الا تلك الرواية التي ذكرها (هاسكنز) وهو أن الطالب كان يتلقى العلم، ثم يطلب شهادة في عمل ملموس يتقدم به. ومن ثم فلم تبرز في الغرب الملامح الخاصة بالتعليم المنظم المألوف في الشرق، اللهم الا في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد (السادس والسابع للهجرة) فحسب. "[174]

C'est également l'étudiant qui est seul juge de ses capacités et qui décide s'il a suffisamment de connaissances pour pratiquer. Il demandera alors sa licence d'exercice au maître auprès duquel il sera resté la dernière année.

[175]

[174] د. احمد رمضان/ الإيجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 ه الى 10ه

[175] Caroline Darricau-Lugat , Regards sur la profession médicale en France médiévale(XIIe – XVe)

وأمام هذه الفردية التعليمية، بدا من الضروري تشكيل منظومة متكاملة ترمو ضمان حقوق طلبة الطب والاعتراف بجودة تكوينهم من خلال الألقاب والديبلومات ذات القيمة المحددة. وسيتم تحقيق هذا الهدف من خلال إدماج الدراسات الطبية في منظومة التعليم الجامعي:

déjà en 1140 Roger, roi de Sicile, avait tenté d'interdire la pratique de la médecine à quiconque n'était pas doté de diplômes approuvés par l'État

وفي 1231 عاقبت سلطة الجامعة وفق دستور فريدريك الثاني كل من الأطباء الذين مارسوا الطب دون شهادة من الجامعة السالرنية .وفي 1280 اصدر أول نظام للاعتراف الخالص من الجامعة[176].

il est nécessaire que le corps médical puisse former un ensemble cohérent pour pouvoir ainsi faire reconnaître ses droits et pouvoir se défendre. Pour cela, la qualité de médecin doit être reconnue par des titres et des diplômes de valeur certaine. Ce but sera atteint par l'entrée de la médecine au sein de l'enseignement universitaire.

[177]

ومع بوادر التعليم الطبي الجامعي المدني سيتم ومنذ القرن الثالث عشر؛ التحرر من السلطة البابوية في الإشراف عن مناحي الحياة العلمية، وستحصل الجامعات تدريجياً على الحق الحصري لتدريب الممارسين الطبيين ومنحهم الاجازات. هذه الخطوة أدت الى تقليص عدد الخريجين.

Ainsi, en s'appuyant sur les recherches de Danièle Jacquart, plus de la moitié des étudiants en médecine connus entre le XII^e et le XV^e siècle atteindront le diplôme de la maîtrise et 38% d'entre eux deviendront docteurs-régents. Par contre, 34% des étudiants ne parviendront pas à la licence en raison principalement de l'échec. Donc, à partir du XIII^e siècle, les universités vont peu à peu acquérir le droit exclusif de former les praticiens en médecine.

[178]

---

176 المدرسة الطبية السالرنية/ ويكيبديا

177 Caroline Darricau-Lugat , Regards sur la profession médicale en France P 15

178 IBID P21

وهكذا أصبحت الاجازات/ الديبلومات الطبية معيارا علميا اساسيا تثبت من خلاله أهلية الطالب الطبيب، خاصة اذا تم الحصول عليها من كلية مشهورة مثل باريس أو مونبلييه؛ حينئذ قد تسمو بصاحبها الى طبقة النبلاء. وقد كانت هذه الامتيازات عنصر تميز للجامعة وجذب للطلاب.

un diplôme obtenu dans une faculté de renom comme Paris ou Montpellier donne ipso-facto la noblesse personnelle, ce qui attire les étudiants. De même, les titulaires de chaires peuvent obtenir la noblesse héréditaire après vingt ans d'enseignement.

179

ومع نهاية العصور الأوروبية الحديثة؛ وتحديدا في بداية القرن الثامن عشر، اعتمدت رتبة الدكتوراه في الطب مرادفة لشهادة نهاية الدراسات الطبية.

مصطلح "الدكتوراه" مشتقة من اللاتينية *Docere* معنى "يدرس".و"*الدكتور*"من *Doctum*، "ذلك الذي اتم

وتعد الدكتوراه أعلى شهادات التخصّص في مجال ما، تمنحها الجامعات المعترف بها، وهي تخوّل هذه الشهادة حاملها للتدريس، اما الدكتوراه في الطب؛ فهي تعادل شهادة التخرج اللازمة للانتساب لجمع الأطباء ولممارسة المهنة. وجرت العادة ان تُمنح الدكتوراه بعد تقديم أطروحة مطبوعة ومناقشتها أمام لجنة من الأساتذة المتخصصين مناقشة علنية، ولنا عودة لموضوع الاطروحات الطبية في القادم من الفقرات.

179 Michel Peyret, Les origines de la faculté de médecine de Montpellier www.gm.univ-montp2.fr

وبالرجوع الى تاريخ إدراج درجة الدكتوراه في سلك الدراسات الطبية باوروبا، واعتمادها كوثيقة أساسية مرَخِّصة لمزاولة الطب، فإننا نجد في موقع جامعة "جلاسجو" إشارة الى أن عددا من الرجال ذوي الخبرة في الطب تقدموا إلى الجامعة للحصول على تلك الدرجة. كما ان أول خريج طبي من الجامعة المذكورة كان يدعى "صموئيل بنيون"، وقد حصل على درجة الدكتوراه بعد فحص شفوي لأعراض المريض؛ كما يُعتقد أنه قد طُلب منه تشخيص المرض وأسبابه وعلاجه. وذلك في الخامس من أكتوبر عام 1703.

At the beginning of the Century, a number of men with experience in medicine began to apply to the University to be examined for the degree of medicine. The first medical graduate ofGlasgow was an Englishman, Samuel Benion. He was given the degree of Doctor of Medicine after an oral examination of a patient's symptoms on 5th October 1703. He was thought to be asked to diagnose the illness, the nature of the illness and its cure.

180

بعد ذلك؛ ومع بداية القرن الثامن عشر، اصدر نابليون مرسومه الخاص بتنظيم الممارسة الطبية الصادر سنة 1803 والذي اكد ضرورة الحصول على الدكتوراه.

Le décret napoléonien du 11 mars 1803 soumet l'exercice de la médecine à l'obtention d'un doctorat

181

---

180 Glasgow University's First Doctor of Medicine, Scottish Medical Journal, 1979 p76-79

181 Répertoire méthodique sur l'enseignement médical p, 13

وفي ما يلي أمثلة لشهادات الطب الأوروبية الممنوحة من القرن الثامن عشر حتى العشرين:

Sceau de la faculté de médecine
Diplôme de médecine de Louis-Jérôme Raussin, 29 novembre 1747[182]

(أما القادم من وثائق الاجازات/ الديبلومات فمصدره من موقع الوثائق التاريخية picclick.fr)

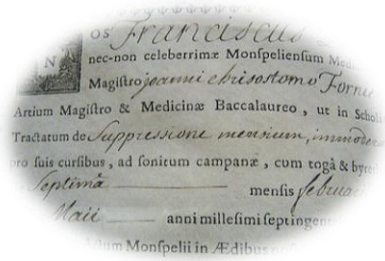

Ancien Diplôme de Médecine 1761

SCÉRÉN-CRDP de Champagne-Ardenne BM Reims, fonds Guelliot © [182]

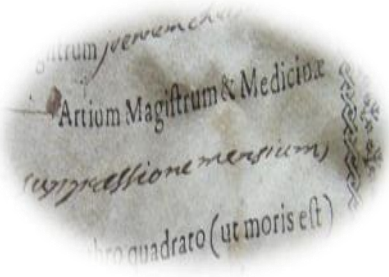

Diplome De Maitre De Conference Faculte De Medecine De Montpellier 1767

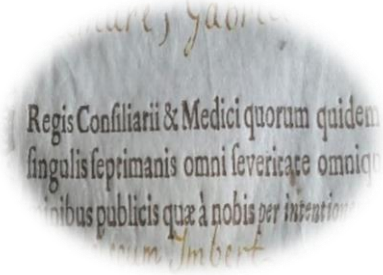

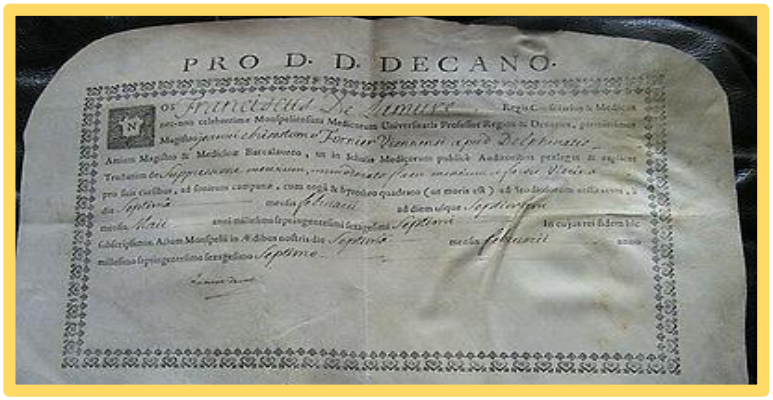

DIPLOME DE MEDECIN DE L UNIERSITE DE MONTPELLIER 1768

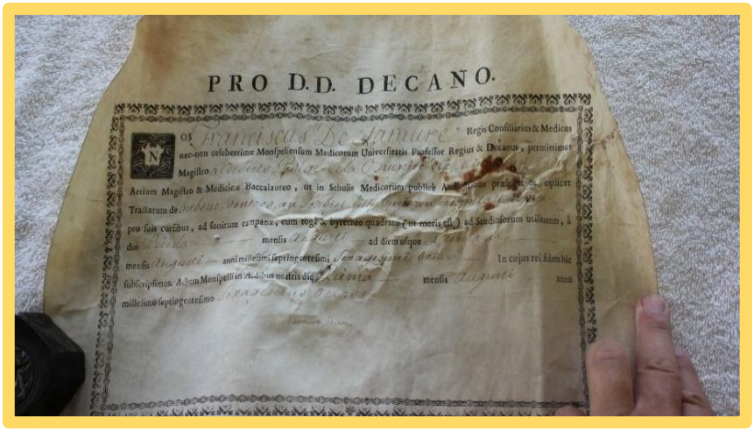

Diplome De Maitre De Conference Faculte De Medecine De Montpellier 1767

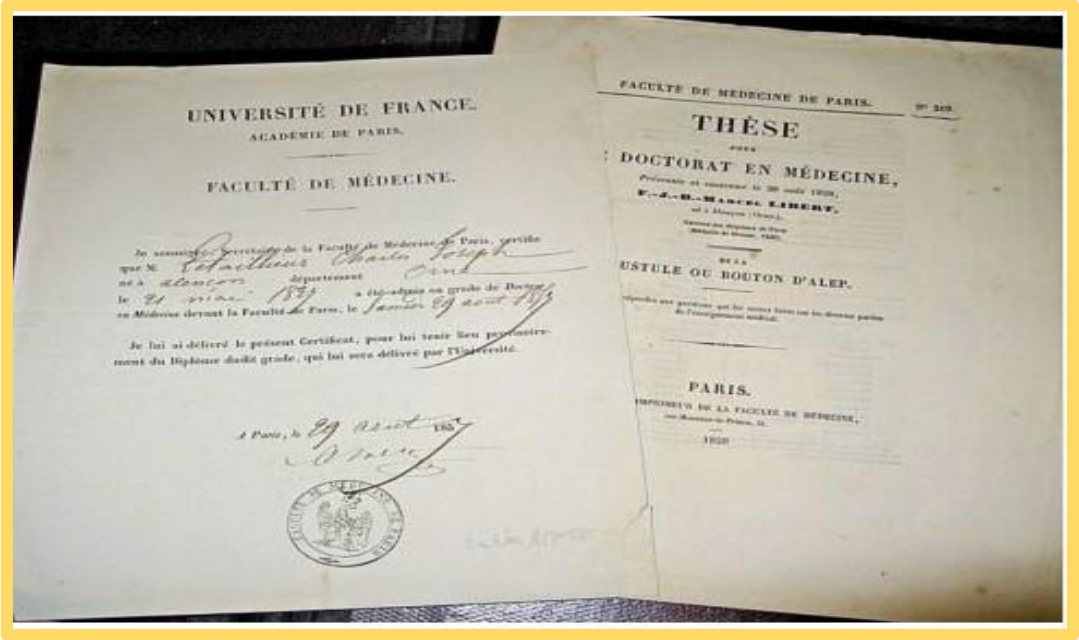
UNIVERSITÉ DE FRANCE.
ACADÉMIE DE PARIS.

FACULTÉ DE MÉDECINE.

FACULTÉ DE MÉDECINE DE PARIS.

THÈSE
POUR
DOCTORAT EN MÉDECINE,

USTULE OU BOUTON D'ALEP.

PARIS.

CERTIFICAT DIPLOME MEDECIN PARIS LETAILLIEUR A ALENCON 1857 Signé + THESE LIBERT

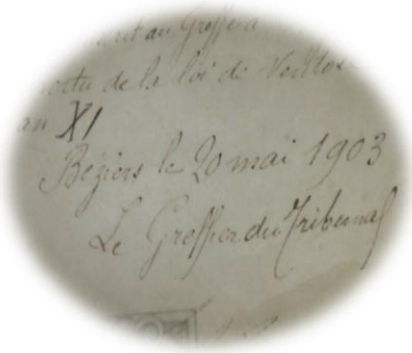
Bézions le 2 mai 1903

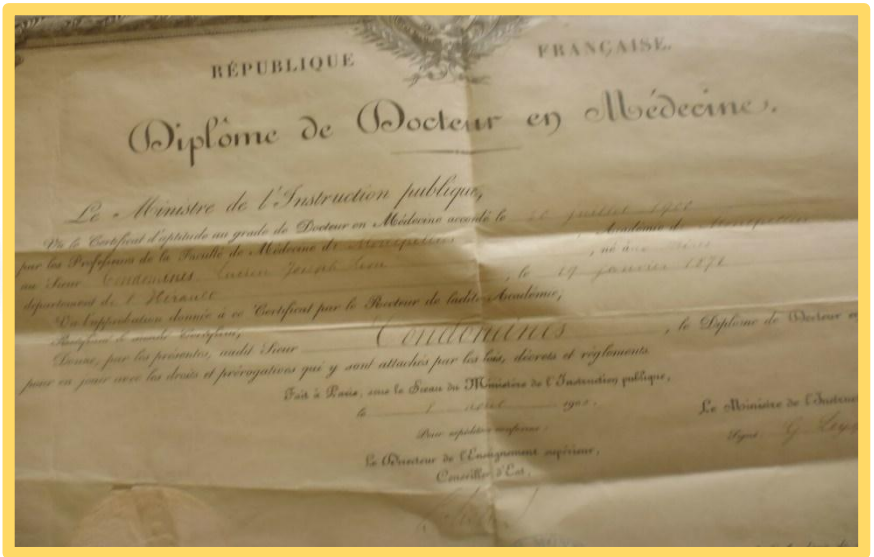
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Diplôme de Docteur en Médecine.

Le Ministre de l'Instruction publique,

diplome de docteur en medecine-1903- montpellier-dr condomines

ه. الاجازات في أولى المدارس الطبية الشرقية

تم تداول هذه الشهادات في أولى مدارس الطب العربية في القرن التاسع عشر؛ تزامنا والفترة الإمبريالية الأوروبية التي طرحت حينها إدارتها الاستعمارية نظرية أنه ينبغي "ولأسباب إنسانية" اتباع منهجية تدريس الطب الغربي في المستعمرات.

اما نماذج الإجازات الممنوحة في هذه الفترة؛ فقد استقيناها من أولى الكليات الطبية الحديثة في الوطن العربي:

- مدرسة أبو زعبل في مصر، 1827م

شهادة التخرج التي وجدناها ممنوحة من هذه المدرسة الطبية - التي تعتبر الرائدو في الوطن العربي في تاريخه الحديث – مميزة ومختلفة فقد اعتمدت التفصيل – والتفصيل – أسلوبا لها !!

هذه الاجازة حازها الدكتور شاكر خوري.

وفيما يلي نص الشهادة كما صدرت من المدرية الطبية، مقتبسة من كتاب تاريخ التعليم الطبي في البلاد العربية للدكتور كمال شحادة ص. 139- 144 [183]

(جميع وثائق الاجازات الطبية العربية مقتبسة من كتاب تاريخ التعليم الطبّي في البلاد العربية - الدكتور محمد كمال شحادة)

[183] تاريخ التعليم الطبّي في البلاد العربية - الدكتور محمد كمال شحادة ص 138

شهادة نامة طبية خديوية مصرية

حمداً لمن أعاد إلى مصر رونقها الأول بهمة عالي الهمة، الألمعي النبية، من اقتدى بنشر المعارف والمنافع بعده وأبيه أفندينا ولي النعم ذي الفضل الجزيل، خديوي مصر وعزيزها إسماعيل حفظه الله وأبقاه وأدام توفيقه وشكر مسعاه، فإنه حقد فيها أنواع المدارس، وأحيى كل علم رميم دارس، فمن جملة هذه المدارس الجزيلة وأعظمها نفعاً المدرسة الطبية التي أشرق في المشرق نورها حتى اهتدى بها كل قاص ودان، وأتاها القاصدون من أقصى الأقطار والبلدان.

وكان ممن سعى إلى هذه المدرسة النيفة، رغبة في تعليم صنعة الطب الشريفة، الفطن اللوزعي الأديب والشاب النبيل شاكر أفندي الخوري ابن يوسف أفندي الخوري أحد أعضاء المجلس الكبير في جبل لبنان، من بكاسين من إقليم جزين من جبل لبنان من أعمال بر الشام، أرسله دولتلو داود باشا متصرف جبل لبنان، ووفد إلى هذه الديار، لأجل التحلي بحلية الفضل ونيل الأوطار، وانتظم بسلك تلامذة هذه المدرسة التي هي على نشر المنافع مؤسسة، فتعلم بها العلوم الطبية، إحساناً من المراحم الخديوية، وكان دخوله في ٤ رمضان المعظم سنة ١٢٨٤ هجرية الموافق غرة كانون ثاني سنة ١٨٦٨ مسيحية. ففي السنة الأولى درس كلاً من علم الطبقات الأرضية وعلم المعدنيات والكيمياء المعدنية وغير المعدنية والجزء الأول من علم الطبيعة وعلم النباتات، وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام في هذه الفنون التي درسها وتلك العلوم التي أتقنها ومارسها فأحسن فيها الإجابة، وظهرت عليه لدى الحاضرين إشارات النجابة.

وفي السنة الثانية درس كلاً من علم الكيمياء النباتية والحيوانية والجزء الثاني من علم الطبيعة وعلم الحيوانات. وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فأجاب وأحسن الجواب.

وفي السنة الثالثة درس كلاً من علم الأنسجة وأركان البدن والقسم الأول من التشريح الخاص والتشريح العملي وفن الاقرباذين أي علم تركيب الأدوية والعمليات الجراحية الصغرى وفن التعصيب. وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام فاسر الحاضرين، واقر أعين الناظرين.

وفي السنة الرابعة درس كلاً من القسم الثاني من التشريح الخاص والجراحة العامة والفسيولوجيا أي معرفة أفعال الأعضاء في حالة الصحة، والباتولوجيا العامة وفن العلاج. وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام وكانت إجابته مرضية شافية.

وفي السنة الخامسة درس كلاً من جراحة الأنسجة والجزء الأول من العمليات الجراحية الكبرى والتشريح الجراحي، والقسم الأول من الباتولوجيا الخاصة أي علم الأمراض الباطنة، والتشريح المرضي وقانون الصحة. والمادة الطبية مع إعادة فن العلاج وأمراض الجلد وأمراض النساء والأطفال. وفي آخر السنة المذكورة امتحن بالامتحان العام، فأجاب الأجوبة الفائقة، بالألفاظ المفيدة الرائقة.

وفي السنة السادسة، وهي السنة الأخيرة من الدراسة درس كلاً من جراحة الأقسام والجزء الثاني من العمليات الجراحية الكبرى، وفن الكحالة أي أمراض العين وعملياتها، والقسم الثاني من الباتولوجيا الخاصة، والطب الشرعي، وفن الولادة، وعلم السموم والاكلينيك الجراحي والباطني والرمدي، وفي آخر السنة المذكورة، امتحن بالامتحان العام الواقع يوم الاثنين المبارك لواحد وعشرين خلت من شهر شعبان سنة ١٢٩٠ هجرية. وكان مجلس الامتحان متشرفاً بحضرة دولتلو محمد توفيق باشا ولي عهد الخديوية المصرية، وحضرة دولتلو طوسن باشا نجل حتمكان سعيد باشا، وسعادة مصطفى رياض باشا ناظر عموم المدارس، وسعادة محمد راغب باشا مستشار المجلس الخصوصي، وسعادة عبد الله باشا مستشار الداخلية، وسعادة أبي بكر راتب باشا وسعادة عبد اللطيف باشا ناظر البحرية. وجم غفير من حضرات العلماء الأعلام

والذوات والتجار الفخام ورؤساء الملل الأجنبية من ذوي الاحترام وأرباب الامتحان فأحسن الجواب والقول المستطاب، واعترف له الحاضرون بجودة العلم والتعليم وأنه يستحق أن يسمى باسم الطبيب والحكيم. وفضلاً عن هذه الامتحانات المذكورة كان يمتحنه كل منا امتحانات أسبوعية وشهرية وكان يجيب عن كل ما ألقيناه إليه من الأسئلة بالأجوبة الجلية، فأتقن الأفندي المذكور العلوم الطبية كل الإتقان وكان أول أقرانه على أحسن ثمرة في كل امتحان، وكان قدوة لإخوانه التلامذة في تهذيب الأخلاق، وحسن السلوك والاجتهاد والمواظبة على تحصيل العلوم المذكورة أعلاه، وقرن العلم بالعمل، وأتقنه من غير خلل حيث كان مواظباً على الحضور معنا في معالجة الأمراض والعلل على اختلاف أنواعها في الاسبتالية العمومية متلقياً بالرغبة والنشاط فوائد الدروس السريرية ومجرباً ذلك بنفسه أحياناً أمامنا، وقد أجرى مراراً أشهر عمليات الجراحة والرمد من استخراج حصاة وبتر واستئصال أورام ظاهرة وباطنة، وعمليات كتركتا، وحدقة صناعية، وشعرة وتجبير كسور، ورد خلوع وغير ذلك. فبالعناية الربانية وبالمساعي الخيرية الخديوية، قد صار الأفندي المذكور طبيباً ماهراً، وحكيماً آسيا، يصح الاعتماد عليه في كل رأي وعمل، والرجوع إليه في كل مرض قد أشكل. جعله الله نافعاً للأنام ومسنداً للخاص والعام، ولنا حق علينا أن نشهد بفضله، ونقر بمعرفته وعلمه، وأن نجيزه بالعلم والتعليم والعمل والتحكيم، فأجزناه بالعلوم السابق نشرها، والفنون المتقدم ذكرها، بكل ما يفعله الأطباء الحكماء، بحيث لا يمانعه ممانع، ولا يعارضه أي معارض كان، بأي مكان أقام وبأي بلدة استقام، وبناء على ذلك قد أعطيناه هذه الشهادة لتكون بيده سنداً مؤيداً، وشاهداً معضداً، وحرر ذلك في مجلس أطباء قصر العيني الكائن في المروسة:

رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية ومعلم الجراحة الكبرى والاكلينيك الجراحي محمد علي البقلي .

معلم أمراض العين وعملياتها حسين بك عوف.

معلم الباتولوجيا الخاصة والتشريح المرضي والاكلينيك الباطني سالم بك سالم.

معلم الكيمياء العضوية والجزء الثاني من علم الطبيعة يوسف بك جاستينل.

معلم التشريح الخاص والعام حسن بك عبد الرحمن.

معلم الفسيولوجيا وقانون الصحة عبد الرحمن بك هراوي.

معلم المواليد الثلاث أحمد بك ندى.

معلم الولادة محمد بك عبد المسيح.

معلم المادة الطبية وفن العلاج وأمراض الجلد محمد أفندي بدر.

معلم العمليات الجراحية الكبرى محمد أفندي فوزي.

معلم الباتولوجيا العامة محمد أفندي قطاوي.

معلم الجراحة العامة والتشريح الجراحي والجراحة الصغرى وفن التعصيب أحمد بك حمدي.

معلم الكيمياء المعدنية وغير المعدنية والجزء الأول من علم الطبيعة صالح أفندي علي.

معلم أمراض النساء والأطفال مصطفى أفندي أبي زيد.

معلم الاقراباذين علي أفندي رياض.

معلم اكلينيك الرمد محمد أفندي بهجت.

معلم الطب الشرعي وعلم السموم إبراهيم أفندي حسن.

معلم التشريح العلمي محمد أفندي درى.

وبعد تثبيت الأساتذة أختامهم، وكانت عناية التواقيع في زماننا، تأتي مصدقات حسن سلوك واعتماد الشهادة الطبية في الممارسة، وذلك كما يلي:

« أشهد أن الأفندي المذكور كان حسن السيرة والأخلاق »

ضابط المدرسة الطبية

إبراهيم أفندي شوقي

« إن شاكر أفندي الخوري المذكور أعلاه في مدة إقامته في الاسبتالية كان حريصاً على إسعاف من كان يعالجه من المرضى بالاسبتالية المذكورة، وكان يؤدي وظيفة توبتجيته في غاية الإتقان.»

ناظر عموم اسبتاليات مصر — وكيل نظارة اسبتاليات مصر

أحمد بك كمال — محمد أفندي حافظ

« إن شاكر أفندي الخوري، من أهالي بكاسين من إقليم جزين من جبل لبنان من بر الشام، صار إلحاقه بمدرسة الطب إحدى المدارس الخصوصية بالديار المصرية في ٤ رمضان سنة ١٢٨٤ هجرية ضمن العشرة الشوام الجاري تعليمهم العلوم الطبية من الاحسانات الخديوية، ثم تمم دروسه وتعليماته الطبية بظل الساحة العلية الخديوية في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٠ هجرية كما اتضح من نتائج امتحانه، وكتبت له هذه الشهادة من رئيس المدرسة الطبية وعواجاقها بأنه يستحق أن يكون طبيا وحكيماً ويعتمد عليه بكل رأي وعمل، ولا يمانعه ممانع في أي محل أقام.

ولأجل الاعتماد لزم التصديق من الديوان تحريراً في ١٤رمضان سنة ١٢٩٠»

مدير المدارس والأوقاف (١٣٠)

« نظرت هذه الشهادة المشهورة بأختام حضرات عواجات المدرسة الطبية بمجلس عموم الصحة المصرية، مصدقاً عليها من سعادة ناظر ديوان المدارس والأوقاف، ولأجل اعتمادها بمحل اللزوم، لزم الشرح منا في ١٧ رمضان سنة ١٢٩٠.»

رئيس مجلس عموم صحة مصرية (١٣١)

- الكلية السورية الانجيلية الأمريكية في بيروت عام 1867م

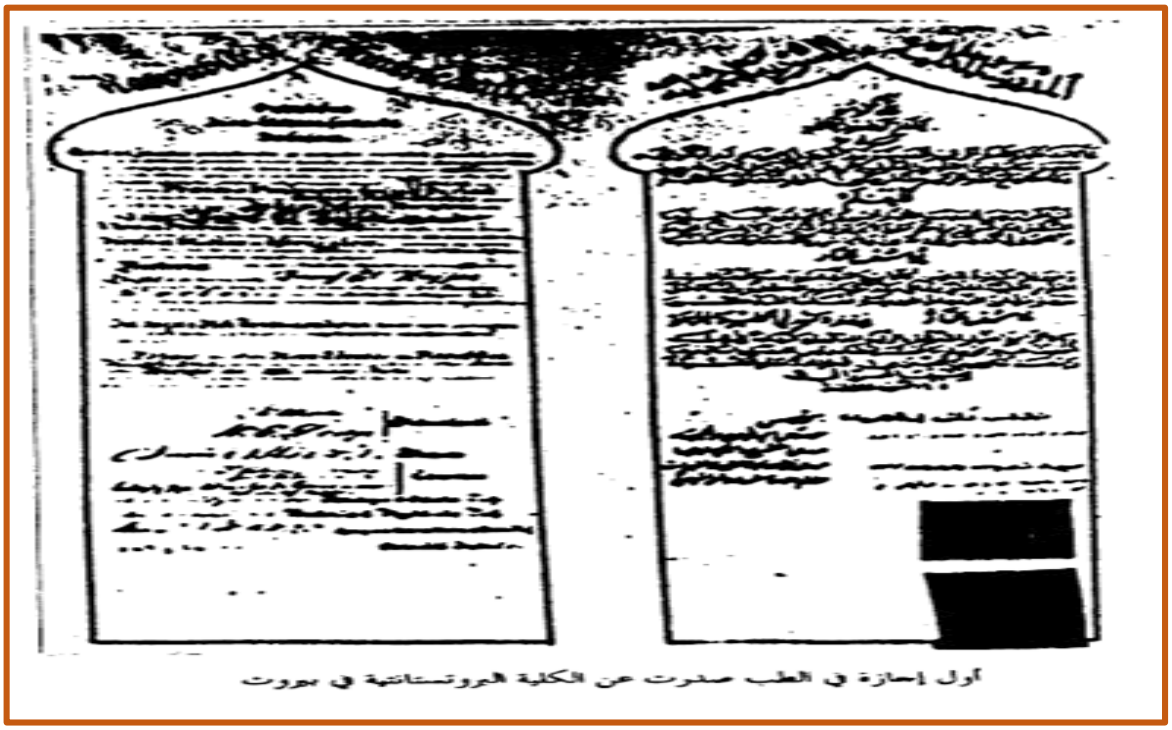

أول إجازة في الطب صدرت عن الكلية البروتستانتية في بيروت

المدرسة الكلية السورية الإنجيلية

إلى كل من يطلع على هذه الأحرف: سلام

لما كانت غاية المراتب المدرسية تمييز الذين بالاجتهاد قد ارتقوا إلى درجة سامية من العلوم والمعارف وتحريض الآخرين على الإقتداء بهم، ولما كان منح هذه المراتب حقاً شرعياً من حقوق مدرستنا الكلية،

فليُعلم

أننا نحن رئيس المدرسة الكلية السورية الإنجيلية وأساتيذها المنتظمة بحكم شرعي من حكومة ولاية نيويورك من الولايات المتحدة، والكائنة في مدينة بيروت من ولاية سورية، بعدما وقف أمامنا:

يوسف حجار

وهو مشهود له بحسن الآداب والشهامة، وبعدما فحصناه في العلوم الطبية المعتنى بها في مدرستنا هذه الكلية، رأيناه على درجة عليا من الدرجات المدرسية، فقلدنا المذكور يوسف حجار بمرتبة دكتور في الطب والجراحة وبالإكرام والحقوق المتعلقة بالرتبة المذكورة، وشهادة بذلك أعطيت هذه الديبلوما تحت إمضاء رئيس المدرسة وأساتيذها وإمضاء الفاحصين المعينين من عمدة المدرسة، مختومة بختمها تحريراً في ١٩ تموز سنة ١٨٧١.

- المدرسة الطبية العثمانية في دمشق عام 1903م، والمعهد الطبي العربي 1916م.

إجازة في الصيدلة للصيدلاني سركيس سليان صادرة عن المدرسة الطبية العثمانية في استانبول عام ١٣٢٨روس / ١٣٣٠هـ وكان صاحب صيدلية القصر في مدينة حلب.

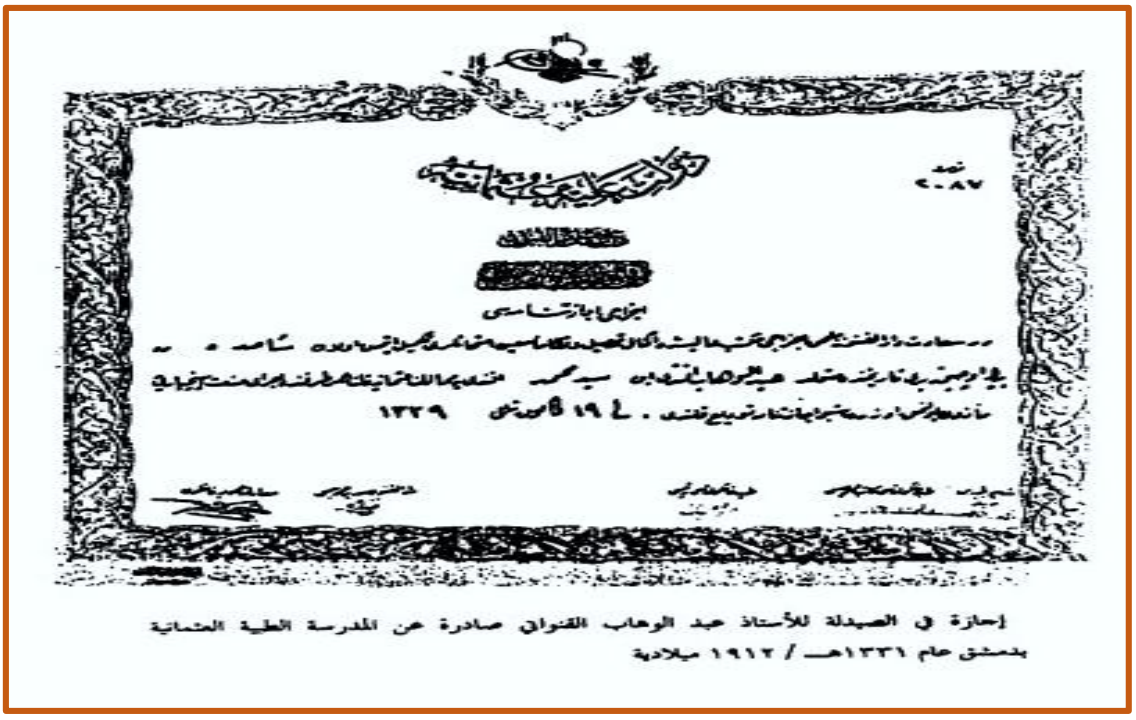

إجازة في الصيدلة للأستاذ عبد الوهاب القنواتي صادرة عن المدرسة الطبية العثمانية بدمشق عام ١٣٣١هـ / ١٩١٢ ميلادية

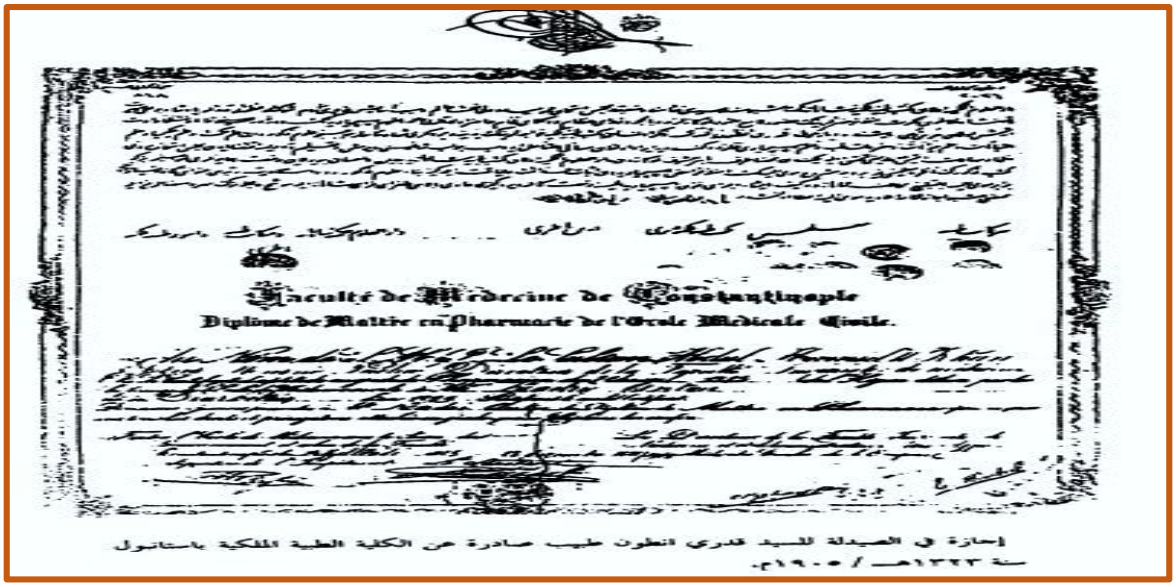

إجازة في الصيدلة للسيد قدري انطون طيب صادرة عن الكلية الطبية الملكية باستانبول سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م.

إجازة في الطب للأستاذ حسني سبح صادرة عن المعهد الطبي العربي بدمشق سنة ١٩١٩

هذه اذن اهم معالم نشوء وتطور "الاجازة في الطب"، اما عن تاريخ هذه الأخيرة في بلادنا، فقد اخترنا اربعا من الاجازات الطبية التي وسمت ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي، متحدثة باسمها.

المبحث الثالث

الإجازات الطبية في تاريخ فاس العلمي

إجازات الطب في تاريخ فاس

أما وقد وصلت رحلتنا في قطار تاريخ العلوم الى المحطة الثالثة؛ بعد أولى تعرفنا خلالها على على مفهوم الاجازة: أنواعها، مضمونها وتاريخها . ثم ثانية أمتعتنا بالوقوف على اهم معالم تطور علم الطب: نشوؤه، تطور ممارسته ووسائل تدريسه. وبعد ان طفنا بحضارات متعاقبة وأخذنا من كل منهل علمٍ شتلات تساعدنا في توطين شجرة العلم والحضارة في تربتنا العربية الإسلامية عامة؛ وفي محطة وصولنا خاصة: تربتنا الأصيلة المغربية الخصبة السخية؛ والتي اخترنا ان نحط رحالنا في حقلها العلمي الواسع المثمر علما وعلماء... فاس.

ان التاريخ العلمي العريق لمدينة فاس يفوق 1240 سنة، اذ انه يرجع الى تاريخ تأسيسها وجعلها عاصمة للدولة الإدريسية سنة 182 ه/ 789 م. لكن وبما اننا بصدد دراسة خاصة لتاريخ الاجازات في الطب بالعاصمة العلمية للمغرب الحديث، فانه من الطبيعي؛ تأصيل بحثنا من سنة منح أولى الاجازات الطبية، والتي كانت من نصيب الطبيب الكتامي سنة 1207م. نعم انها أول الاجازات الموثقة في التاريخ العلمي لفاس؛ لكنها أيضا أولاها على صعيد المعمورة على الإطلاق، ولا غرو في ذلك اذا علمنا ان مدينتنا العتيقة هي محتضنة جامعة القرويين؛ اول الجامعات على وجه البسيطة.

وتمتد دراستنا الى التاريخ الحديث لمدينة فاس، والى منارة علمية صحية أخرى، كلية الطب والصيدلة، التي ومنذ تدشينها سنة 1999؛ ساهمت في تخريج نخبة من الأطباء الذين تجاوز عددهم 1500 منذ اول شهادة منحتها الكلية سنة 2007م، والتي كانت من نصيب الطبيبة سامية أريفي. وبالتالي تكون دراستنا محددة بتاريخين: 1207 و 2007 ؛ حددا بينهما ثمانية قرون تامة من الإنتاج والعطاء العلمي.

والى فاس العلا والمجد اغلى التحايا ... علم علماء ومن عبق الماضي حنايا
بمنارتها باعثة الهدى كثيرة المزايا ... قرويين ظل اسمها رديف العطايا
زكت باجازات ووجهت بوصويا ... أطباء حكماء بقيت أسماؤهم مرايا
صالح كتامي وكحاك صافيا الثنايا ... وجمعٌ ممن تقصى النهج في نفع البرايا
وما الإرث الا علم دس في الخلايا ... كونت جسد كليتنا وهاجة الثرايا
بلجنة تراثها الباحثة في الخبايا ... كنوزا طبية عربية إسلامية سخايا

ايمان الهلالي

دراستنا هذه؛ لن تستطيع بطبيعة الحال ان تحيط بجميع الاجازات الممنوحة في هذه الفترة، وذلك لسببين أساسين؛ أولهما ندرة الاجازات الموثقة التي لم يطلها تاثير الدهر، وثانيهما؛ ان بحثنا هذا لا يطمح الشمولية بقدر ما يروم اخذ زمام المبادرة لإحياء ذكر التراث العربي الإسلامي في مناقشات اطروحات الطب.

لكن وفي المقابل، اخترنا ان تكون اجازاتنا الطبية المحلَّلَة منتمية لحقب مختلفة من تاريخ مدينة فاس (فترات الازدهار، التقعقع الاستعماري ثم الفترة الحديثة). متعرفين بذلك على السياق العام المصاحب لمنح الاجازات، ومساهمين في إغناء أطروحتنا بدرر تاريخ القرويين، ضمن تاريخ فاس المتَضَمَّن في تاريخ المغرب العتيد.

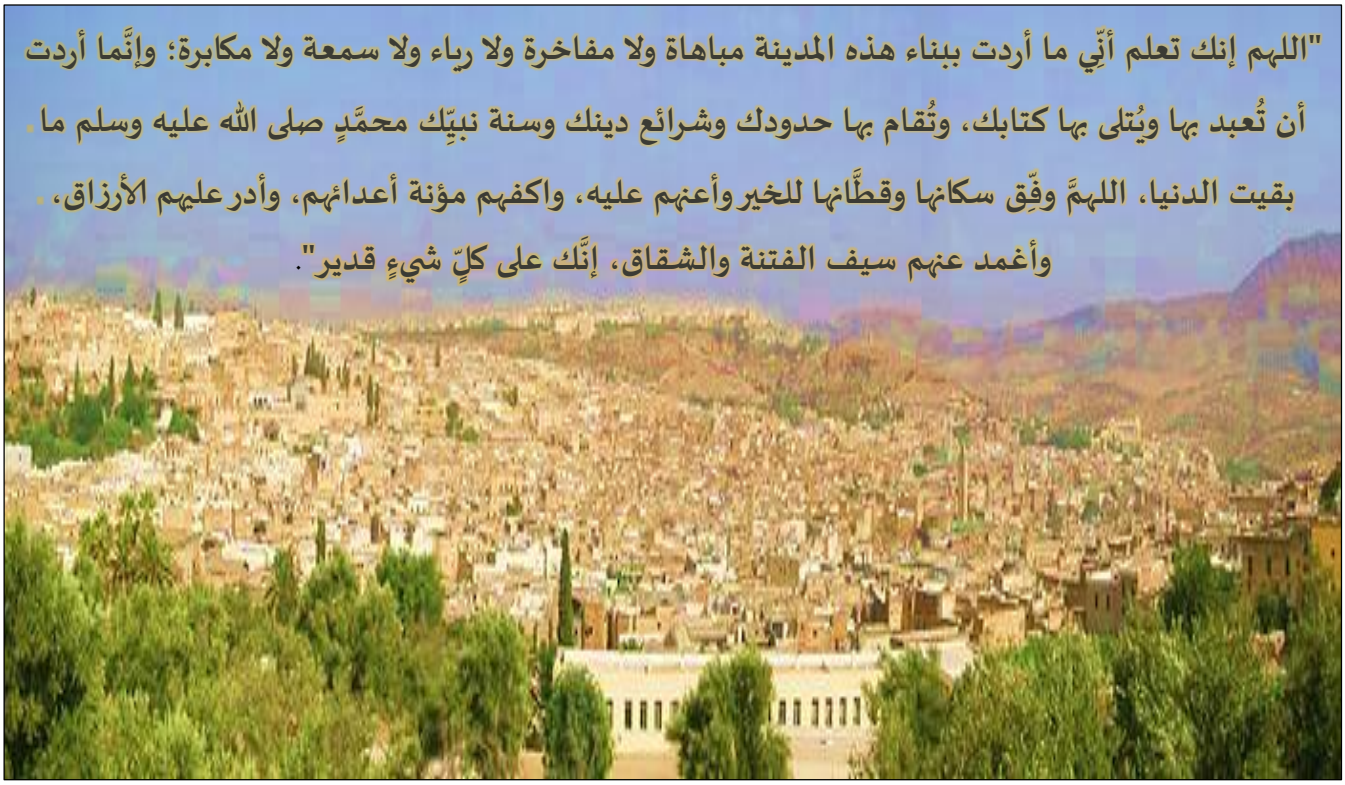

إجازة الطبيب عبد الله بن صالح الكتامي

I. تقديم

تعتبر إجازة عبد الله بن صالح الكتامي أول و أقدم إجازة في الطب ممنوحة من مؤسسة عامة موثقة في التاريخ، وهي التي حازها من لدن جامعة القرويين بفاس، وذلك في بدايات القرن الثالث عشر الميلادي.

حدثُ منْحِ هذه الاجازة - ونظرا لأهميته التاريخية الجلية المجلية لماضي المغرب العلمي العريق-حباه الباحث الأكاديمي الدكتور محمد زين العابدين الحسيني بكتاب خاص حمل عنوان الحدث "جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب"، وقال فيه انه ينبغي أن نعتز بالكتاب كمغاربة لأن به مضامين تعطي وزنا لعملنا العلمي.

وبالاعتماد على هذا الكتاب وعدة مصادر أخرى؛ سنسعى الى تتبع دراسة منهجية لاجازتنا المعنية، حيث ستعنى ابتداءا بتحليل السياق الزمني العام لمنح الاجازة المذكورة؛ محاولين التدرج من الهالة العامة الى الخاصة، وذلك بالتعرف على وضعية الطب في المغرب إبان حكم الدولة الموحدية، حيث انه في ظل هذه الأخيرة؛ منحت الاجازة الطبية المعنية. ثم ستناول عنوانا باسم القرويين باعتبارها الجهة المانحة للاجازة. بعد ذلك سنحاول الإحاطة بالظروف الخاصة لمنح الاجازة، ثم باركانها من مجيز، مجاز، نص الاجازة ومميزات مخطوطها.

II. السياق العام لمنح الاجازة

1. السياق التاريخي

تزامن منح إجازة عبد الله بن صالح الكتامي وَفترة حكم الدولة الموحدية، في عهد السلطان الناصر الموحدي.

أ. الدولة الموحدية : 1147-1269

أسست الحركة الموحدية من قبل ابن تومرت الذي كان ينتمي الى قبيلة مصمودة المغربية قرب مدينة مراكش. وسمى الحركة ب"الموحدين" لكون أتباع هذه المدرسة كانوا يدعون إلى توحيد الله. وقد ضمَّت دولة المُوحّدين في أَوْج ازدهارها مساحة جغرافيّة كبيرة؛ حيث شملت المغرب العربيّ، وامتدَّت من مصر إلى الأطلسيّ، بالإضافة إلى الأندلُس، كما ازدهرت فيها الحياة الثقافية والعلمية.

"ان اعتبار هذه الوثيقة (إجازة الطبيب الكتامي) كاول إجازة في هذا المجال؛ يتطلب ضرورة موضعتها الزمنية انطلاقا من احداث ومعطيات عاصرت صدورها ... واجازتنا هذه مؤرخة في العشر من رجب 603ه ويوافقه بالتاريخ الميلادي يوم الجمعة التاسع من فبراير 1207م ويعني ذلك الفترة المعاصرة للسلطان الموحدي محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصر ... وان السنة التي منحت فيها هذه الاجازة صادفت تواجد السلطان محمد الناصر بمدينة فاس. "[184]

[184] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 217

ب. السلطان الموحدي الناصر لدين الله

هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد الله الكومي الملقب بالناصر لدين الله، توفي والده بعُمر لم يتعدَّى الأربعين سنة، وخلفه الناصر وهو في رعيان الشباب.

	الحاكم
1	عبد المؤمن بن علي الكومي
2	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن
3	أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور
4	محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف

"كان المنصور الموحدي قد استخلف ابنه الناصر لدين الله قبل وفاته؛ حتى يستطيع الناصر أن يكتسب من الخبرات ما يُؤَهِّله لأن يُصبح قائدًا فذًّا على شاكلة أبيه، لكن الموت المفاجئ للمنصور الموحدي وضع الناصر لدين الله على رئاسة البلاد وهو لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره."[185]

كان الناصر لدين الله شابًّا طموحًا قويًّا مجاهدًا، لكنه لم يكن في كفاءة أبيه، وفضلاً عن هذا فقد كانت البلاد محاطة بالأعداء من كل جانب، داخليا كان تمرد بنو غانية المشكلة التي ما فتئت تؤرق الموحدين، وعلى الجبهة الخارجية كانت تلوح هجمات ألفونسو الثامن الذي عمل على تجهيز جيشه لرَدِّ الاعتبار بعد هزيمة معركة الأرك، وهو ما تاتى له في موقعة العقاب.[186]

تُوُفِّيَ النّاصر لدين الله بعد هذا الاستخلاف بعام واحد في سنة (610هـ-1214م) عن عمرٍ لم يتجاوز الرّابعة والثّلاثين، وتروي بعض المصادر أنّه مات وهو عازم على الجهاد في الأندلس "عزمًا لم يُعرف عن ملك قبله". وتولَّى حكم البلاد من بعده وليُّ عهده وابنه المستنصر بالله.

---

185 عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص386

186 أ.د. راغب السرجاني، "الناصر لدين الله الموحدي"/ موقع قصة الإسلام

ج. من مظاهر علم الطب عند الموحدين

على غرار باقي الأصناف من العلوم؛ فقد حظي علم الطب بمكانة خاصة، وفي ذلك خصَّ الأستاذ "محمد المنوني" فصلاً للحديث عن الطب والصيدلة في هذا العهد في كتابه " العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين"، وذكر أن الطب في هذه الفترة؛ كانت له صولة ودولة، وان خلفاء الموحدين كانوا يستخلصون لأنفسهم نوابغ الأطباء من المغرب والأندلس. ويولون للطب والأطباء عناية مميزة.[187]

ومن مظاهر العناية بالطب؛ استنادا الى بحث الأستاذ "حسن جلاب" "ازدهار العلوم في عصر الموحدين":

- تدريس الطب:

من مظاهر نهضة الطب بمراكش الموحدية أن هذا الأخير كان يدرس بمسجدها الجامع. " كانت هذه الحلقات وغيرها تعرف مساجلات طبية رفيعة المستوى، فعندما ألف ابن رشد كتاب «الكليات»، وأتى فيه بالجديد في ميدان الطب، ناقشه أطباء عصره، ودافعوا عن الوسائل المعروفة لديهم، فرد عليهم في كتاب جمع فيه مراجعاتهم، كما اقترح على «ابن زهر» أن يؤلف كتابا في «الأمور الجزئية» ليكون إلى جانب كتابه، جامعين لصناعة الطب."[188] كما كان بن رشد أول من قَعد لهذا النظام (الشورى) في كتابه "الكليات"، "وتدلنا مراجعة أبي بكر بن زهر لوالده في تركيبة دواء قدمها للخليفة عبد المومن الموحدي وعدول الوالد الذي يعد من أعمدة الطب في عصره عن رأيه إلى رأي ابنه."[189]

"كان في المغرب ثلاث مدارس للطب: الأولى القرويين بفاس، الثانية بمراكش ببيمارستان دار الفرج، والثالثة هي المدرسة البوعنانية بسلا والتي بدات بتدريس الطب في *القرن السادس ه/ الثاني عشر م*."[190]

---

187 محمد المنوني" في كتابه " العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين" www.habous.gov.ma

188 "حسن جلاب" بعنوان "ازدهار العلوم في عصر الموحدين": العدد 318 www.habous.gov.ma

189 نفسه

190 المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية، ص233 اسيسكو 2011

- بناء المستشفيات

يعد بناء المستشفيات من أبرز مظاهر الاعتناء بالطب في المغرب وعاملا مهما من عوامل انتعاش علومه وازدهارها، فبفضل هذه المنشات؛ سيقدم المغرب للبشرية نخبة من ألمع الأطباء الذين عرفهم التاريخ. "ولم تكد تخل مدينة من هذه المستشفيات، كما اخبر الوزان الفاسي عن وجود بيمارستانات كثيرة داخل فاس وخارجها، فلم يكن *الموحدون* يكتفون بالمستشفى الواحد داخل المدينة" .[191]

ومنها بيمارستان سيدي فرج "حيث بنى أبو يعقوب يوسف هذا المارستان لما تولى الملك سنة 685 هـ 1286/م، وعهد بإدارته إلى أشهر الأطباء وخصص له الأوقاف الكثيرة من العقار للصرف عليه.

- أنظمة لتقنين الطب وحصر العدوى

لقد أنشأ الموحدون نظاما خاصا غير مسبوق على نحو ما ذكر ابن أبي زرع في القرطاس في المناطق التي أصابها الطاعون فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة ويجعلها في جيبه فإن مات حمل إلى موضعه وأهله، ولا تخفى أهمية هذا النظام في حصر العدوى وتحديد مواضعها "[192].

كانت تلك في عجالة؛ أبرز اسهامات الموحدين في تخليص علم الطب من السمة البدائية وتنظيمه من ناحية الممارسة والتدريس وبناء منشآته. تحرر النشاط العلمي في العصر الموحدي، وشجع الموحدون تدريس العلوم بأنواعها، وبرزت أسماء بصمت سيرورة تطور علم الطب.

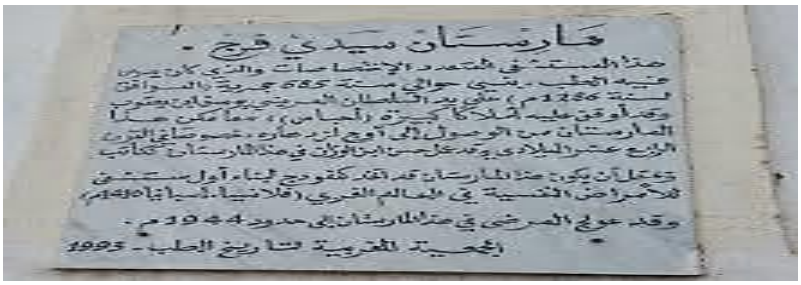

191 يوسف كمال في مقالة له بعنوان" الطب بالمغرب:نشأته وتطوره" نون بريس

192 عندما قاد المغاربة قاطرة تطوير الطّب" نشرت بجريدة المساء 11-03-2013

❖ مشاهير الأطباء الموحدون ومؤلفاتهم:

" أبو الوليد بن رشد" (الحفيد)، من مؤلفاته: "كتاب الكليات" و" شرح أرجوزة ابن سينا في الطب."

"أبو بكر بن زهر" (الحفيد)، تولى منصب الطبيب الخاص للخليفة يعقوب المنصور.

من مؤلفاته: "الترياق الخمسيني" ألفه للمنصور،و"التيسير في المداواة والتدبير"

ابن طفيل: كان ضالعا في علم الطب حتى اصبح الطبيب الخاص للسلطان الموحدي أبي يعقوب يوسف سنة 558هـ. ومن اهم مؤلفاته أرجوزته الطبية الموسوعة.

عرف العصر الموحدي عددا كبيرا من الأطباء الممارسين في قصور الخلفاء والأمراء وفي المستشفيات، ذكر منهم الأستاذ «محمد المنوني» أزيد من ثلاثين طبيبا، ووردت أسماء أخرى في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة."[193]

" اهتم الموحدون بسائر العلوم والفنون وشجعوا الحركة العلمية التي أسهم فيها بقوة العلماء النازحون من الأندلس، فقد كانت الجامعة في هذا العهد والعهود اللاحقة جامعة بين علوم الدين والدنيا مما جعل أهل المغرب والأقطار المجاورة يلتفون حولها ويرابطون حول كراسيها ويتزودون من علومها المتنوعة."[194]

ونستعمل الفقرة الأخيرة جوازا للتعرف على جامعة القرويين؛ باعتبارها الجهة المانحة لاجازة الطبيب الكتامي..

[193] حسن جلاب ازدهار العلوم في عصر الموحدين مجلة دعوة الحق العدد 318 habous.gov.ma.

[194] نفسه

2. الجهة المانحة : جامعة القرويين

" بسم الله الرحمان الرحيم ؛ إجازة في الطب من جامعة القرويين بفاس العامرة..."

هكذا عُنوِنَت إجازة الطبيب عبد الله الكتامي. وهنا كانت الريادة المغربية في منح الاجازات الطبية باسم المؤسسة بدلا من الافراد، وقد ناقشنا هذه النقطة في الجزء الخاص بالاجازات الطبية.

وفي ما يلي نبذة عن الجامعة المجيزة:

- انشاء القرويين

تأسست جامعة القرويين بفاس سنة 245 هـ/ 859 م، عهد المولى ادريس الأول مؤسس دولة الأدارسة. وبقيت مركزا للنشاط الفكري والثقافي والديني قرابة الألف سنة. منشِئتها هي فاطمة الفِهرية التي أحبت أن تخلد ذكر والدها، فعمدت إلى بناء مسجد القرويين مما ورثته عنه.

- التاريخ العلمي للجامعة

وصنفتها اليونسكو وموسوعة غينيس للأرقام القياسية كأقدم جامعة لم تتوقف عن نشر العلم والمعرفة منذ تأسيسها وحتى الآن. فضلا عن أنها أول مؤسسة تعليمية تمنح درجات علمية.[195]

"وإذا كانت العلوم المدروسة بالقرويين قد شملت الدراسات الدينية الخالصة (العقيدة-علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والسيرة النبوية وغيرها) والدراسات الإنسانية (اللغات وآدابها وعلوم التاريخ والاجتماع والشعر والتربية والفلسفة والفنون على تباين صورها) ودراسات العلوم البحتة من رياضيات وعلم الفلك، وكذا دراسات العلوم التطبيقية من طب وهندسة، فإنه يمكن القول بأن جامعة القرويين قد تم برحابها دراسة أبرز العلوم والمعارف السائدة في ذلك العصر."[196]

---

[195] UNESCO World Heritage Center,The Medina of Fez Unesco.org

[196] نفسه

- الدراسات الطبية بالقرويين

أ. تاريخ التدريس

اما الطب فقد ازدهرت دراسته بالقرويين منذ وقت مبكر، إذ يحدثنا التاريخ عن وجود مدرسة طبية بفاس خلال القرن الهجري الرابع، مدرسة عنيت بتعليم المادة الطبية. "وقد واكب إشعاع القرويين ازدهار تدريس الطب فيها إبان العهد العباسي، وخصص له حصة ضمن المناهج الدراسية."[197]

ب. المنهج

من خلال اطلاعنا على الحياة العلمية للأطباء المغاربة خريجي القرويين، نستنتج ان المنهج العام المتبع في الجامعة العتيقة؛ كان يهدف بالدرجة الأولى الى إعداد مواطن ملتزم مثقف مطلع على جل المجالات؛ ثم – بعد ذلك - متخصصا في إحداها. "وكان علم الطب مشاعاً بين طبقة من الفقهاء والمحدثين والأدباء "[198]

ولم يغفل منهج التدريس الطبي أن موضوعا مثل الطب؛ لا يمكن أن يُعلّم في حلقة حول اسطوانة، فهو من العلوم التطبيقية التي تحتاج إلى القيام بتجارب واختبارات، وهنا نتساءل؛ اين تم تطبيق هذا المنهج؟

يجيبنا العلامة الحسن السائح قائلا: " كانت ثمة مدارس ملحقة بالجامع ومخصصة لتدريس مثل هذه المواد، إذ تشير بعض المصادر إلى أنه كان بها – والكلام هنا حول القرويين - في أواخر القرن الرابع الهجري مدرسة صغيرة ملحقة للطب."[199]

ج. المقررات

جل تلك المقررات كانت – على الأقل في بداية الامر – مؤلفات مشرقية او أندلسية. "كانوا يستعملون بالطبع المؤلفات العربية الكبرى مثل الكامل للرازي والقانون والمنظومة لابن سينا وزبدة الطب للجرجاني وكليات ابن رشد وتذكرة الأنطاكي ومفردات ابن البيطار والتيسير في المداواة والتدبير لابن زهر، وغيرها كثير.

---

197 الطب والأطباء بالمغرب/ د عبد العزيز بنعبد الله

198 د بامي / جوانب من الحركة العلمية بجامع القرويين، موقع المغرس

199 الحسن السائح "الحركة العلمية بجامع القرويين"/ الإسيسكو

وإذا أردنا التدقيق في مادة الدراسة فإن محتويات كتب الطب المستعملة تنبئنا بذلك. "لقد كان يدرس علم الطب في جامعة القرويين بواسطة كتب ابقراط وجالينوس المعربة."[200]

ثم ما لبث ان صار للطب في القرويين حلقاته ومناهجه الدراسية المستقلة وجملة من المقررات المحلية، وهذه نماذج من تلكم المؤلفات الطبية: "عمل من طب لمن حب" لابن الخطيب، "الأرجوزة في الطب" لابن طفيل، "مختصر في الطب" لابن حبيب، "الأدوية المفردة" لأحمد أبي جعفر الغافقي، "الاستقصا والإبرام في علاج الجراحات والأورام" للقربلياني الجراح ...كل هذه الكتب السابقة وغيرها، وهي تعد بالعشرات، تعطينا فكرة عن اهتمام علمائنا بالطب علماً وبالتطبيب مهنةً، بل انها شكلت – في وقت من الاوقات - ركائز عمد عليها الطب الغربي. ويبقى أن نذكر بواجب الوفاء الذي يفرضه علينا تقديرنا وعرفاننا لجميل اسلافنا وعلمائنا.

وبالعودة الى اجازتنا (اول إجازة طبية ممنوحة من جامعة القرويين)، فقد كانت واضحة الاركان موثقة عدليا ومشهود بصحتها ومعلومة السياق، فنجد بين اسطر نص الاجازة إشارة لزمان ومكان تسليم الاجازة، وكذا أسماء المجيزين الشهود تحت إشراف قاضي مدينة فاس الفقيه عبد الله بن الطاهر.

- الزمن : العاشر من شهر رجب 603 هجرية/ 1207 ميلادية
- المكان: حضرة مدينة فاس الادريسية
- المجيزون: ابن البيطار وأحمد النبطي وأحمد الإشبيلي

وفيما يلي تعريف موجز لهؤلاء الأعلام:

[200] رينو /الطب القديم بالمغرب ص 78

- ابن البيطار:

هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي المَعروف بابن البيطار، عالم نَبَاتي مُسلم، والصيدلاني الأول في تراكيب الدَّواء ورائد العلاج الكيميائي.

ولد في الأندلس بمدينة مالقة سنة 1197، كني ابن البيطار لان أباه كان بيطريًا حاذقًا. تلقى علومه في إشبيلية، ثم انتقل إلى المغرب بعد أن بلغ العشرين من عمره، وزار فاس ومراكش كباحث في علم النبات، ثم الشام ومنها إلى الحجاز إلى بلاد اليونان إلى أن استقر في دمشق.

درس ابن البيطار علوم النبات في مطلع شبابه على يد أساتذته الذين التقاهم في إشبيلية: أبو العباس ابن الرومية النباتي الذي كان أكبر أساتذته الثلاثة، وابن حجاج الإشبيلي وطبيبنا الفذ عبد الله بن صالح الكتامي. ورث ابن البيطار السمعة الجيدة عن أستاذه، بل إن صيته فاق أستاذه فيما بعد لموهبته ودأبه، وكثرة ترحاله.

كان حسن الخلق حاد الذاكرة، وقد قال عنه تلميذه ابن أبي أصيبعة : "رأيت من حسن عشرته وكمال مروءته وكرم نفسه ما يفوق الوصف، ووجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي الكتب المؤلفة في هذا العلم ما يثير التعجب لذاكرته المتوقدة النادرة، فكان يذكر كل دواء في أي كتاب ذكر وفي أي مقالة من هذا الكتاب وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة، إن ابن البيطار هو أوحد زمانه وعلاّمة عصره في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نبته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها."[201]

ومن الجهود التي تحسب لابن البيطار؛ مساهمته في استقرار المصطلح الطبي العربي بمعجمه الذي أصبح من بعده مصدرًا ثريًا لكل أطباء أوروبا والغرب.

[201] عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1/601

وضع ابن البيطار عددًا من المؤلفات أشهرها الموسوعة النباتية المسماة الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، والذي وصف فيه أكثر من 1.400 عقار نباتي وحيواني ومعدني منها 300 من صنعه، مبينًا الفوائد الطبية لكل واحد منها. إضافة الى كتب أخرى : تفسير كتاب ديسقوريدوس - رسالة في تداوي السموم - ميزان الطبيب والأقرباذين.

توفي ابن البيطار في دمشق عام 646هـ الموافق 1248م. وهو في الحادية والخمسين من عمره. ويذكر ان المنية وافته وهو يقوم بأبحاثه وتجاربه على النباتات، وتسرب إليه السم أثناء اختباره لنبتة حاول صنع دواء منها.

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار

- أحمد النبطي

هو العالم العربي المسلم أبو العبّاس النباتي واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل (561 هـ/ 1166م - 637 هـ / 1239م)، الإشبيلي الأندلسي، عالم مشهور بشؤون علوم الحديث، ونباتي عشاب، وعقاقيري صيدلي. اشتهر في القرن الثالث عشر الميلادي، ولد وتعلم في أشبيلية بالأندلس. برز في علم النبات ومعرفة الأدوية المفردة حتى صار المرجع في هذا المجال للعلماء في عهده ودفعته إلى الأسفار رغبته في سماع الحديث، والاتصال بشيوخه، وميله إلى تحري منابت الأعشاب وجمع أنواع النبات. وهو أستاذ ابن البيطار.

جال أولاً في أنحاء الأندلس، ثم قدم المشرق، وعندما سمع السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب عنه، استدعاه إلى القاهرة، وتلقاه وأكرمه، وبقي مقيما عند السلطان مدة عامين جمع له فيها الترياق الكبير (علاج السموم) ثم توجه إلى الحجاز ولما حج عاد إلى المغرب وأقام بأشبيلية.

منهجه :

مما تميز به ابن الرومية أنه لم يكتف بما كتبه العلماء السابقون عن النباتات بل كان يدرسها بنفسه ويعمل عليها التجارب، لكي يتسنى له بوضوح ما يريد أن يكتب عن هذه النباتات.

مؤلفاته في علم النبات:

-الرحلة النباتية وهو أهم مؤلفاته، ولم يصلنا منه شيء إلا مقتطفات ذكرها ابن البيطار في كتابه.

- تفسير الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس.

- رسالة في تركيب الأدوية.

- ابن حجاج الإشبيلي

هو أبو عمرو أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي عالم فلاحة وبيطري وفقيه مسلم. يعد من أشهر علماء الزراعة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

ظهرت براعة ابن حجاج في علمي الفلاحة وتربية النبات والحيوان، ومداواة ما يصيبها من أمراض وآفات، بدليل تعدد الأبحاث التي طرقها في كتابه وعمقها. كانت تتركز أبحاثه في النباتات فيما يُعرف به جيد الأرض من سيئها، وقرب الماء من بعده، وحلوه من مره، وتخيُّر البذور، وطريقة الزرع وأوقاته، وما يكثره ويدفع الآفات عنه، أوقات الحصاد ورفع المحصول. وتحدث كذلك عن طائفة من الحيوانات والحشرات، وطرق مكافحتها وتجنب أذاها.

كُتُبه: - المقنع في الفلاحة.

- زهرة البستان في نزهة الأذهان.

اما الان؛ فسنسعى الى تحليل الاجازة في حد ذاتها، لنتعرف عن قرب على الطبيب المجاز، ثم سنورد نص الاجازة، لنتوج بحثنا في رائدة الاجازات الطبية بدراسة تحليلية للشكل والمضمون. فنتساءل ابتداءا؛ من هو الكتامي المجاز الذي بصم اسمه في التاريخ كاول المجازين في الطب؟

❖ ظروف منح الاجازة

سبق ان تعرفنا في الجزء الأول من بحثنا هذا على أنواع الاجازات العلمية، وكيف ان الاجازة في بداية تداولها كانت تمنح من معلم مجيز الى تلميذه بعد إتمامه الإحاطة بالموضوع المجاز، او ان الاجازة كانت تمنح لطالبها بعد طلب مقدم سمي استجازة.

"...وطلب ممن خالطوه ان يشهدوا له بالاجازة في علم الطب على عادة الأطباء الاقدمين، واحتاج في ذلك للاذن لمن له الاحكام الشرعية ب مدينة فاس الادريسية ورفع امره اليه فاذن له في تلقي الشهادة من العلماء المعترف لهم ..."

وبالاعتماد على السطرين أعلاه، يتبين ان الاجازة جاءت استجابة لطلب المجاز على العادة السائدة حينها. لكن هذه المرة؛ سلمت الاجازة لطبيب متمرس وليس لطالب طب، كما سلمت بعد معاشرة وتحقق من حسن ممارسة وليس بعد امتحان.

3. الطبيب المجاز

عبد الله بن صالح الكتامي

هو عبد الله بن محمد بن صالح الشجار الكتامي، من أطباء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، عاصر فترة الخلافة الموحدية بالمغرب الأقصى؛ وبالضبط عصر السلطان الناصر لدين الله الذي كان يطلب مرافقة الحكيم الكتامي في معاركه، وذلك لما عُرف عنه من حنكة في العلاج وخبرة من صنع العقاقير والمراهم حتى في ساحة المعارك.[202]

نسبه راجع الى قبيلة امازيغية تدعى "كتامة"، تموقعت في دائرة تابعة لإقليم الحسيمة شمال المغرب. لكن طبيبنا هذا ورد اسمه في لائحة « تصنيف أشخاص من إشبيلية» وهو أندلسي عاش حياته في مراكش وفاس"[203]

ولقد استقر بمدينة فاس حيث زاول مهنته كطبيب، "وما يدل على ذلك ما أورده ابن البيطار حين حديثه عن نبتة ذنب السبع فذكر ان عبد الله بن صالح قال: رايت البربر بقطر فاس... ". كما يذكر الدكتور الحسيني ان عائلة بن صالح الكتامي "كانت اسرة علم ومعرفة بالعديد من العلوم أنجبت من العلماء" وذلك استنباط من وجود اسم "ابو بكر بن صالح الكتامي" صاحب المؤلف "المنهج الحنيف في اسمه تعالى اللطيف"

عُرف من أعلام الطب المغاربة الكثير، غير ان ورود اسم "الكتامي" - الذي لا نعرف عن شخصه ولا عن المسار الدقيق لحياته الشيء الكثير – كحاصل على اول الاجازات الطبية من جامعة القرويين يشكل المفاجأة؛ ويحرك شغف وفضول الباحثين في تاريخ علم الطب المغربي.

---

202 د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 223

203 كتاب عن مساهمة ابن البيطار في تاريخ الطب العالمي مفكرة الإسلام، 18 فبراير 2006. موقع واي باك مشين. موسوعة ويكيبيديا

"غير ان تصفح كتب التاريخ لا يفيدنا كثيرا في التعرف على شخصيته (الطبيب الكتامي)، سواء بالنسبة لتاريخ ولادته او وفاته او المسار الكرونولوجي لحياته بشكل دقيق. ومن ثمة؛ فان ورود اسمه كحاصل على الاجازة يعد من بين المفاجآت العلمية التي تستحق البحث والتدقيق العلمي."[204]

لذا ما سنحاول فعله للتعرف اكثر على مجازنا؛ هو الغوص في ميدانه المفضل: علم الادوية او الصيدلة، بطريقة غير مباشرة؛ وذلك عبر مؤلفات تلميذه النجيب ابن البيطار، الذي لو لم يكن للكتامي سوى الفضل في تعليمه لكفاه، ورب تلميذ اشهرمن استاذه !

ولكي يظل اسم عبد الله بن صالح الكتامي رسيخ الذاكرة العلمية الطبية في المغرب، سعت كليتنا المتميزة كلية الطب والصيدلة بفاس، الى تسمية قاعة الاطروحات الرسمية بها - القاعة التي تظل راسخة بوجدان أطباء المستقبل خريجي كليتنا؛ كمكان جَمع الاهل والأصدقاء، مكان أُدِّي فيه القسم المقدس، مكان اعتِرِفَ فيه للمرة الأولى بلقب الطبيب بعد تلك السنوات العديدة - تسميتها "قاعة عبد الله بن صالح الكتامي" في إشارة الى رائد المجازين. وفي ذلك خطوة ذكية تُحسب للكلية في محاولاتها - من خلال لجنة التراث فيها - لتعريف الطلاب بذلك التاريخ العتيد والتراث المجيد للطب في حضارتنا العربية الإسلامية عامة والمغربية خاصة.

مدخل قاعة الأطروحات بكلية الطب والصيدلة بفاس مع لوحة تعرف الطبيب الكتامي مرفقة بصورة لإجازته

[204] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 222

❖ الكتامي والعلوم الطبية

لم تعرف لعبد الله بن صالح مؤلفات خاصة تحمل اسمه لكن يمكننا استنباط معارفه ومجالات اجتهاده انطلاقا من مؤلفات تلميذه العلامة ابن البيطار وذلك على غرار المقولة هذا الشبل من ذلك الأسد يمكننا ان نقول هذا التلميذ من ذلك الأستاذ. هذا التلميذ الذي [لم يبخس حق معلمه وفضله عليه فذكر اسمه مرارا واستشهد باقواله تكرارا ولعلنا استعملنا ما يسمى فب الرياضيات بالاستدلال بالخلف لنستنتج ان علم الأعشاب و النباتات وصناعة الادوية كانت مجال اجتهاد الطبيب الكتامي الأول.

فتبرهما، وتدخل في الغوالي والمخالع وأدوية المسك والإكحال. **عبد الله بن صالح** : الأشنة في طبعها قبول الرائحة من كل ما جاورها، ولذلك تجعل حسد العذائر والذرائر إذا جعلت جسداً فيها لم تطبع في الثوب. أحمد بن ابراهيم : إذا انتقعت في شراب قابض وشرب ذلك

205

ولعل ما يمكن ان يطرح من تساؤل سيكون حول ما الفه صاحب هذه الاجازة، خصوصا وان ابن البيطار يستشهد به في العديد من المواضع في كتابه الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، هكذا تساءل مؤلف الكتاب الذي اعتمدنا عليه ومازلنا في الإحاطة بالجوانب الخفية ل" جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب" للأستاذ الحسيني. وفي هذا الاطار تماما، يرد كاتبنا ليقول ان كتاب " تحفة الأحباب في نهاية النبات والأعشاب" المجهول المؤلف يمكن اعتباره من الأعمال الخالصة للطبيب الكتامي الى ان يثبت العكس، ورافق اجتهاده بأدلة:

205 كتاب المفردات ص 50

"ان كتاب "تحفة الاحباب في نهاية النبات والاعشاب" يمكن اعتباره مؤلفا له (الكتامي) لاسباب من بينها : ان الوصفات الواردة فيه تتطابق مع ما قدمه بن البيطار في كتابه "المفردات" سواء من حيث الاسم او العدد او الوضعيات العلاجية، وان الأسلوب المكتوب به يتشابه مع ما كتبت به مؤلفات الطب او البيطرة او الأعشاب في نفس المرحلة، إضافة الى كونه بخط مغربي مجهول المؤلف."[206]

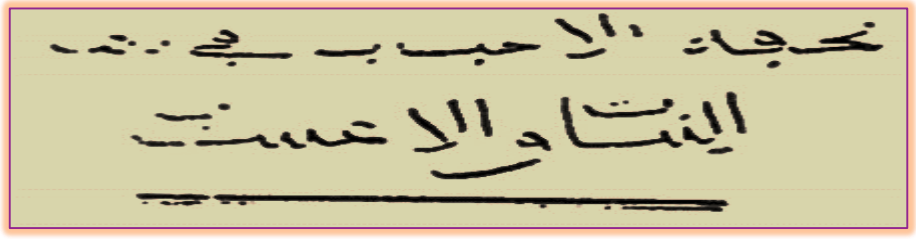

الصفحة الأولى تحمل عنوان الكتاب" **تحفة الاحباب في نهاية النبات والاعشاب**"[207]

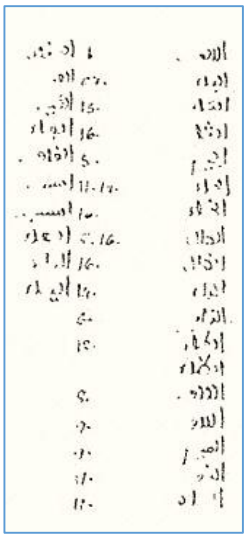

"وقد تم فيه ترتيب الأعشاب بشكل ابجدي مع ذكر مواطنها ووصف شكلها وظروف نباتها. وخصص الجزء الثاني من المخطوط لشرح الادوية وفق حروف المعجم ..." [208]

كما عرف منهج الطبيب الكتامي خاصة في مجال تركيب الادوية باعتماده على التجربة ولهذا نجد وصفه بالعالم المهندس والحاذق الكيس، وقد قرنت عديد أقواله بالفعل جربت.

---

[206] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 226

[207] مكتبة المصطفى الالكترونية-al-mostafa.com. / الخزانه العامه بالرباط - المغرب

[208] تحفة الاحباب في نهاية النبات والاعشاب ص 229

III. دراسة تحليلية للاجازة

1. من حيث الشكل:

❖ المخطوط:

تنتمي الإجازة الطبية لعبد الله بن صالح الى نوعية "المخطوطات" التي تعرف بكونها النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده. كما اضيف في تعريفها: "أو سمح بكتابتها أو أقرها أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل أو عن نسخ أخرى غير الأصل." [209]

ويجمل الباحث الحسيني – الذي جعل من اجازة الطبيب الكتامي موضوع دراسة معمقة - الخصائص الشكلية لاجازتنا: "هذه الوثيقة مخطوط مكتوب على رق الغزال، بالوان حبر متعددة ضمت الاحمر، الاسود، الازرق، البني الفاتح والاحضر... بمقياس 21 على 25 سنتيما. مزينة باطار مكون من شريط هندسي متقاطع على شكل خاتم سليماني منمق بغصينات وزخارف."[210]

".. أما عندنا في تراثنا الإسلامي، فنحن غالبا ما نتحدث عن رق الغزال، والخروف والماعز.. وأود أن أشير هنا إلى أننا قد نريد برق الغزال في بعض الأحيان الرق الرفيع الجودة دون أن يكون بالضرورة مأخوذا من جلد الغزال."[211]

209 عبد العزيز محمد المخطوط العربي وشيء من قضاياه ص 67

210 د الحسيني/ جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 215

211 د. مصطفى الطوبي، الصورة المادية للمخطوط العربي ص3

❖ خط الكتابة

خطت اجازتنا بحروف واضحة متمايزة غير متداخلة؛ صحيح انها مفتقرة لتلك اللمسة من التفنن والجمالية المميزة للخط العربي، على عادة اغلب الوثائق العدلية "التي يعتبر التمكن من قراءتها دون صعوبات كبيرة، نجاحا بحد ذاته..." !!

"ان الخط الذي كتبت به هذه الاجازة لا ينتمي الى الانواع ذات الطابع الفني التي تكتب بها اغلب المصاحف. ويمكن اعتباره خطا عدليا عاديا بسيطا, باعتبار ان وجود القاضي ضمن الحاضرين يتطلب حضور عدلين يقومان بتدوين ما تم التوصل اليه."[212]

البسملة في الاجازة بخط مغربي تحمل حروفه نقط التهجئة مع وجود بعض الحركات

وفي مايلي نماذج من الخطوط العربية مستقاة من كتاب "المخطوط العربي وشيء من قضاياه ".

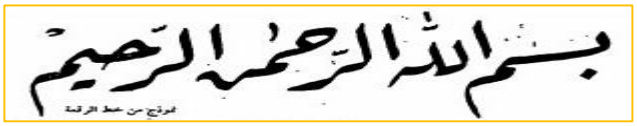

[212] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 243

❖ التحقيق

ان التحقيق في مخطوط ما هو بمثابة توثيق يهدف التأكد من عنوانه واسم مؤلفه ومادته العلمية وتصحيح ما أصاب ذلك من تحريف ومما زيد عليه أو أنقص منه، حتى يتاتى اعتماده وثيقة علمية تاريخية موثوقة.

"فتحقيق الكتب هو إصدارها على حقيقتها، أو بعبارة أخرى إصدارها على الصورة التي أرادها لها مؤلفوها. وهو بهذا المعنى أمر لا غنى عنه في نشر تراثنا المخطوط، لأن لكل نسخة خصائصها وتاريخها ونصيبها من الدقة وصحة النسخ وسلامته واكتمال النص أو نقصه أو زيادته." [213]

"على ان تحليل هذه الاجازة لا ينبغي ان يغفل الوقوف عند التحليلين الخارجي والداخلي للوثيقة، وذلك عن طريق تحليل عنوانها وتوثيقه وعلاقته بالمحتوى وتوثيق أسماء الاعلام الواردة فيها وتوثيق تاريخها في اطار السياق التاريخي والموضعتين الزمانية والمجالية." [214]

[213] المخطوط العربي عبد الستار الحلوجي ص 273

[214] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص215

2. من حيث المضمون:

بسم الله الرحمان الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
إجازة في الطب من جامعة القرويين العامرة

الحمد لله الذي زين الإنسانية بحب العلم، وجعل الانتماء اليه من اعظم الوسائل واقوى الأسباب، وكتب الشفاء لمن شاء بما شاء على يد من شاء من بريته، وانزل الماء ثجاجا برحمته؛ فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته؛ واخرج من نبات شتى وانعام ترعى ودواب تسعى منافع كثيرة ومشارب عديدة.

خلق الانسان وعلمه البيان، وابرز له معالم في كل زمان ومكان من ادوية جافة وادوية نافعة شافية بواسطة من شاء من الحكماء الاعيان الاعلام مما لا تدركه بعادة حكمته غاية الصفوة والافهام، حمدا يليق بكماله و الحكيم العليم واللطيف الحليم، ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي الاواب؛ الناطق بالحكمة وفصل الخطاب، اللهم صل عليه وعلى اله وصحبه صلاة تدلنا بها عليك وتقربنا بها اليك والحمد لله رب العالمين.

وبعد، فان علم الطب من افضل مهمات العلوم؛ بل علم شريف شرعي والاحاديث فيه كثيرة، كقوله صلى الله عليه وسلم {ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء} وامر عليه السلام بالكي والحجامة، وقد الف فيه جماعة من العلماء والفحول، وبسطوا فيه الكلام والابواب والفصول، وبحثوا فيه علاج الانسان والدواب مما يقتضيه الامر من المركبات والاعشاب، وحيث كان هذا العلم بهذه المنزلة وكان الطبيب الارضى عبد الله بن صالح الكتامي الانتماء قد تصدر لمداواة الناس والدواب ومعالجتهم بالحضرة الادريسية، وكانت له الاهلية لفهم الأطباء في دواوينهم، وطلب ممن خالطوه ان يشهدوا له بالاجازة في علم الطب على عادة الأطباء الاقدمين، واحتاج في ذلك للاذن لمن له الاحكام الشرعية بحضرة مدينة فاس الادريسية ورفع امره اليه فاذن له في تلقي الشهادة من العلماء المعترف لهم بالعلم والورع وحسن التدبير.

لقد شهدوا له بكونه بحرا يقف فحول الأطباء بساحله، وعجزوا عن مجاراته في ميادين صناعة الطب والبيطرة والصيدلة ودلائلها، عارفا مهندسا وحاذقا كيسا، وهو رجل صالح لا يهتم بجريمة ولا خيانة، ملازم للصلوات الخمس بالجماعة، وكثرة

الاذكار وغير ذلك من أفعال البر. ويشهد الأطباء والحجامون بانه عارف بميادين الطب والبيطرة والصيدلة، وانهم يشهدون باجازته في ذلك كله إجازة تامة شاملة عامة. وذلك في العاشر من شهر رجب عام 603 هجرية بحضور ابن البيطار والطبيب أبو العباس النباتي (النبطي) والطبيب ابن الحجاج الاشبيلي كان الله لهم.

الحمد لله اشهد العبد الفقير العلامة الامثب قاضي الجماعة بالحضرة العليا اعزها الله تعالى بثبوت الرسم أعلاه عنده الثبوت التام قاضي فاس محمد بن عبد الله الحسيني.

أ. هيكل الاجازة

العنوان

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

إجازة في الطب من جامعة القرويين بفاس العامرة

اول ما يلاحظ في هذا العنوان من حيث الشكل؛ هو ذلك الابداع في خطه والوانه، و قيمته المعبر عنها بكبر حجم حروفه، وتربعه اعلى الاجازة شاغلا ما يقارب عشر المساحة المكتوبة، في دلالة واضحة على تجسيده لماهية الاجازة الممنوحة، فهو بكل بساطة المتكلم الرسمي باسمها.

اما من حيث المضمون؛ فالملاحظ ان العنوان - وعلى غرار جل ان لم نقل كل المخطوطات – يبتدا بالبسملة كمستهلة لكلمات الاجازة، وذلك راجع أساسا الى التعاليم الإسلامية التي ما فتئت تضفي لمستها المميزة في مختلف الميادين حتى العلمية منها مؤكدة على ان الإسلام بكل تلقائية...منهج حياة. وسيتضح الامر اكثر في غمار تحليلنا لباقي فقرات الاجازة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عزّ وجلّ فهو أبتر} [215]

[215] رواه أحمد في المسند، وابن ماجة

بعد البسملة والصلاة على الرسول الكريم، جاء التعريف بنوع المخطوط وميدانه ومجاله، في جملة بسيطة التركيب كثيرة الفحوى: " إجازة في الطب من جامعة القرويين بفاس العامرة "، هذه الجملة كفيلة باطلاعنا على مجريات الحياة العلمية في تلك الحقبة من تاريخ فاس، فالقرويين كانت جامعة باعتراف روادها من الأساتذة والشهود، وكان الطب من المواد المدرسة بها، كما انها كانت تمنح الاجازات باسمها. لقد كانت فاس بحق مدينة عامرة بالعلم والعلماء.

بعد المامنا اجمالا بعنوان اجازتنا، سنتعرف الان على تشكيلها الهيكلي؛ حيث سنحاول تقسيمها الى فقرات من مقدمة عرض وخاتمة -مع العلم أن هذه البنية ظلت متوارثة حينا من الدهر في تكوين بنية الخطاب الإجازي - على ان دراسة مضامين الاجازات بصفة عامة كان محور مبحث سابق كانت هذه خلاصته :

اركان الاجازة ومضمونها

أركان الإجازة اربعة: المجيز والمجاز له والمجاز به ولفظ الاجازة

اما مضمونها فينقسم الى أربعة أجزاء رئيسية:

- الجزء الأول: يعتبر كافتتاح ومقدمة
- الجزء الثاني: لفظ الرواية
- الجزء الثالث: لفظ الاجازة وما يتبعها من حقوق
- الجزء الرابع: الواجبات المترتبة عن المجاز

إننا إذ نزمع دراسة ثنايا الاجازة دراسة نقدية، فسنحاول ان نتخذ من التحليل البنيوي أداة ووسيلة لتكوين نظرة شاملة على خطابها، معتمدين من حيث المنهج على البحث المتقن لنيل الماجستر في اللغة العربية من جامعة وهران لفضيلة عماري، والذي كان تحت عنوان "فن الاجازة".

" يتعلق الأمر إذن بالبحث عن معمار الإجازة والقبض على التصميم الداخلي لها و المتكونة من مجموعة من العناصر والأجزاء التي يترابط بعضها ببعض حسب مبدأ مميز، والمقصود بالبناء المعماري للإجازة؛ هندسة النص الداخلية شعوريا وفكريا من حيث تجلياتها فيما يتوزع إليه النص من مقاطع وسياقات تشكل بمجملها بناءا متماسكا."[216]

ولان لكل إجازة خصوصياتها؛ فسنفرد اول إجازة في ميدان الطب والصيدلة والبيطرة بتحليلنا، والتعمق في تركيبية جملها ومقارنتها مع اجازات أخرى سواء كانت نثرية او شعرية.

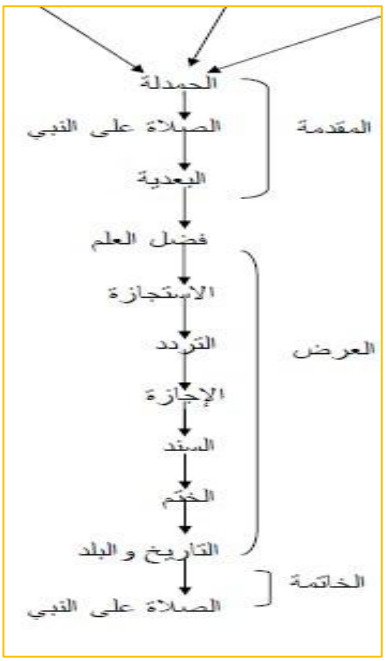

مقارنة هيكل الاجازات المقري واجازتنا المدروسة

216 فن الاجازة ص24

نلاحظ من حيث الشكل العام لهيكل الاجازة تشابها صريحا يكاد يصل حد التطابق رغم ان الاجازتين تنتميان الى مجالين متباينين، وربما يرجع الامر في ذلك الى النسق العام المعتمد حينها، او لتشبع العالم الجزائري (المقري) باللمسة المغربية اثناء تدريسه بالقرويين.

وفي هذا يقول الدكتور بامي[217] - المشرف على مركز ابن البنا المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، تحت لواء الرابطة المحمدية للعلماء-:

"ويبدو أن فاس وفرت للمقري كل ظروف التألق والإبداع: مجالس علم في كل أرجاء المدينة، وخزائن الكتب، وكثرة العلماء، مما نتج عنه أخذ وعطاء ومشاركة، حتى علا نجمه، وعرف فضله، وصار مجلسه بجامع القرويين مجلسا مقصودا يؤمه طلاب العلم ورواد الأدب، ويقبل الفقهاء والعلماء والمثقفون على قراءة كتبه الدينية والأدبية والعلمية ويتنافسون في انتساخها، ويلتمسون منه الإجازة..." [218]

يتاسس التصميم الداخلي للإجازات النثرية، بالحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، مرورا بالعرض الأساسي والمحوري وصولا إلى الخاتمة. "وملخص القول أن التنظيم في الإجازة، يظهر بأوضح ما يكون في انقسامه إلى ثلاث بني كبرى و أساسية وهي: المقدمة، العرض والخاتمة."

ولنبدا بحول الله بأول ضلع من هيكل الاجازة: المقدمة

[217] الأستاذ الذي توردنا من غزير عطاءاته في مجال تاريخ العلوم، العطاءات التي ستغني اطروحتنا في قادم الفصول بحول الله

[218] د جمال بامي، "أحمد المقري" نشر في ميثاق الرابطة يوم 30 - 03 – 2012

المقدمة

الحمد لله الذي زين الإنسانية بحب العلم وجعل الانتماء اليه من اعظم الوسائل واقوى الأسباب وكتب الشفاء لمن شاء بما شاء على يد من شاء من بريته وانزل الماء ثجاجا برحمته فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته واخرج من نبات شتى وانعام ترعى ودواب تسعى منافع كثيرة ومشارب عديدة

خلق الانسان وعلمه البيان وابرز له معالم في كل زمان ومكان من ادوية جافة وادوية نافعة شافية بواسطة من شاء من الحكماء الاعيان الاعلام مما لا تدركه بعادة حكمته غاية الصفوة والافهام حمدا يليق بكماله و الحكيم العليم واللطيف الحليم ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي الاواب الناطق بالحكمة وفصل الخطاب اللهم صل عليه وعلى اله وصحبه صلاة تدلنا بها عليك وتقربنا بها اليك والحمد لله رب العالمين

هي بنية أساسية غايتها التمهيد لطرح الغرض العام الذي هو الاجازة، لكن سرعان ما تحولت الى ساحة فنية يتنافس فيها المجيزون في اتحاف مسامعنا ببديع العبارات، فهي تزيد النفس بحسنها قابلية لتلقى ما بعدها، وربما اخفت بحسنها كثيرا من الزلل.

"المقدمة هي الطليعة الدالة على ما بعدها والمدخل الذي يمهد به الكتاب الغرض معين، ويطلق عليها البعض اسم الافتتاحية والمطلع. ولقد اهتم الشعراء والنقاد بمطالع الأعمال الأدبية وخصوصا المقدمات الشعرية، التي

رأوا فيها دليلا على براعة الشاعر وتفوقه، فكانوا يقولون: " أحسنوا معاشر الكتاب الإبتداءات فإنهن دلائل البيان."[219]

وإذا كان البناء المعماري للإجازة مشكل من حركة الإحساس والتفكير داخل النص، فإن المقدمة تتشكل أيضا من تلك الحركة التي عملت على تحويل المقدمات من مدخل تقرير رسمي موضوعه الحمد لله والصلاة على النبي؛ إلى شكل في تتحكم في علائقه محاور مختلفة.[220]

نص مقدمة اجازتنا لم يخرج عن هذا الاطار، فقد اشتمل الحمد لله بابهى العبارات - التي ستتعرف اسلوبها في الفقرة القادمة – والصلاة على اشرف المرسلين. قي اتباع صريح لتلك السنة المؤكدة في الكتابات الانشائية، وذلك وفق ما أورده المتضلع في ميدان صناعة الانشاء القشقلندي.

"لما كان الحمد مطلوبا في أوائل الأمور طلبا للتيمن والتبرك عملا بما رواه الراوون لحديث البسملة المتقدم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال{ كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم} اصطلح الكتاب على الابتداء به في الكثير مما يكتبونه مما له شأن كالبيعات والعهود... ولا نزاع في أن الصلاة على النبي مطلوبة في الجملة وناهيك في ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل { إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} فناسب أن تكون في أوئل الكتب تيمنا وتبر كا وقد جاء في تفسير قوله تعالى { ورفعنا لك ذكرك} أن المعنى ما ذكرت إلا وذكرت معي فإذا أتي بالحمد في أول كتاب ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي في أوله إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى." [221]

---

[219] يوسف بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم

[220] فضيلة عماري، "فن الاجازة" ص 26

[221] القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا

العرض

وبعد، فان علم الطب من افضل مهمات العلوم؛ بل علم شريف شرعي والاحاديث فيه كثيرة، كقوله صلى الله عليه وسلم {ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء} وامر عليه السلام بالكي والحجامة، وقد الف فيه جماعة من العلماء والفحول، وبسطوا فيه الكلام والابواب والفصول، وبحثوا فيه علاج الانسان والدواب مما يقتضيه الامر من المركبات والاعشاب.

وحيث كان هذا العلم بهذه المنزلة وكان الطبيب الارضى عبد الله بن صالح الكتامي الانتماء قد تصدر لمداواة الناس والدواب ومعالجتهم بالحضرة الادريسية، وكانت له الاهلية لفهم الأطباء في دواوينهم، وطلب ممن خالطوه ان يشهدوا له بالاجازة في علم الطب على عادة الأطباء الاقدمين، واحتاج في ذلك للاذن لمن له الاحكام الشرعية بحضرة مدينة فاس الادريسية ورفع امره اليه فاذن له في تلقي الشهادة من العلماء المعترف لهم بالعلم والورع وحسن التدبير.

لقد شهدوا له بكونه بحرا يقف فحول الأطباء بساحله، وعجزوا عن مجاراته في ميادين صناعة الطب والبيطرة والصيدلة ودلائلها، عارفا مهندسا وحاذقا كيسا، وهو رجل صالح لا يهتم بجريمة ولا خيانة، ملازم للصلوات الخمس بالجماعة، وكثرة الاذكار وغير ذلك من أفعال البر. ويشهد الأطباء والحجامون بانه عارف بميادين الطب والبيطرة والصيدلة، وانهم يشهدون باجازته في ذلك كله إجازة تامة شاملة عامة.

يشكل العرض صلب موضوع الاجازات، وقد جرت العادة ان يبتدا ب "وبعد" او "اما بعد"، هذه العبارة التي تستعمل في فن الرسائل بصفة عامة، في الخطب الدينية وحتى في فن الاجازات، كاداة لانتقال سلس بين المقدمة والعرض. هذا الأخير؛ عادة مايتركب هيكله من ثلاث محاور رئيسية سنحاول تعرفها واسقاطها على اجازتنا.

"يعتمد العرض في تشكيله نوعا من الآلية البنيوية، إذ يسير نحو تنظيم عناصره وفق تراتبية منطقية تبتدئ بالتمهيد وذكر الطلب وتنتهي بالإجازة مع ذكر التاريخ والبلد، و كل بناء في العرض يتشكل من مجموعة من الأبنية الصغرى التي تتراص لصنع العرض "[222]

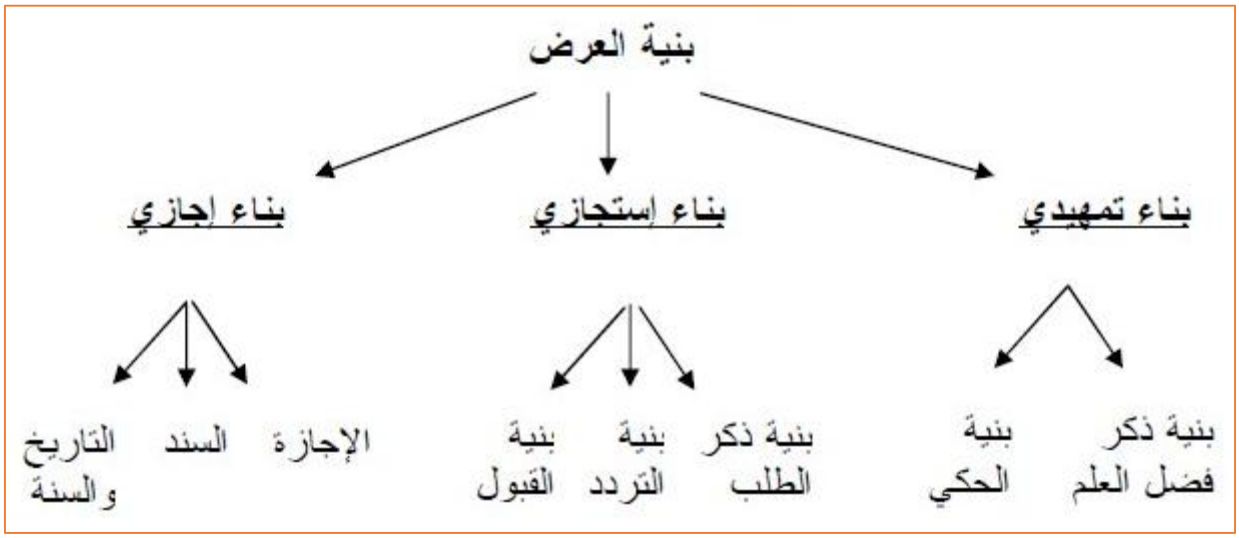

مخطط توضيحي حول هيكل بنية العرض [223]

- البناء التمهيدي:

في دلالاته العامة يكون هذا الجزء تقريري وصفي للعلم الذي تمنح الاجازة في ميدانه – فيذكر فوائده -، وللعلماء المجتهدين فيه – ذكر فضلهم عامة ثم التخصص في ذكر العالم المقصود بالإجازة -، وذلك باعتماد التدرج البنائي في تشكيل فضل العلم والعلماء، من العام إلى الخاص.

وفي هذا الاطار يقول الدكتور الحسيني: "اما موضوع هذه الاجازة فقد تم تناوله منذ البداية في اطار عام يتمثل في الطب باعتباره افضل مهمات العلوم، ولكونه انفع ما يصلح لصحة قوام بنية الابدان، كما انه يشكل

[222] فضيلة عماري، "فن الاجازة" 46
[223] نفسه، ص 51

منظومة متكاملة تضم الى جانب الطب البشري البيطرة والصيدلة " وبحثوا فيه علاج الانسان والدواب مما يقتضيه الامر من المركبات والاعشاب." "[224]

في المخطط التوضيحي اسفله تلخيص لذلك التدرج البنائي في وصف العلم والعلماء

[225]

و بمقارنة مع الاجازات الأدبية للمقري، نلاحظ شبه تطابق بين التدرج البنائي لتناول العلم والعلماء في فقرة العرض:

فضل علم الطب

"وبعد، فان علم الطب من افضل مهمات العلوم؛ بل علم شريف شرعي والاحاديث فيه كثيرة،
كقوله صلى الله عليه وسلم {إن الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء}

فضل العلماء في الطب

وقد الف فيه جماعة من العلماء والفحول، وبسطوا فيه الكلام والابواب والفصول، وبحثوا فيه

فضل الطبيب المجاز

وحيث كان هذا العلم بهذه المنزلة وكان الطبيب الارضى عبد الله بن صالح الكتامي الانتماء قد تصدر لمداواة الناس والدواب ومعالجتهم بالحضرة الادريسية، وكانت له الاهلية لفهم الأطباء في دواوينهم

224 د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 241

225 فن الاجازة ص 53

- **البناء الاستجازي:**

تتمحور دلالات هذا البناء على مفهوم أساسي الا وهو الاستجازة، حسب البنية التي ذكر بها المجيز هذا الطلب دون ذكر الطلب الحرفي للمجاز.

"وطلب ممن خالطوه ان يشهدوا له بالاجازة في علم الطب على عادة الأطباء الاقدمين واحتاج في ذلك للاذن لمن له الاحكام الشرعية بحضرة مدينة فاس ا ورفع امره اليه فاذن له في تلقي الشهادة من العلماء المعترف لهم بالعلم والورع وحسن التدبير."

من خلال هذا النص يتضح لنا الاتي:

- ❖ منحت الاجازة بعد طلب (الاستجازة)
- ❖ الاجازة في الطب كانت امرا متداولا عند الأطباء الاقدمين
- ❖ منح الاجازات كان خاضعا للسلطات العليا (على نهج الحسبة)
- ❖ لا بد من توافر الاهلية في العلماء المجيزين

- **البناء الاجازي:**

"بؤرة العمل الاجازي" وفيها يشهد المجيز(ون) بكفاءة المجاز وما لمسوه من جانبه من حسن سيرة وقوام خلق، ثم ذكر لفظ الاجازة او الاذن وما اجيز :

الكفاءة العلمية : لقد شهدوا له بكونه بحرا يقف فحول الأطباء بساحله، وعجزوا عن مجاراته في ميادين صناعة الطب والبيطرة والصيدلة ودلائلها، عارفا مهندسا وحاذقا كيسا

الكفاءة الخلقية: وهو رجل صالح لا يهتم بجريمة ولا خيانة، ملازم للصلوات الخمس بالجماعة، وكثرة الاذكار وغير ذلك من أفعال البر (غالبا ما كان معيارها الرئيسي هو الالتزام بالضوابط الدينية)

الاجازة وميدانها: ويشهد الأطباء بانه عارف بميادين الطب والبيطرة والصيدلة، وانهم يشهدون باجازته في ذلك كله

الخاتمة

وذلك في العاشر من شهر رجب عام 603 هجرية بحضور ابن البيطار والطبيب أبو العباس النباتي (النبطي) والطبيب ابن الحجاج الاشبيلي كان الله لهم.

الحمد لله اشهد العبد الفقير العلامة الأمثل قاضي الجماعة بالحضرة العليا اعزها الله تعالى بثبوت الرسم أعلاه عنده الثبوت التام قاضي فاس محمد بن عبد الله الحسيني

في هذا الجزء الختامي من الاجازات العلمية؛ غالبا ما ينص على الواجبات المترتبة على المجاز بعد نيله حق الإجازة، ثم يختتم بالوصايا المناسبة من الاستقامة والعدل والدعاء بالسداد. كما يشار فيها بذكر الزمان والمكان وجموع الحضور. "وذلك في العاشر من شهر رجب عام 603 هجرية بحضور ابن البيطار والطبيب أبو العباس النباتي (النبطي) والطبيب ابن الحجاج الاشبيلي كان الله لهم".

وفي تحليلنا لخاتمة اجازتنا، نلاحظ انها تجاوزها لكلمات الوصايا والدعاء، وكانها اعتمدت التوثيق غاية لها، فتم ذكر زمن منح الاجازة، جمع الشهود المجيزين من الأطباء الاعلام، واختتمت بتاكيد ثبوت الرسم من قاضي مدينة فاس.

ب. دراسة لأسلوب الاجازة

صحيح انه لنصوص الإجازات وظيفة أساسية تقريرية بالمقام الأول؛ فهي تعتبر وثيقة علمية تاريخية مرجعية من جهة، ومن جهة أخرى؛ فهي تعتبر مؤشرا يصف ويعكس الحياة الثقافية والاجتماعية لحقبتها.

أما الوظيفة الثانية ففنية جمالية، تقدم فيها الإجازة نفسها على أنها إبداع وفصاحة؛ خاصة اذا تكلمت عربية سامية غنية راقية، فتزداد بها ثراءا ومكانة، وهذا الجانب بالضبط هو محور السطور الموالية التي سندقق فيها في بعض أساليب البلاغة العربية المتبعة.

❖ أسلوب التداعي

التداعي : هو الانتقال من معنى الى اخر متصل يجعل من النص محبوك البناء.

❖ التداعي التركيبي:

"وهو نوع من التوازي في الجمل، يولد لوحة من التداعيات التي تنتشر على رقعة النص من الجملة التفريعية الأولى "الحمد لله"، ثم تتوالى التفريعات بواسطة التداعي من بداية الجملة الى اخرها، وهي متوازية من حيث الشكل والهيكل النحوي."[226]

بهذا التعبير وصفت الاديبة فضيلة العماري أسلوب التداعي المستعمل في اجازات المقري، وعند اسقاطنا لتعريفها على اجازتنا المدروسة، تبين لنا مرة أخرى ذلك "التوافق" في أساليب الاجازات؛

فقد خصصت في مقدمة اجازتا اسطر لحمد الله سبحانه والثناء عليه، ابتدا في اول جملة حمدلة بذكر لفظ "بسم الله الذي.."، ثم اقتصر على الواو العاطفة مع اكمال نفس النسق من فعل، مفعول به وشبه جملة.

[226] فن الاجازة ص101

الحمد لله	اسم موصول	فعل	مفعول به	جار ومجرور
الحمد لله	الذي	زين	الإنسانية	بحب العلم
و		جعل	الانتماء	اليه من اعظم...
و		كتب	الشفاء	لمن شاء...
و		انزل	الماء ثجاجا	برحمته
و		اخرج	حبا ونباتا وجنات	بحكمته

❖ التداعي الصرفي

هو توظيف المشاهد المتتالية والصور المتلاحقة التي تتداعى في خواطر المتلقي لتشكيل خطاب متناسق المضمون، سلس الاستيعاب.

"يقوم التداعي الصرفي بتيسير تسلل الصور وتناغمها من خلال حرف العطف (الواو)، الذي يقوم بتوليد الصور وتفريعها إلى دقائق صغيرة، فتشكل بموجبه خيط داخلي يشد الدلالات بعضها إلى بعض، بحيث يشيع عنصري الرفعة والقوة ومنهما جاء التداعي بهذا الحس الجمالي."

لقد وظف هذا الأسلوب في اجازتنا حين تم الربط بين الشفاء والدواء والماء، وكان الدكتور الحسيني السباق الى الإشارة اليه حين كتب قائلا: "والملاحظ انه اذا كان الشفاء بيد الخالق تعالى الذي يكتب الشفاء ... فانه جعل للإنسان ادوية من النبات والاعشاب يرتبط نموها بالمياه والامطار الجارية، التي تعد ماءا ثجاجا...وهو الامر الذي يدعو الى القول بوجود نسقية منسجمة على مستوى المضمون واللفظ."[227]

[227] جامعة القروبين ...ص240

❖ أسلوب السجع

يقال سجع الحمام : وهو ترديدها الصوت على نمط واحد، واصطلاحا يعرف السجع باتفاق بعض الجمل في النص أو المقاطع في الجملة الواحدة في النثر، في الحرف الأخير منها.[228]

وكثيرا ما ورد هذا اللون من البلاغة في ايات القرآن الكريم وحكم الحديث الشريف، وعلى غرار ذلك، استعمل أسلوب السجع في الكتابات الانشائية ومن ضمنها الاجازات العلمية.

"اما الاسلوب الذي كتبت به فهو أسلوب عربي سليم يعتمد السجع على عادة الكتاب والموثقين خلال العصر الوسيط."[229]

ويبين الجدول التالي، مواضع السجع المعتمدة في إجازة الكتامي التي اعتمدت في اغلبها على فاصلتين، مجسدة مظهرا من مظاهر فنية الإجازة العلمية.

	اربع فواصل
خلق الانسان، وعلمه البيان، وابرز له معالم في كل زمان ومكان	
من الحكماء الاعيان الاعلام، مما لا تدركه بعادة حكمته غاية الصفوة والافهام	2
الحكيم العليم، واللطيف الحليم	2
ورسوله النبي الاواب؛ الناطق بالحكمة وفصل الخطاب	2
وقد الف فيه جماعة من العلماء والفحول، وبسطوا فيه الكلام والابواب والفصول	2
علاج الانسان والدواب، مما يقتضيه الامر من المركبات والاعشاب	2
عارفا مهندسا، وحاذقا كيسا	2

[228] الازهر الزنات، دروس في اللغة العربية نحو رؤية جديدة ص 160

[229] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 240

❖ أسلوب التناص

"عرف التناص على أنه خاصية سيميائية نصية، وتعني تقاطع النصوص وتعالقها فيما بينها جماليا وفنيا، مما يخدم الخطاب خدمة أسلوبية بحيث يصبح النص فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة."

وفي الاجازة المناقشة؛ تم الاستشهاد بأكثر من خطاب ديني وادراجه باحترافية في مضمون الخطاب، وذلك في إشارة واضحة الى تشبع العلماء والأطباء في حضرة القرويين بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف. ومن ذلك ما تم اقتباسه من سورتي الرحمان والنبأ بأسلوب التناص، وباسلوب مباشر في الحديث النبوي الشريف: {ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء}.

"وقد تضمنت مقدمتها كذلك عبارات مستهلة من ايات قرانية كريمة: (وانزل الماء ثجاجا برحمته فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته)، واصلها الايات الكريمة 14، 15 و16 من سورة النبأ {وانزلنا من المعصرات ماءا ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا}. و(خلق الانسان وعلمه البيان) واصلها الايتان الكريمتان 3و4 من سورة الرحمان."[230]

يتبين لنا بناءا على ما سبق ان اجازتنا المدروسة؛ اول الاجازات الطبية من القرويين لعبد الله بن صالح الكتامي، حظيت ببديع من صور البلاغة العربية ترجمت أساليب متنوعة راقية، كما نالت أيضا حظها من التسلسل الهيكلي المحكم، جعل منها ساحة عطاء تزخر جمالية وحكما.

[230] د الحسيني / جامعة القرويين تمنح اول إجازة في الطب؛ ص 240

رسائل الاجازة

"الحكمة ضالة المؤمن" عبارة الهمتنا محاولة قراءة ما بين سطور الاجازة؛ بحثا عن معاني نبعت من افواه أطباء حكماء ترجمت حروفا، وهذه بعض من تلك المعاني التي كان لها وقع على القلب قبل العقل:

- العلم شرف المؤمن وزينته ووسيلة ومظهرا لقوته ليصير خيرا وأحب الى الله.

- تصحيح المعتقد بارجاع كل الامر لله تعالى، فهو المتصرف بمشيئته؛ يشافي باختلاف الفاعل والمفعول به، وباختلاف الوسائل والأسباب.

- ارجاع كل الفضل لله تعالى، فهو من مد الانسان بمادة العلاج الخام، والهمه استخراج الدواء منها.

- استشهاد بمنهج النبي الاواب في الدعوة الى التداوي، واشارة الى بعض من وسائل الطب النبوي

- الطب مصطلح جامع لكل ذي نفع في علاج البشر او الدواب.

- أهلية الطبيب تستقى من التصدره للمداواة، من فهم وتفهم الزملاء، من صلاح الشؤون واستقامة المنهاج.

- استحضار الصدق والأمانة في وثيقة الاجازة، اوجب تقصي العلم والورع في الشهود بعد اذن ممن له الاحكام الشرعية.

- رخصة الطبيب المجتهد تكون بحسن تقديره واعتباره حكيما حاز الثقة التامة العامة.

إجازة الطبيب محمد الكحاك

I. تقديم

لا شك ان تدريس الطب بجامعة القرويين استمر طيلة تلك القرون الفاصلة بين الاجازتين، كما لا شك ان الجامعة المرموقة؛ زكت أطباء الحاضرة الفاسية بعديد الاجازات عبر تاريخ الدول المتعاقبة على حكم المغرب الأقصى. لكن الأكيد والمؤسف في نفس الوقت؛ هو عدم حيازة الذاكرة الثقافية المغربية على وافر الاجازات الطبية الموثقة التي وسمت التاريخ العلمي العريق لفاس وجامعتها.

"وإذا كنا نعرف إجازات وشهادات متداولة في كل العلوم اللغوية والدينية، فإن الإجازات الطبية قليلة لأسباب منها : أن جلها يكون قد ضاع كما ضاعت كثير من الوثائق عبر التاريخ؛ وذلك لأن أصحابها بعد ثبوت أهليتهم وذيوع شهرتهم لا تبقى لهم حاجة بها؛ فيهملونها فتضيع. والسبب الثاني هو أن مزاولة مهنة الطب لا يعول فيها على الشهادة فقط؛ بل على المزاولة والاتصال المباشر مع الأستاذ المعلم، وهو ما يطلق عليه المريدية؛ التي هي ملازمة الطالب لأستاذه". وهنا نقف عمليا على ما سبق لنا ذكره في الفصل الأول من بحثنا؛ حول مكانة الاجازة العلمية كوثيقة تاريخية لها وقعها كترجمان للحياة الثقافية والفكرية لحقبتها.

سنكمل المشوار لننتقل الى ثاني الاجازات الموثقة في تاريخ فاس العلمي في مجال الطب؛ لتكون - ويا للمفارقة – من اخر الاجازات الممنوحة افتراضا من الجامعة المذكورة. والامر يتعلق هنا باجازة الطبيب محمد الكحاك سنة 1832 م.

II. السياق العام لمنح الاجازة

1. السياق التاريخي

توافق منح إجازة الطبيب محمد الكحاك مع العشرين من ربيع الأول عام 1248ه، الموافق للسبع عشر من غشت 1832م . وهو ما يصادف عهدة السلطان مولاي عبد الرحمان سليل الدولة العلوية. وفي ما يلي نبذة عن الدولة، السلطان، وبعض من مظاهر الممارسة الطبية في تلك الفترة:

أ. الدولة العلوية

اخذ العلويون تسميتهم عن الامام علي بن أبي طالب، وكان جدهم "الحسن القاسم" قد دخل تافيلالت في النصف الثاني من القرن 13م، تزايدت ذريته وانصهرت مع المجتمع التافيلالتي إلى أن أصبح للعلويين هيبة وسمعة كبيرتين هناك.

ومع بداية القرن 17م، ساعدت الظروف العامة التي عاشها المغرب آنذاك الى مبايعة سكان سجلماسة لعلي الشريف العلوي سنة 1633م وبذلك تاسست الدولة العلوية التي لا تزال مستمرة الى يومنا هذا.

شهد العهد العلوي جهودا كبيرة لنشر العلوم واشاعتها بين الرعية، وبتعاقب السلاطين؛ برز اسم السلطان سيدي محمد بن عبد الله – الاسم الذي اطلق على جامعة فاس التي تنضوي تحتها مجموعة مؤسسات تعليمية من ضمنها كليتنا للطب والصيدلة -، السلطان الذي يعتبره عهده فاتحة بعث الحركة العلمية التي تلتها نهضة المدرسة المغربية الحاضنة للثقافية والهويته الإسلامية.

"يتعلق الأمر بالشخصية العلمية لملوك المغرب الذين كانوا رجال قرآن وسنة وجهاد، ولم يكونوا فقط رجال حكم وسياسة. ومنهم سيدي محمد بن عبد الله الذي أمر العلماء بتدريس كتب الحديث وحثهم على العناية بأمهات كتب الفقه المالكي، وإصلاح التعليم في جامعة القرويين، مما أدى إلى بعث النهضة الحديثة."[231]

[231] د. محمد عيسوي "النهضة الحديثية في عهد السلطان محمد بن عبد الله"

السلطان محمد الثالث هو أيضا الجد الثالث لمولاي عبد الرحمان الذي تزامنت فترة حكمه واجازة الطبيب الكحاك، والذي تميزت فترته هو الاخر بدعم العلوم والعلماء.

Ce document (ijaza KAHHAK)a pour cadre historique le règne du Sultan Alaouite Moulay Abdar Rahman Ibn Hicham, long règne qui s'est déroulé de 1238 à 1276 de l'Hégire (1882-1859), et qui a constitué, sur le plan culturel et social, le début de ce que l'on pourrait appeler la "Renaissance Marocaine".

[232]

ب. السلطان عبد الرحمان بن هشام

عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي، السلطان الرابع عشر من سلالة العلويين، ولد سنة 1778 بمراكش.

عبد الرحمن بن هشام 1822 1859 م

حكم المغرب في الفترة ما بين 1822 - إلى 1859 م، انتقل إليه العرش في إطار صفقة أقرها عمه المولى سليمان مع والده هشام بن محمد من أجل وأد نار الفتنة التي قامت بين أبناء سيدي محمد بن عبد الله. كانت وفاته في 28 غشت سنة 1859 بمدينة مكناس.[233]

"خلال العصر العلوي بدأت -خصوصا منذ عصر المولى عبد الرحمن بن هشام- حركة التعليم والدعوة للدراسة العلمية، فقد شعر المغرب بأن تطور أوربا الصناعية تواكبه نهضة علمية يحسن به أن يقتبس منها، فألزم المولى عبد الرحمن بدراسة الرياضات والفلك وأنشأ مدرسة المهندسين بفاس سنة 1844."[234]

---

232 Un diplôme de médecin marocain à Fès en 1832 [article] Abdelkader Kahhak

233 ويكيبديا

234 ويكيبديا

ج. من مظاهر الممارسة الطبية في الحقبة

ورجوعا الى أحوال الممارسة الطبية بالمغرب بداية الفترة العلوية؛ فانه لم يكن يخفى وجود رموز التطبب الغير النظامي التي لا يكاد يخلو منها زمان أو مكان. ففي فاس مثلا؛ كانت حلقات رأس القليعة وساحة ابن البغدادي معقلا لتلك الرموز.

ومن تنظيمات المهنة ما ذكره الحسن الوزان الفاسي من أن العقاقيريين بفاس كانوا يجتمعون كلهم لتركيب الأدوية ثم يرسلونها إلى دكاكينهم لتوزيعها حسب الوصفات التي ترد عليهم.[235]. كما كان بمدينة فاس نحو 150 دكانا لبيع العطارة والمستحضرات الطبية، يعرض فيها الأطباء الأشربة والمراهم والمعاجين التي حضروها وغيرها من المستحضرات العلاجية، إضافة إلى الأعشاب التي كانت تباع على شكل مستحضرات مجربة لعلاج مرض ما.[236]

لكن هذا لا ينفي وجود بعض من مظاهر الممارسات الطبية الحديثة، من قبيل إقبال المغاربة على الاستشارات الطبية، فقد أشار أحد الباحثين إلى أن " الناس في مغرب القرنين 16 و 17 كانوا يستشيرون الأطباء ويعملون بنصائحهم وأنهم كانوا لا يترددون حتى في عرض أبوالهم على المختصين منهم. " [237]

اما المظهر الاخر من مظاهر تجديد وترقية وضعية الطب بمغرب العصر الحديث، فكان الاهتمام الموجه لزاوية التدريس الطبي، وذلك من خلال بلورة مناهج التعليم بجامعة المملكة - القرويين التي جلبت لعلم الطب روادا ومؤلفات من الشرق والاندلس، والتي استمر تدريس الطب بها حتى نهاية القرن التاسع عشر – واعتماد الاجازات الطبية دليلا على التمكن ورخصة للمزاولة.

---

235 لوكلير، تاريخ طب العرب (مجلدان)، ط. بيروت، وأعادت طبعه وزارة الأوقاف المغربية، ج 2

236 نفسه

237 استيتو (محمد)، الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16- 17م، ص 453

"بعد ظهور العلويين واستقرار الدولة بشكل عام، بدأت بوادر العودة إلى التألق المغربي في صناعة الطب تظهر. وقد كان للتراث الأندلسي الطبي دور أساسي في المعرفة الطبية لدى علماء جامعة القرويين؛ وهو ما يبرز نوعا من التجديد في المعرفة الطبية اعتمادا على تراث مغربي أندلسي غني وخلاق.."[238]

ثم برزت ظاهرة امتهان بعض الأسر للطب وتعاطيها له أبا عن جد، كان من بينها عائلة السوسي الفاسي الذي اخبر أن" أقاربه كانوا هم المنتصبين للعلاج بفاس ولهم مهارة وذوق سليم في الطب ويتحفظون من العلاج بالعقاقير والأمور السامة ولم نسمع عن أحد أصابته آفة من علاجهم." كما اشتهرت أسرة الدراق بالطب داخل البلاط العلوي" كالطبيب محمد وابنه عبد الوهاب، والطبيب أحمد بن محمد طبيب السلطان مولاي إسماعيل، وأحمد الدراق طبيب سيدي محمد بن عبد الله الذي التقى أطباء انجليز في طنجة بقصد تعليمهم التشريح معاينة. وهذه مسألة لا بد من استحضار أبعادها العلمية والنفسية والرمزية."[239]

238 النبوغ العلوي ج1/ د بامي ، المغرس
239 نفسه

2. الجهة المانحة للاجازة

على عكس إجازة الطبيب الكتامي التي أشارت بوضوح الى جامعة القرويين في عنوانها كجهة مانحة، فقد غيبت تلك الإشارة في اجازة الطبيب الكحاك التي نحن الان بصدد دراستها. الأمر الذي يعتبر محيرا؛ خاصة اذا علمنا ان جامعة القرويين؛ كانت بلا ريب المرجع العلمي لفاس خاصة والمغرب عامة في تلك الحقبة.

وعموما تم استبدال الإشراف الجامعي في منح الاجازات بجمع من الإعلام الشهود الذين يشكلون نخبة مدينة فاس؛ او "الحضرة الفاسية" كما وصفت في سطور الاجازة.

فاس التي لم يتفق المغاربة على وسمها بالعاصمةٍ العلميَّةٍ والروحيَّةٍ لبلدهم عبثا، فالمدينة كانت تعد مركزًا علميًّا مزدهرًا، تطوَّرت في حضنه مختلف العلوم الفقهية والفكرية والطبيعية وغيرها. "حاضرة المغرب وموقع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة...ومازالت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب." [240] لقد عاش العلم زمنا طويلا في مدارس فاس؛ فاشتهرت وازدهرت الحركة العلمية بها، حتى بات من السنن المعتادة عند المغاربة؛ ولو درسوا باي مدرسة أن يشدوا الرحال إلى فاس لنهل المزيد من العلوم. فقد كانت فاس أول مطاف العلم وآخره.

المدرسة البوعنانية

مدرسة الصهريج

المدرسة المصباحية

مدرسة ابن يوسف

مدرسة العطارين

[240] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب

ورجوعا الى موضوع الجهة المانحة لاجازة الطبيب الكحاك؛ فغالب الظن انها كانت بين اسوار القرويين؛ ذلك ان الزمن والمكان والأسلوب (الذي يكاد يكون طبق الأصل لاجازة الكتامي)..عوامل تصب في تلك الفرضية، لكن المؤكد ان الاعلام الواردة أسماؤهم في اجازتنا هم المتحدثون الرسميون باسم الجهة المجيزة..

لقد اعتُمِد بدلها (اسم الجامعة) أسماء شهود فاق عددهم الستين؛ يمثلون فئات متنوعة من المجتمع الفاسي. ابتدا أولا بذكر أسماء الشرفاء الذين بلغ عددهم اربعا وعشرين، ثم مجموعة التجار الست عشر، فثماني عشر من طبقة الحجامين العارفين بمعالجة الجراحات ، وأخيرا خمس من الأطباء زملاء المهنة.

Il est à souligner que les noms des déclarants sont cités dans l'ordre qui suit :

1/ Les Chorfas, ou descendants du Prophète, qui, d'ordinaire, possédent des lumières sur les connaissances générales de leur époque.

2/ Les négociants et les notabilités.

3/ Les scarificateurs qui, outre les saignées, pratiquaient les extractions dentaires et soignaient blessures, fractures et foulures.

4/ Enfin, les médecins de la ville.

كما ذكر اسم عون الشرع عبد الرحمان الحمياني. "هؤلاء الشهود كانوا – في غياب ما يمكن ان نسميه الإدارة في مصطلحتنا الحديثة بالقرويين حينها – شكلوا هيئة تحكيم او ما يمكن ان نسميه "اللجنة المشرفة". "

Les témoins qui, en l'absence d'une autorité universitaire au sens moderne du terme, ont, sous la responsabilité de la Justice, joué le rôle d'une sorte de "Jury" pour délivrer un titre de capacité au médecin Hadj Mohammed el Kahhak.

كانت الاجازة العلمية الطبية تُعنى بتزكية الطبيب الانسان، واتُّخِذت الشخصية والسيرة وحسن الدين والخلق معاييرا أساسية؛ الى جانب التمكن العلمي وحسن الإتقان التطبيقي لمهنة التطبيب. ولهكذا سبب؛ فقد اختير أعضاء اللجنة المشرفة على دراية.

فلا أَشهد على سلوك الفرد وخلقه من المقربين والمعاشرين له، من التجار والشرفاء ذوو القيمة والمكانة الخاصة في المجتمع الفاسي، كما لا ادرى في حيثيات الحرفة من الأطباء والحجامين (الذين يعنون بأعمال كالفصد وقلع الأضراس)، خاصة اذا اشرفوا على عمل ممارس وجربوه.

اذن فقد احترم في إجازة الطبيب الكحاك جميع الشروط التي وجب توفرها في وثيقة عدلية مثبتة صحيحة الأركان، فقد ذكر صاحبها، زمان ومكان تسليمها، شهودها وكل ذلك مثبت بتوثيق العدلين وتصديق ممثل السلطة العليا قاضي فاس. وذلك استجابة لاستدعاء تقدم به الطبيب المعلوم على العادة السائدة وقتها.

وبعد ان تعرفنا السياق التاريخي والمجالي - بصفة عامة مجملة – نبدا باسم الله تحليلنا لاجازة الطبي الكحاك. بين اسطر هذا الجزء، سنحاول ان نتعرف عن قرب على طبيبنا المجاز "احمد الكحاك" – رغم ضعف المعلومات التاريخية الموثقة لشخصه -، كما سنسعى الى دراسة نقدية لشكل الاجازة ومضمونها، مع مقارنة بين الفينة والأخرى لنظيرتها السابقة الخاصة بالطبيب الكتامي.

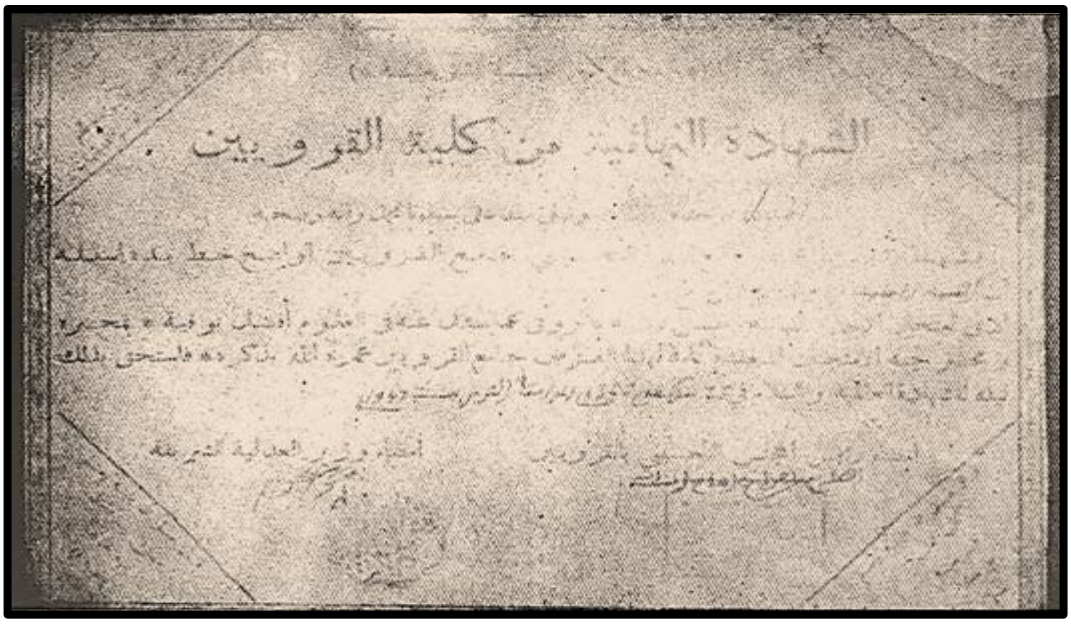

صورة من الشهادة النهائية لجامعة القرويين تحمل توقيع وزير العدلية ورئيس المجلس العلمي[241]

[241] جامعة القرويين/ د عبد الهادي التازي، الملحق

3. الطبيب المجاز

محمد الكحاك

هو الحاج محمد ابن الحاج أحمد الكحاك، من أطباء الحاضرة الفاسية في مغرب القرن التاسع عشر. طلب الطب بجامعة القرويين وحاز إجازته فيه سنة 1832.

عرف عن طبيبنا ضلوعه في الميادين الطبية العملية، " وكان الكحاك على معرفة بالجراحات البدنية وغرز اللحم وشد جبائر التكسير وأصناف البول بالقوارير واختلاف ألوانها وقدر ما يؤخذ من الدم بالفصد والحجامة والعروق التي نبغي فصدها والأجسام المفتقرة للإسهال والمحتاجة للقبض وغير ذلك».[242]

وهنا نقف عمليا على ما تحدثنا عنه انفا حول مكانة الاجازة العلمية كوثيقة تاريخية ذات الأهمية البالغة في عكس الحياة الثقافية الفكرية والسوسيواقتصادية للمجتمع في حقبة تسليمها. فمن ذا الذي ذكرنا بطبيب اجتهد وصلح ونفع يدعى الكحاك؛ غير اجازته التي نقشت اسمه على صفحات التاريخ؟ من يوثق لنا ذلك المستوى الراقي لمنظومة التدريس الطبي برحاب القرويين؟ من يحكي لنا ظروف المغرب السياسية والاجتماعية غير ما استشففناه بين سطورها؟ انها الاجازة ...

ومن بين ما حفظته لنا اجازتنا المحللة؛ عدد أطباء الحاضرة الفاسية الذين عاصرهم الطبيب الكحاك، وهنا نقف على ما ذكره الدكتور فؤاد العبودي في بحث بعنوان "تاريخ الطب بالمغرب من القرن السابع عشر حتى التاسع عشر"، حيث استنتج – من خلال الاجازة – ان سبعة كان هو عدد الممارسين للمهنة الطبية في ذات الزمان والمكان. وهم:

- عبد الوهاب بن الأحمر - محمد بن عبد السلام الأزرق - احمد السنتيسي
- محمد الزراري - احمد بن بوغالب بن حمو - يوسف اوساراس

[242] بنعبد الله، كيف تطور الطب والصيدلة في المغرب، ص299.

"هؤلاء الاعلام نجهل عن حياتهم الكثير، لكن حسب ما يبدو؛ فقد حازوا جميعهم نفس الاجازة الطبية للكحاك بما انهم كانوا شهودا عليها..." [243]

Mohammed El Kahhak :

L'Ijaza datant de 1832, qui peut être considérée comme unique en son genre, nous permet de connaître l'existence de noms de sept autres praticiens marocains contemporains à ce médecin

Abdellouahab Ben Lahmar, Mohamed Zirari, Ahmed Sentissi, Abdellah Adrane, Mohamed Ben Abdessalam Lazrak, Ahmed Ben Boughaleb Ben Hammou, Youssef Ouasa Arras

On ignore tout de même tout sur leurs biographies, ce qui est probable c'est qu'ils ont eu la même Ijaza puisqu'ils étaient des médecins témoins de la Ijaza de Mohammed Al Kahhak

لم يعرف لمحمد الكحاك مؤلفات تسمح لنا بالتعرف عليه من خلالها، كما لم يُحفظ لنا الكثير حول حياته، مسيرته، أساتذته او تلامذته. لكن والحمد لله حفظت لنا اجازته التي سنشرع في تحليلها.

243 Fouad LABOUDI ,THESE DE DOCTORAT HISTOIRE DE LA MEDECINE AU MAROC DU XVIIème AU XIXème SIECLES p117
Université Mohammed V Faculté de Médecine et de Pharmacie- Rabat

III. دراسة نقدية لاجازة الطبيب محمد الكحاك

1. دراسة نقدية لشكل الاجازة

أ. قالب الاجازة

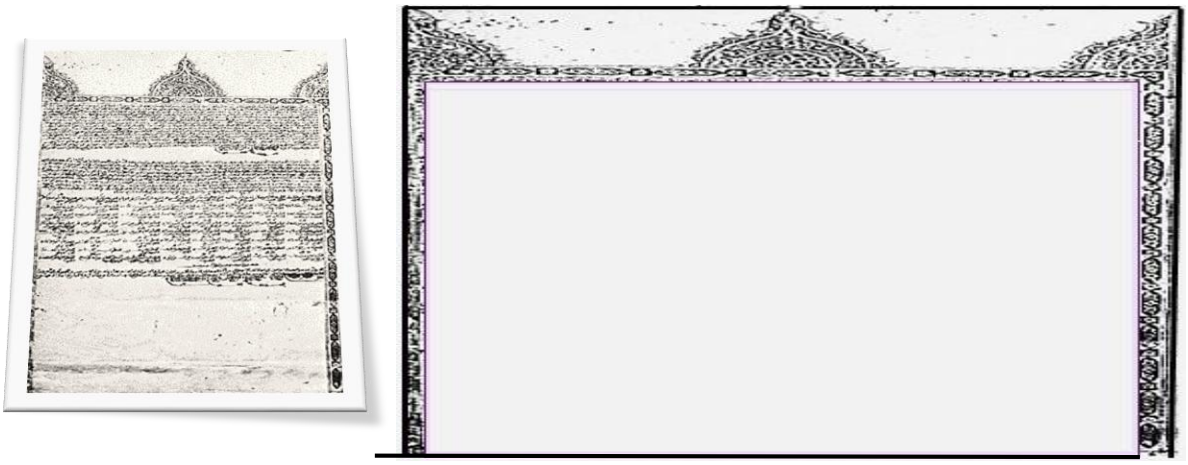

للأسف لم نجد صورة اصلية للاجازة حتى نتمكن من وضع وصف دقيق؛ خاصة لمسألة الألوان. لكن وجدنا من تأتت له فرصة الاطلاع عليها، انه الباحث عبد القادر الكحاك الذي اوفى اجازتنا ببحث مميز – ربما بتحفيز من النسب المشترك !! -

Le document se présente dans une belle calligraphie de l'époque, sur parchemin véritable. Le texte est encadré d'enluminures de couleurs chatoyantes, rouge, vert, bleu et or, qui après 140 années, ont gardé toute leur fraicheur.

يصف "الكحاك" الباحث اجازة "الكحاك" الطبيب بانها كانت بابهى حلة، فقد اطر النص باطار مزين باشكال هندسية والوان شملت الأحمر والازرق والذهبي. والتي حافظت على رونقها حتى بعد مرور اكثر من قرن من الزمن.

" وكان تذهيب المخطوطات يمر بعدة مراحل، أولها يسند إلى فنّان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف، ثم ينتقل المخطوط إلى فنان آخر يقوم بتذهيب هوامشه، وبداية فصوله وعناوينه. وكانت الرسوم النباتية والهندسية المذهبة في المخطوطات تصل إلى أبعد حدود الإتقان، والغاية في الاتّزان والدقة وتوافق الألوان."[244]

وهذه نماذج لالوان الابداع العربي في المخطوطات:

ب. خط الاجازة

ورغم عدم وضوح الصورة؛ فالظاهر ان الخط الذي كتبت به الاجازة هو الخط العادي السائد في اغلب الوثائق العدلية خاصة وان الاجازة مثبتة بشهادة عدلين. وذلك على غرار إجازتنا (إجازة الطبيب الكتامي) المحللة سابقا.

[244] اياد الطباع، المخطوط العربي ص 173

ج. هيكل الاجازة

بمجرد النظرة الأولى الى وثيقة الاجازة، يتبين انها تنقسم الى أربعة أجزاء رئيسية مقدمة وعرض وأسماء الشهود وخاتمة.

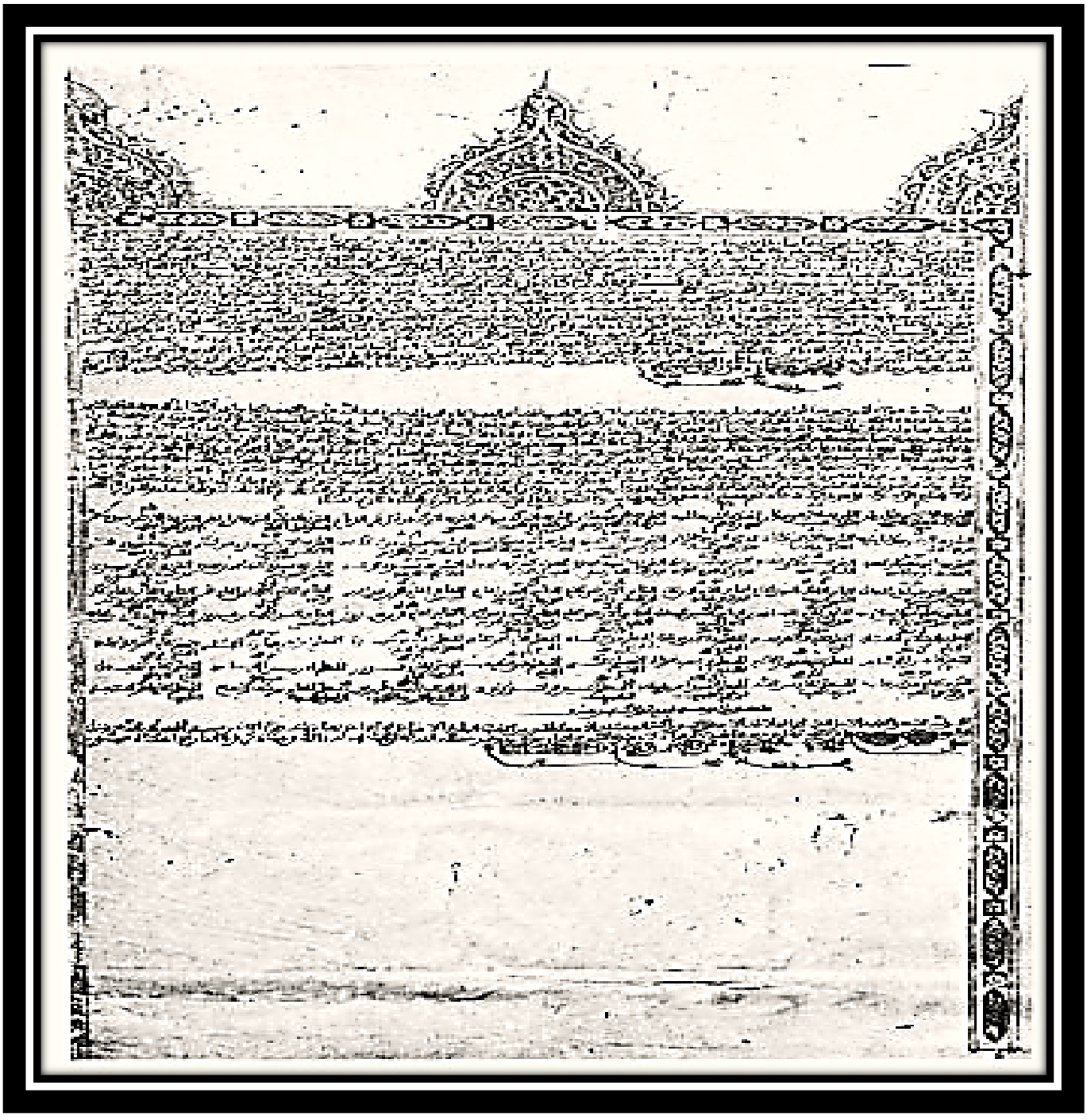

2. دراسة نقدية لمضمون الاجازة

الحمد لله الذي جعل الشفاء لمن شاء على يد من شاء من بريته و انزل من المعصرات ماءا ثجاجا برحمته، فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته، واخرج من نبات شتى و انعام ترعى و دواب تسعى منافع كثيرة ومشارب عديدة ومصالح جديدة، وجعل من الماء كل شي حي بلطيف صنعه ونعمته سبحانه جلت قدرته؛ ما اوسعه برحمته وما احكمه بحكمته وما اوفره بنعمته. خلق الانسان وعلمه البيان، وابرز له معالم تعمل يداه عجائب وغرائب في كل زمان و مكان، من ادوية صافية واغذية نافعة صافية، بواسطة من شاء من الحكماء الأعيان الاعلام، مما لا تدركه الا بمادة حكمته غاية العقول والافهام، حدا يليق لمقامه ويتصل بجلاله، على أسباغ نعمته ، واتساع رحمته، فهو الحكيم العليم و اللطيف الحليم، لا نحصي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه ، و نشكره شكرا نستحق به من فضله المزيد، والرفد الجديد. ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من اخلصها بقلبه، وجعلها افضل قربه و كسبه. ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي الأواب، الناطق بالحكمة وفصل الخطاب، اللهم صل عليه وعلى آله و صحبه صلاة تدلنا بها عليك وتقربنا بها اليك، و سلام في الأنبياء والمرسلين و الحمد لله رب العالمين.

و بعد فانه لما كان علم الطب من افضل مهمات العلوم ، ونفع المسلمين به عند الحاجة من جلة لباب النوال المعلوم كوزن صحة استقامة الاديان من صحة قوام بنية الابدان. و ان علم الطب من افضل مهمات العلوم، بل علم شريف شرعي و الأحاديث فيه كثيرة، كقوله صلى الله عليه وسلم {ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء} وأمر النبي صلى الله عليه بالكي و الحجامة؛ واحتجم هو صلى الله عليه وسلم. وقد الف فيه جماعة من الفحول وبسطوا فيه الكلام والأبواب والفصول، وفتحوا الى الحكمة الابواب رغبة فيما عند الله سبحانه من الثواب. وقد قال الأحنف ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يتركها: عمل بتزود به لمعاده؛ وصنعة يستعين بها على أمر دينه ودنياه؛ و طب يذب به الداء عن نفسه. وقيل لا ينبغي لعاقل أن يسكن بلدة ليس فيها خمسة: قاض عادل؛ وسوق قائم؛ و نهر جار؛ وسلطان قاهر و طبيب ماهر . وقال عليه الصلاة و السلام {يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء} وقال عليه

الصلاة و السلام {احتجموا ليلا تصابوا بالدم }أو كما قال. وورد أن {لكل داء دواء الا داء واحد وهو الهرم فاذا اصاب الدواء الداء برئ باذن الله} وفي الحديث أصل كل داء البردة؛ و فسرت بادخال الطعام على الطعام.

وحيث كان هاذا العلم بهذه المنزلة، وكان الطبيب الارضى الطالب المرتضى سيدي الحاج محمد بن المرحوم السيد الحاج احمد الكحال قد تصدر المداواة الناس ومعالجتهم بهذه الحضرة الادريسية، وكانت فيه اهلية لفهم كلام الناس في دواوينهم الطبية، وطلب من اناس خالطوه و جربوه غير ما مرة أن يشهدوا له بالاجازة في علم صناعة الطب على عادة الأطباء الأقدمين في اخذ الاجازة من المعاصرين لهم. واحتاج في ذلك للاذن لمن له الأحكام الشرعية بحضرة فاس الادريسية، ورفع امره اليه فاذن له سدده الله وارشده في ذلك على لسان عون الشرع عبد الرحمان الحمياني. واعتراف ان من يجب اذن في تلقي الشهادة من اللفيف المذكور اسفله اذنا تاما بمحضره وموافقته. عرفا قدره و شهد به عليهما باكمله وعرفهما و انتصاب العون لذالك في العشرين من ربيع الأول النبوي الأنور عام ثمانية و اربعين و مانين و الف .

امضاء العدلين :

الحمد لله شهوده الموضوعة اسماوهم عقب تاريخه يعرفون الطالب الأرضى الطبيب الماهر السيد الحاج محمد بن المرحوم بمنة الله عزوجل السيد الحاج احمد الكحاك، المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون و شهادتهم على تفصيل. فالاشراف والتجارواضرابهم يشهدون بانهم جربوه في معالجة المرضى والمبتلين غيرما مرة، واختبروا حاله وأمره؛ فوجدوه بحرا وقفت فحول الأطباء بساحله وعجزوا من مجاراته في ميادين صناعة الطب ودلائله، عارفا مهندسا، وحاذفا كيسا. له عقل راجح، مقداما على معالجة الادواء ولعباد الله ناصح. وانه رجل صالح لا يتهم بريبة ولا خيانة، وفيه ما ليس في غيره من فعل المعروف وبسط الكف و مواساة الضعفاء ومعالجتهم بغير اجرة وملازمة الصلوات الخمس بالجماعة و كثرة الا ذكار وزيارة الاولياء و غير ذلك من أفعال البر. والأطباء والحجامين يشهدون بانه عارف بالطب و بالاخلاط المهلكات الشى بها قوام الأبدان الانسانية و منها الصلاح والفساد . و بالاخرجة التي هي اصول الامراض البدنية على وفق المراد. وان مثله من ينتصب لمعالجة الناس لتوفر الشروط المنصوص عليها في كتب الطب فيه جملة وتفصيلا، وهي معرفة طبائع الأدوية والنبات و الحبوب و الاشجار و المعادن و شبه ذلك. فان من جهل طبع

الانسان و طبع الامراض و الادوية فلا يحل له الانتصاب الى معالجة الناس بقول أو فعل. والمشهود له عارف بذلك كله و بالجراحات البدنية وغرز اللحم و شد جبائر الكسير و اصناف البول بالقوارير واختلاف الوانها وقدر ما يوخذ من الدم بالفصد و الحجامة و العروق التي ينبغي فصدها و الاجسام المفتقرة للاسهال و المحتاجة للقبض و غير ذلك.

واشهدوا لهم انهم اجازوه في ذلك كله؛ اجازة تامة شاملة عامة. وسلموا له التصدير لمعالجة الناس بالتسليم التام الشامل المطلق العام، الذي لا يعقبه رجوع و لا قيام طال الزمن ام قصر، كل في علمهم وصحة يقينهم بالمخالطة والمجالسة والمذاكرة معه والاطلاع على أحواله، وأدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم عن اذن من يجب سدده الله و ارشده على لسان عونه المذكور أعلاه في التاريخ أعلاه.

الشريف الارضي مولا ى عبد المالك الصقلي الحسني	الشريف الأرفى مولاى الطيب النسب	الشريف الوجيه مولا ى عبد المالك الادريسى
الشريف البركة مولاى عمر الدباغ الحسنى	الشريف المنيف، سيدي محمد الصقلي	الشريف البركة سيدي محمد ابن الطابع الادريسى
الشريف مولاي الشريف، بن ابراهيم البوعناني الحسني	الشريف الارضي سيدي محمد العراقي الحسني	الشريف الارضي مولاى الشريف ابن علي الجمل
الشريف الارضى مولاى الغالي بوطالب	اخوه الشريف الارضي مولاي عبد المالك	الشريف الارضي مولاي فى احمد بن الحسن
الشريف المنيف مولاي ادريس الطاهري الجوطي الحسني	الشريف سيدي عبد المالكي ابن تسعد انت العمراني	الشريف سيدي محمد الحمود الحسني
الشريف الارضي سيدى عبد السلام الصقلي الحسيني	الشريف الأجل سيدي عبد السلام الغموري	الشريف مولاي الطايع الكتاني الحسني
الشريف المرابط مولاى المهدى العراقى	الشريف المنيف مولاى المهدى الشفشاونى الحسنى	الشريف سيدي محمد بن الطايع الفجيجي
الشريف المنيف سيدى عبد الجبار الادريسى	اخوه الشريف الا جل سيدى عماد	الشريف سيدي التهامى بن سيدي طاهر الشباني
التاجر الطالب السيد الحاج الكبير النس	التاجر الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمان الحبابي	التاجر الارضى الحاج المفضل ابن الحاج احمد كنون
التاجر الارضي الحاج محمد المعدانى	التاجر الحاج محمد بن عبد النبي بنيس	التاجر الطالب الحاج المكي ابن الطالب احمد بن عبد الله
التاجر الحاج الطيب بن الحاج محمد براحة	التاجر الحاج عبد السلام ابن الحاج عبد الغني براحة	التاجر الحاج التهامي بن عبد النبي ابن كيران
التاجر الارضي الحاج العربي براحة	التاجر السيد المفضل ابن زكري	التاجر السيد عبد الرحمان ابن عبد السلام بنونة
التاجر الحاج محمد ابن عزوز ابن يحيى	التاجر السيد الحاج بوزيان البرد عى	التاجر السيد الطيب ابن عزوز ابن يحيى

التاجر الحاج حماد بن الحاج التهامي بنكيران

المعلم عبد السلام الطبال الحجام | المعلم الحاج محمد الغريسي | المعلم علال بن بوشتة الحجام | المعلم عبد الرحمان الحجام

المعلم الحاج احمد الخاسي الحجام | المعلم الحاج بوجيدة العرائشي الحجام | المعلم ابراهيم ميارة | المعلم السيد احمد بن بوغالب ابن حم الطبيب

المعلم الحاج احمد العرايشي الحجام | المعلم الحاج قدور الحجام | المعلم عمر العربي الوزاني الحجام | المكرم الحاج عبد الوهاب ابن الاحمر الطيب

المعلم عبد اللطيف الحجام | المعلم الحاج قدور الكومي الحجام | المعلم ادريس الحجام | المعلم الحاج المفضل الحجام

المعلم طاهر الحجام | المعلم المكي الحجام

الطالب السيد محمد بن عبد السلام الازرق الطبيب | المعلم الحاج يوسف واسع الراس الطبيب | المعلم الحاج احمد السنتيسي الطبيب .

المعلم الحاج عبد الله ادران الطبيب | المعلم السيد محمد الزراري الطبيب

شهدوا لدى من قدم بذلك بموجبه

الحمد لله اشهد الفقيه الاجل العالم العلامة الافضل الدراكة الفهامة الأحفل المدرس الخطيب البليغ الأمثل قاضي الجماعة بهذه الحضرة الادريسية المحفوظ بالله عزوجل وهو (امضاء قاضي الجماعة اعزه الله تعالى و حرسها بثبوت الرسم اعلاه عنده الثبوت التام بوجهه وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر و في التاريخ أعلاه عبيد ربه تعالى .

ونحن نلم بالشروع في تحليل الاجازة الطبية لمحمد الكحاك 1832، وبمجرد ان قرانا سطورها قراءة سطحية؛ تبادر الى اذهاننا انها صورة طبق الأصل للاجازة السابقة التحليل. الكلمات، الأسلوب، الحس المعنوي...كل ذلك يذكرنا بل ويحيلنا الى إجازة القرويين الأم؛ اجازة الطبيب الكتامي 1207.

اكثر من ستة قرون من الزمن لم تمنع من اشتقاق إجازة من أخرى، ربما هو الأسلوب المتداول في اجازات القرويين الجامعة، ولو حفظ لنا التاريخ غير هاتين الاجازتين لتحققنا من المسالة، او ربما كانت إجازة القرن الثالث عشر مرجعا وقاعدة للاجازات التي تلتها، لكن الأكيد ان أوجه الشبه عديدة بين الاجازتين الكتامية والكحاكية.

الحمد لله شهود ه الموضوعة اسماؤهم عقب تاريخه يعرفون الطالب الأرضى الطبيب الماهر السيد الحاج محمد بن المرحوم بمنة الله عزوجل السيد الحاج احمد الكحاك المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها بشهدون و شهادتهم على تفصيل فالاشراف و التجار و اضرابهم يشهدون بانهم جربوه في معالجة المرضى و المبتلين غيرما مرة و اختبروا حاله وأمره ، فوجدوه بحرا وقفت فحول الأطباء بساحله وعجزوا من مجاراته في ميادين صناعة الطب ودلائله عارفا مهندسا ، و حاذقا كيسا، له عقل راجح ، مقداما على معالجة الادواء والعياذ الله ناصح. وانه رجل صالح لا يتهم بريبة ولا خيانة و فيه ما ليس في غيره من فعل المعروف وبسط الكف و مواساة الضعفاء ، ومعالجتهم بغير اجرة وملازمة الصلوات الخمس بالجماعة و كثرة الا ذكار وزيارة الأولياء و غير ذلك من أفعال البر، و الأطباء و الحجامين يشهدون بانه عارف بالطب و بالاخلاط المهلكات الشبي بها قوام الأبدان الانسانية و منها الصلاح والفساد . و بالأخرجة التي هي اصول الامراض البدنية على وفق المراد و ان مثله من ينتصب لمعالجة الناس لتوفر الشروط المنصوص عليها في كتب الطب فيه جملة وتفصيلا وهي معرفة طبائع الأدوية والنبات و الحبوب و الاشجار و المعادن و شبه ذلك فان من جهل طبع الانسان و طبع الامراض و الادوية فلا يحل له الانتصاب الى معالجة الناس بقول أو فعل و المشهود له عارف بذلك كله و بالجراحات البدنية وغرز اللحم و شد جبائر الكسير و اصناف البول بالقوارير و اختلاف الوانها وقدر ما يوخذ من الدم بالفصد و الحجامة و العروق التي ينبغي فصدها و الأجسام المفتقرة للاسهال و المحتاجة للقيض و غير ذلك واشهدوا لهم انهم اجازوه في ذلك كله اجازة تامة شاملة عامة و سلموا له التصدر لمعالجة الناس بالتسليم التام الشامل المطلق العام الذي لا يعقبه رجوع و لا قيام طال الزمن ام قصر كلي في علمهم وصحة يقينهم بالمخالطة و المجالسة و المذاكرة معه والاطلاع على أحواله و أدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم عن اذن من يجب سدده الله و ارشده على لسان عونه المذكور أعلاه في التاريخ أعلاه

الحمد لله الذي جعل الشفاء لمن شاء على يد من شاء من بريته و انزل من المعصرات ماءا ثجاجا برحمته، فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته ، واخرج من نبات شتى و انعام ترعى و دواب تسعى منافع كثيرة و مشارب عديدة و مصالح جديدة ، و جعل من الماء كل شي حي بلطيف صنعه ونعمته سبحانه جلت قدرته ما اوسعه برحمته وما احكمه بحكمته وما اوفره بنعمته خلق الانسان وعلمه البيان، وابرز له معالم تفعل بناه عجائب وغرائب في كل زمان و مكان ، من ادوية صافية، واغذية نافعة صافية بواسطة من شاء من الحكماء الأعيان الاعلام، مما لا تدركه الا بعادة حكمته غاية العقول والافهام، حدا يليق لمقامه ويتصل بجلاله، على أسباغ نعمته ، واتساع رحمته ، فهو الحكيم العليم و اللطيف الحليم، لا نحصي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه ، و نشكره شكرا نستحق به من فضله المزيد، والرفد الجديد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من اخلصها بقلبه ، و جعلها افضل قربه و كسبه ونشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله النبي الأواب ، الناطق بالحكمة وفصل الخطاب اللهم صل عليه وعلى آله و صحبه صلاة تدانا بها عليك وتقربنا بها اليك و سلام في الأنبياء والمرسلين و الحمد لله رب العالمين.

و بعد فانه لما كان علم الطب من افضل مهمات العلوم ، ونفع المسلمين به عند الحاجة من جلة ابواب النوال المعلوم كوزن صحة استقامة الاديان ، من صحة قوام بنية الابدان و ان علم الطب من افضل مهمات العلوم بل علم شريف شرعي و الأحاديث فيه كثيرة كقوله صلى الله عليه و سلم ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء وأمر النبي صلى الله عليه بالكي و الحجامة واحتجم هو صلى الله عليه و سلم و قد الف فيه جماعة من الفحول و بسطوا فيه الكلام و الأبواب والفصول ، وفتحوا الى الحكمة الأبواب رغبة فيما عند الله سبحانه من الثواب ، وقد قال الأحنف ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يتركها عمل يتزود به لمعاده و صنعة يستعين بها على أمر دينه ودنياه و طب يذب به الداء عن نفسه وقيل لا ينبغي لعاقل أن يسكن بلدة ليس فيها خمسة قاض عادل وسوق قائم و نهر جار و سلطان قاهر و طبيب ماهر وقال عليه الصلاة و السلام يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء . وقال عليه الصلاة و السلام احتجموا ليلا تصابوا بالدم أو كما قال وورد أن لكل داء دواء الا داء واحد وهو الهرم فاذا اصاب الدواء الداء برئ باذن الله وفي الحديث، أصل كل داء البردة و فسرت بادخال الطعام على الطعام وحيث كان هذا العلم بهذه المنزلة، وكان الطبيب الأرضى الطالب المرتضى سيدي الحاج محمد بن المرحوم السيد الحاج احمد الكحال قد تصدر لمداواة الناس و معالجتهم بهذه الحضرة الادريسية وكانت فيه اهلية لفهم كلام الناس، في دوائهم الطبية و طلب من اناس خالطوه و جربوه غير ما مرة أن يشهدوا له بالاجازة في علم صناعة الطب على عادة الأطباء الأقدمين في اخذ الاجازة من المعاصرين لهم واحتاج في ذلك للاذن لمن له الأحكام الشرعية بحضرة فاس الادريسية و رفع امره اليه فاذن له سدده الله و ارشده في ذلك على لسان عون الشرع عبد الرحمان الحميداني و اعتراف ان من يجب اذن في تلقي الشهادة من اللفيف المذكور اسفله اذنا تاما بمحضره و موافقته. عرفا قدره و شهد به عليهما باكمله وعرفهما و انتصاب العون لذالك في العشرين من ربيع الأول النبوي الأنور عام ثمانية و اربعين و مائتين و الف .

باللون البرتقالي الجمل والعبارات المشتركة بين الاجازتين

ان التحليل الشامل لوثيقة ما؛ يتطلب نهج استراتيجية تفكيك القالب وصولا الى القلب، على غرار ما سلكناه في دراستنا النقدية لاجازة الطبيب الكتامي، لكن ولدرجة التشابه والتقارب الكبيرين بين اجازتنا السابقة والحالية، فمن المحبذ في تحليلنا لهيكل وأسلوب إجازة الكحاك؛ الاكتفاء باشارة لاهم النقط المفصل فيها سابقا.

كنا اتخدنا من التحليل البنيوي أداة لدراسة اجازتنا الأولى، الاختلاف الأساسي هو افتقار إجازة الكحاك للعنوان، في حين أضيفت فقرة خاصة - وطويلة ! - لاسماء الشهود.

اما الهيكل العام من مقدمة تمهد للطرح العام، وعرض شامل لأركانه الثلاثة من بناء تمهيدي، استجازي واجازي – هذا الأخير كان له النصيب الأوفر من احرف الاجازة، وستفصل في محتواه في الفقرة القادمة -، وكذا من خاتمة، فاننا نستطيع القول ان نفس الهيكلة احترمت وطبقت في إجازة القرن التاسع عشر.

اما من حيث إبداعات اللغة العربية المستعملة، وعلى غرار الاجازة الأولى؛ فقد أثرت وأغنت أساليب من قبيل التداعي (التركيبي والصرفي) والسجع والتناص - مع توسع توظيف هذا الأخير – نص ومضمون الاجازة الثانية.

اذن فلنتناول كل جديد أضيف الى قاعدة الاجازة الأولى (378 كلمة) ، لتضحى إجازة أوفر مضمونا (1285 كلمة)، أي بما يتجاوز الأضعاف الثلاثة.

أ. البناء الاجازي

تعرفنا الى مكانة البنية الاجازية في تكملة عرض الاجازات العلمية، وكان من ابرز ما ذكرناه في هذا الجزء:

البناء الاجازي

يؤرخ العمل الاجازي" وفيها يشهد المجيز(ون) بكفاءه المجاز وما لمسوه من جانبه من حسن سيرة وقوام خلق، ثم ذكر لفظ الاجازه او الاذن وما اجيز :

الكفاءه العلمية : لقد شهدوا له بكونه بحرا يقف فحول الأطباء بساحله، وعجزوا عن مجاراته في ميادين صناعة الطب والبيطرة والصيدلة ودلائلها، عارفا مهندسا وحاذقا كيسا

الكفاءه الخلقية: وهو رجل صالح لا يهتم بجريمة ولا خيانة، ملازم للصلوات الخمس بالجماعة، وكثرة الاذكار وغير ذلك من أفعال البر (غالبا ما كان معيارها الرئيسي هو الالتزام بالضوابط الدينية)

الاجازه وميدانها: ويشهد الأطباء والحجامون بانه عارف بميادين الطب والبيطرة والصيدلة، وانهم يشهدون باجازته في ذلك كله إجازة تامة شاملة عامة

اما إجازة الكحاك؛ فقد وافت الجزء الخاص بالكفاءة العلمية " le savoir faire " بتفاصيل اكثر، مع حفاظها على الخطوط العريضة من معايير الكفاءة الخلقية وميدان الرخصة والاجازة الذي عزز بتعابير "مفرطة" تنم على ثقة كبرى في أهلية المجاز : " وسلموا له التصدير لمعالجة الناس بالتسليم التام الشامل المطلق العام، الذي لا يعقبه رجوع و لا قيام طال الزمن ام قصر."

- الكفاءة العلمية:

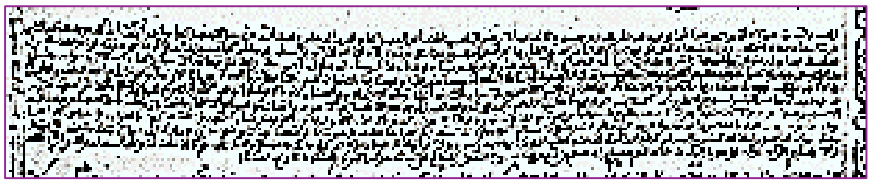

{الحمد لله شهوده الموضوعة اسماوهم عقب تاريخه يعرفون الطالب الأرضى الطبيب الماهر السيد الحاج محمد بن المرحوم بمنة الله عزوجل السيد الحاج احمد الكحاك، المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون و شهادتهم على تفصيل. فالاشراف والتجار واضرابهم يشهدون بانهم جربوه في معالجة المرضى والمبتلين غير ما مرة، واختبروا حاله وأمره؛ فوجدوه بحرا وقفت فحول الأطباء بساحله وعجزوا من مجاراته في ميادين صناعة الطب ودلائله، عارفا مهندسا، وحاذقا كيسا. له عقل راجح، مقداما على معالجة الادواء ولعباد الله ناصح. (وانه رجل صالح لا يتهم بريبة ولا خيانة، وفيه ما ليس في غيره من فعل المعروف وبسط الكف و مواساة الضعفاء ومعالجتهم بغير اجرة وملازمة الصلوات الخمس بالجماعة و كثرة الا ذكار وزيارة الاولياء و غير ذلك من أفعال البر). والأطباء والحجامين يشهدون بانه عارف بالطب و بالاخلاط المهلكات التى بها قوام الأبدان الانسانية و منها الصلاح والفساد . و بالاخرجة التي هي اصول الامراض البدنية على وفق المراد. وان مثله من ينتصب لمعالجة الناس لتوفر الشروط المنصوص عليها في كتب الطب فيه جملة وتفصيلا، وهي معرفة طبائع الأدوية والنبات و الحبوب و الاشجار و المعادن و شبه ذلك. فان من جهل طبع الانسان و طبع الامراض و الادوية فلا يحل له الانتصاب الى معالجة الناس بقول أو فعل. والمشهود له عارف بذلك كله و بالجراحات البدنية وغرز اللحم و شد جبائر الكسير و اصناف البول بالقوارير واختلاف الوانها وقدر ما يوخذ من الدم بالفصد و الحجامة و العروق التي ينبغي فصدها و الاجسام المفتقرة للاسهال و المحتاجة للقبض و غير ذلك. }

مضمون هذه الفقرة سيحيلنا الى الاطلاع على معايير الكفاءة المهنية الواجب توفرها عند مزاول المهنة الطبية في مغرب القرن التاسع عشر، ومنه استنباط مواد ومنهج الدراسات الطبية في تلك الحقبة.

تستهل الفقرة بالشهادة بالمعرفة "التامة الكافية شرعا"، وفي هذه العبارة إشارة واضحة الى تحكيم الشرع في مجريات الحياة العلمية والعامة للمغاربة الفطناء الذين كانوا على وعي تام بان الإسلام هو - بالدرجة الأولى - منهاج حياة. ومن ذلك الدعوة للتداوي والرفع من شان علم الابدان والتحفيز على التفوق فيه، ثم تقنينه ومراقبة ممارسته بنظام الحسبة. والتدقيق في كلمات اجازتنا يؤكد اتباع هذا النهج "فان من جهل طبع الانسان و طبع الامراض والأدوية، فلا يحل له الانتصاب الى معالجة الناس بقول أو فعل".

هذه الشهادة كانت بناءا على ما استنتجه الاعلام الشهود تطبيقيا واختبروه عمليا، فقد "جربوه في معالجة المرضى والمبتلين غير ما مرة، "واختبروا حاله وأمره"، "كل في علمهم وصحة يقيتهم بالمخالطة و المجالسة و المذاكرة معه والاطلاع على أحواله"، وأدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم، فوجدوه الاجدر والاهل لحمل لقب ومسؤولية "الطبيب"؛ الحكيم الذي ما يلبث ان يشار الى خلقه وحسن سمته قبل حنكته، وهذا ما اشير له بعبارات من قبيل بسط المعروف والمواساة والنصح وغير ذلك من اعمال البر المرادفة لمصطلح "le savoir etre".

ثم نقف عمليا على المعارف الرئيسية اللازم توفرها في القاموس - العلمي النظري والتطبيقي - للأطباء، هذه المعارف تذكرنا بتلك التي كانت سائدة في التاريخ الزاهر للطب في اوج عطاء الحضارة الإسلامية. من نظرية الاخلاط التي يعزى لها معرفة صلاح وفساد الابدان الإنسانية، ونظرية الأخرجة وما الى ذاك من "الشروط المنصوص عليها في كتب الطب جملة وتفصيلا، مما يجب توفره عند من ينتصب لمعالجة الناس."

المعارف النظرية : - الاخلاط والاخرجة.

- معرفة طبائع الأدوية والنبات والحبوب والاشجار والمعادن.

المعارف التطبيقية : - العلم بالجراحات البدنية وغرز اللحم و شد جبائر الكسر

- معرفة التشخيص بالاعتماد على اصناف واختلاف الوان البول

- معرفة قدر ما يوخذ من الدم بالفصد والحجامة والعروق التي ينبغي فصدها

وقد تم تكرار غير ما مرة عبارات الرخصة والاجازة تأكيدا على شرعية الوثيقة المستمدة من شهودها والقاضي ممثل السلطة العليا "ورفع امره اليه فاذن له سدده الله وارشده في ذلك على لسان عون الشرع عبد الرحمان الحمياني. واعتراف ان من يجب اذن في تلقي الشهادة من اللفيف المذكور اسفله اذنا تاما بمحضره وموافقته. عرفا قدره و شهد به عليهما باكمله وعرفهما وانتصاب العون لذالك... وأدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم عن اذن من يجب سدده الله و ارشده على لسان عونه المذكور أعلاه."

"وعند قراءة هذه الإجازة نجد أنها إجازة تتويج واعتراف بعلو المنزلة لا شهادة تأهيل أولي فقط تمنع صاحبها الإذن بالعمل لأن الموقعين يشهدون له بالمعرفة وطول الباع في علوم الطب والنجاح في مزاولته. ولذلك فصاحبها يدخل بها في زمرة النظار البارعين لا في عداد الأطباء المزاولين اللمهنة فقط."

ب. أسلوب التناص

هو أسلوب ناقشناه هو الاخر في الاجازة السابقة، ومما قلنا فيه:

ان التناص هو خاصية سيميائية نصية، ويعني تقاطع النصوص وتعالقها فيما بينها جماليا وفنيا، مما يخدم الخطاب خدمة أسلوبية بحيث يصبح النص فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة.

وفي الاجازة المناقشة؛ تم الاستشهاد بأكثر من خطاب ديني وادراجه باحترافية في مضمون الخطاب، وذلك في إشارة واضحة الى تشبع العلماء والأطباء في حضرة القرويين بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ولما ان كانت الاجازتين الطبيتين على قدر كبير من التشابه، فقد وظف أسلوب التناص فيهما من خلال نفس النصوص القرآنية:

- "انزل من المعصرات ماءا ثجاجا برحمته، فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته"

واصلها الايات الكريمة 14، 15 و16 من سورة النبأ { وانزلنا من المعصرات ماءا ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا}.

- "خلق الانسان وعلمه البيان"

واصلها الآيتان الكريمتان 3و4 من سورة الرحمان.{ خلق الانسان علمه البيان }

اما الاستشهاد بالاحاديث النبوية الشريفة؛ فكان عبر توظيفها المباشر، مع الاستدلال تارة بالسنة النبوية " وأمر النبي صلى الله عليه بالكي و الحجامة؛ واحتجم هو صلى الله عليه وسلم"، ومع شرح مفردات الحديث تارة أخرى "وفي الحديث أصل كل داء البردة؛ وفسرت بإدخال الطعام على الطعام"

والاحاديث المستشهد بها قوله صلى الله عليه وسلم :

- {ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء}.
- {يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء}
- {احتجموا ليلا تصابوا بالدم }
- {لكل داء دواء الا داء واحد وهو الهرم فاذا اصاب الدواء الداء برئ باذن الله}
- {أصل كل داء البردة }

كما تم الاستشهاد بمقالة للتابعي الجليل الأحنف بن قيس -الذي عرف بحلمه وحكمته - يقول فيها:

- "ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يتركها: عمل بتزود به لمعاده؛ وصنعة يستعين بها على أمر دينه ودنياه؛ و طب يذب به الداء عن نفسه."

وبالقولة الاتية التي لم يذكر قائلها:

- "وقيل لا ينبغي لعاقل أن يسكن بلدة ليس فيها خمسة: قاض عادل؛ وسوق قائم؛ و نهر جار؛ وسلطان قاهر و طبيب ماهر"

وهي من حكم إدريس عليه السلام، ونصها الكامل: "من سكن موضعاً ليس فيه سلطان قاهر، وقاض عادل، وطبيب عالم، وسوق قائمة، ونهر جار، فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده."[245]

[245] إسماعيل الخلوتي، روح البيان في تفسير القرآن 1-10 ج6/ ص 323

وهكذا؛ نكون قد الممنا بجل جوانب دراستنا النقدية لمضمون إجازة الطبيب الكحاك، وفي الوثيقة اسفله اللون البرتقالي لاوجه التشابه بين الاجازة الحالية واجازة الكتامي، وبالاخضر ما نقشناه في العنوانين الأخيرين : " البناءالاجازي" و"أسلوب التناص". لتبقى كلمات معدودة بالازرق، استعمل جلها في المقدمة لشكر الله تعالى والثناء عليه.

الحمد لله شهود ه الموضوعة اسماؤهم عقب تاريخه يعرفون الطالب الأرضى الطبيب الماهر السيد الحاج محمد بن المرحوم بمنة الله عزوجل السيد الحاج احمد الكحاك المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون و شهادتهم على تفضيل فالاشراف و النحار و اضرابهم يشهدون بانهم جربوه في معالجة المرضى و المبتلين غيرما مرة و اختبروا حاله وأمره ، فوجدوه بحرا وقفت فحول الأطباء بساحله وعجزوا من مجاراته في ميادين صناعة الطب ودلائله عارفا مهندسا ، و حاذقا كيسا، له عقل راجح ، مقداما على معالجة الأدواء والعياذ الله ناصح، وانه رجل صالح لا يتهم بريبة ولا خيانة و فيه ما ليس في غيره من فعل المعروف وبسط الكف و مواساة الضعفاء ، ومعالجتهم بغير اجرة وملازمة الصلوات الخمس بالجماعة و كثرة الا ذكار وزيارة الأولياء و غير ذلك من أفعال البر، و الأطباء و الحجامين يشهدون بانه عارف بالطب و بالاخلاط المهلكات التي بها قوام الأبدان الانسانية و منها الصلاح والفساد ، و بالاخرجة التي هي اصول الامراض البدنية على وفق المراد و ان مثله من ينتصب لمعالجة الناس لتوفر الشروط المنصوص عليها في كتب الطب فيه جملة وتفصيلا وهي معرفة طبائع الأدوية والنبات و الحبوب و الاشجار و المعادن و شبه ذلك فان من جهل طبع الانسان و طبع الامراض و الادوية فلا يحل له الانتصاب الى معالجة الناس بقول أو فعل و المشهود له عارف بذلك كله و بالجراحات البدنية وغرز اللحم و شد جبائر الكسير و اصناف البول بالقوارير و اختلاف الوانها وقدر ما يوخذ من الدم بالفصد و الحجامة و العروق التي ينبغي قصدها و الاجسام المفتقرة للاسهال و المحتاجة للقيئ و غير ذلك واشهدوا لهم انهم اجازوه في ذلك كله اجازة تامة شاملة عامة و سلموا له التصدير لمعالجة الناس بالتسليم التام الشامل المطلق العام الذي لا يعقبه رجوع و لا قيام طال الزمن ام قصر كذى في علمهم وصحة يقينهم بالمخالطة و المجالسة و المذاكرة معه والاطلاع على احواله و أدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم عن اذن من يجب سدده الله و ارشده على لسان عونه المذكور أعلاه في التاريخ أعلاه

الحمد لله الذي جعل الشفاء لمن شاء على يد من شاء من بريته و انزل من المعصرات ماءا ثجاجا برحمته، فاخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا بحكمته ، واخرج من نبات شتى و انعام ترعى و دواب تسعى منافع كثيرة و مشارب عديدة و مصالح جديدة ، و جعل من الماء كل شي حي بلطيف صنعه ونعمته سبحانه جلت قدرته ما اوسعه برحمته وما احكمه بحكمته وما اوفره بنعمته خلق الانسان وعلمه البيان، وابرز له معالم تعمل يداه عجائب وغرائب في كل زمان و مكان ، من ادوية صافية، واغذية نافعة صافية بواسطة من شاء من الحكماء الأعيان الاعلام، مما لا تدركه الا بمادة حكمته عناية العقول والافهام، حدا يليق لمقامه وينصل بجلاله، على أسباغ نعمته ، واتساع رحمته ، فهو الحكيم العليم و اللطيف الحليم، لا تحصي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه ، و نشكره شكرا نستحق به من فضله المزيد، والرفد الجديد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من اخلصها بقلبه ، و جعلها افضل قربه و كسبه ونشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله النبي الأواب ، الناطق بالحكمة وفصل الخطاب اللهم صل عليه وعلى اله و صحبه صلاة تدلنا بها عليك وتقربنا بها اليك و سلام في الأنبياء والمرسلين و الحمد لله رب العالمين.

و بعد فانه لما كان علم الطب من افضل مهمات العلوم ، ونفع المسلمين به عند الحاجة من جلة لباب النوال المعلوم كوزن صحة استقامة الاديان ، من صحة قوام بنية الابدان و ان علم الطب من افضل مهمات العلوم بل علم شريف شرعي و الأحاديث فيه كثيرة كقوله صلى الله عليه و سلم ان الذي انزل الداء هو الذي انزل الدواء وأمر النبي صلى الله عليه بالكي و الحجامة واحتجم هو صلى الله عليه و سلم و قد الف فيه جماعة من الفحول و بسطوا فيه الكلام و الأبواب والفصول ، وفتحوا الى الحكمة الابواب رغبة فيما عند الله سبحانه من الثواب ، وقد قال الأحنف ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يتركها عمل يتزود به لمعاده و صنعة يستعين بها على أمر دينه ودنياه و طب يذب به الداء عن نفسه وقيل لا ينبغي لعاقل أن يسكن بلدة ليس فيها خمسة قاض عادل وسوق قائم و نهر جار و سلطان قاهر و طبيب ماهر وقال عليه الصلاة و السلام يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء ، وقال عليه الصلاة و السلام احتجموا ليلا تصابوا بالدم أو كما قال وورد أن لكل داء دواء الا داء واحد وهو الهرم فاذا اصاب الدواء الداء برئ باذن الله وفي الحديث، أصل كل داء البردة و قسرت بادخال الطعام على الطعام وحيث كان هذا العلم بهذه المنزلة، وكان الطبيب الارضى الطالب المرتضى سيدي الحاج محمد بن المرحوم السيد الحاج احمد الكحال قد تصدر المداواة الناس و معالجتهم بهذه الحضرة الادريسية وكانت فيه اهلية لفهم كلام الناس، في دواوينهم الطبية و طلب من اناس خالطوه و جربوه غير ما مرة أن يشهدوا له بالاجازة في علم صناعة الطب على عادة الأطباء الأقدمين في اخذ الاجازة من المعاصرين لهم واحتاج في ذلك للاذن لمن له الأحكام الشرعية بحضرة فاس الادريسية و رفع امره اليه فاذن له سدده الله و ارشده في ذلك على لسان عون الشرع عبد الرحمان العمياني و اعتراف ان من يجب اذن في تلقي الشهادة من اللفيف المذكور اسفله اذنا تاما بمحضره و موافقته، عرفا قدره و شهد به عليهما باكمله وعرفهما و انتصاب العون لذالك في العشرين من ربيع الأول النبوي الأنور عام ثمانية و اربعين و مائتين و الف .

إجازة الطبيب عبد السلام العلمي

I. تقديم

وصل بنا مطاف تحليلنا للاجازات الطبية المرصعة لتاريخ فاس العلمي؛ الى إجازة احد جهابذة الأطباء المغاربة الذين خلد لنا التاريخ أسماءهم، طبيب قدمت اسهاماته دفعة قوية لتجديد وتطوير الممارسة الطبية بالمغرب؛ بل وأُعتبر نقطة انعطاف لهذه الاخيرة من تقليدية لحداثية. انه الطبيب العلامة عبد السلام العلمي.

اجازتنا هذه تمتاز عن سابقتيها (اجازتي الطبيبن الكتامي والكحاك) من حيث الشكل والمضمون؛ لكن أيضا من ناحية ظروف تسليمها والجهة المانحة لها، فبعد ان تعرفنا على اجازة طبية منحت باسم القرويين وأخرى سلمت بالحضرة الادريسية؛ فان اجازتنا الراهنة كان الشرق مصدرا لها، وبالضبط من الكلية الطبية بالعاصمة المصرية، الا ان ادراجها ضمن عناوين أطروحة جعلت من العاصمة العلمية للمملكة مجالا لها؛ جاء بناءا على انتماء المجاز لمدينة فاس، فالطبيب العلمي نشا ودرس ومارس فيها.

وعلى النهج الذي اتبعناه في دراستينا السابقتين، فسنبحث في تاريخ المغرب الموافق لفترة منح الاجازة، ثم سنتعرف على الكلية الطبية بقصر العيني باعتبارها الجهة المانحة لاطروحتنا، اما العناوين اللاحقة؛ فستتمحور حول شخص عبد السلام العلمي، سياق منح الاجازة ثم دراسة نقدية لشكلها ومضمونها.

II. السياق العام لمنح الاجازة

1. السياق التاريخي

حاز الطبيب العلمي اجازته الطبية سنة 1873م؛ السنة التي اذا أسقطناها على تاريخ المغرب لصادفت سنوات الضغوط التي مارستها الإمبريالية الأوروبية؛ وما رافق ذلك من إصلاحات مخزنية.

أ. الطب والامبريالية

عند تقدم الطب الاوروبي على نظيره المغربي، بدأ السلاطين يستدعون الاطباء الأوروبيين لمعالجتهم في بلاطهم، وغالبا ما كانت تتم الدعوات عن طريق الدبلوماسيين، لكن سرعان ما كلف الأطباء بمهام دبلوماسية. وكانت الشخصية الرئيسية في هذه المرحلة من الدبلوماسية الطبية؛ هي" فيرناند لينياريس " 1877/ 1902[246]

كان دور "لينياريس" هو تقديم نفسه كصديق مؤتمن للحسن الأول؛ في محاولة لتعبيد الطريق للتدخل الاستعماري اللطيف. لقد وصف الوزير الفرنسي في طنجة " سانت تايندیه " صاحبه بما يلي : " اصبح للوزراء الفرنسيين وسيط شبه رسمي لذوي مولاي الحسن ووزراءه لم يسبق لهم ان حلموا به . عينان تريان بوضوح ، وقلم يسجل الاحداث ، وكلمة تنطق برقة ، ومنفّذ مخلص لكل التعليمات ". كما اخبر " سانت اولير " بما يلي : " وجدت في الدكتور " لينياريس" وكيلا ثمينا للارتباط بالمخزن ، قادرا على تحييد التأثيرات المنافسة ،و'معبّدا الطريق " للتغلغل السلمي في المغرب".[247]

(وبذكرنا لاسم السلطان الحسن الأول؛ نشير الى ان اجازة الطبيب العلمي - التي نحن الان بصدد دراسة سياقاتها - قد توافق تاريخ تسليمها وعهدة السلطان المذكور؛ في اطار شراكة البعثات العلمية التي شكلت واحدة من مناهج الإصلاح التي قادها السلطان.) وفي ما يلي نبذة مختصرة عنه، وعن مشروعه الإصلاحي:

---

[246] سعيد الوجاني - الطب والامبريالية في المغرب - الحوار المتمدن عدد 4163

[247] نفسه

ب. السلطان الحسن الاول

ولد "الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام" في 1831م، وقد اعتنى جده "عبد الرحمان" بتربيته فكان يختار له الأساتذة منهم خاله "العربي الجامعي" الذي كان يُحدِّثه بِسِيَر العظماء، وبعد وفاة جده عام 1859م اهتم والده بتعليمه[248]. انتقل مولاي الحسن إلى جامعة فاس وقد كان شغوفا بتحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية ولوعا بلقاء العلماء. [249] تمتع كولي للعهد بهيبة كبيرة في خدمة مصالح المغرب، وقد كان والده يستخلفه ويلقي عليه المهام، فأظهر كفاءة وحسن تدبير وأجرى عدة اتصالات بالقناصل[250].

بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان، بويع الحسن الأول " في يوم كان عيدا، خرج له الجمع الغفير من مراكش وسلموا عليه وعزوه في أبيه وجددوا البيعة "...كان الحسن بن محمد السلطان العلوي السابع عشر، حكم من 1873 حتى 1894. كانت عهدته مثمرة، وكانت سياسة الإصلاحات التي نهجها السلطان اهم ما ميزها. لكن أجل السلطان كان اسرع من استكمال المشروع، وتوفي بعد صراع مع المرض سنة 1894. [251]

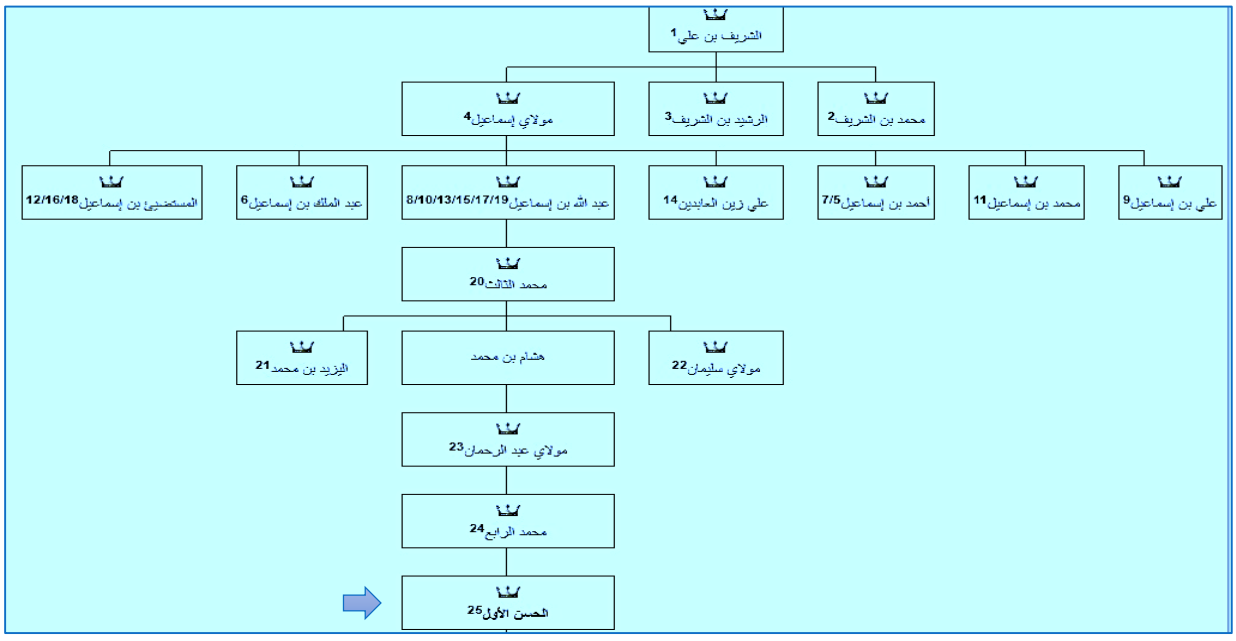

[248] إصلاحات السلطان الحسن الأول 1873-1894 / بحث ماستر في التاريخ مجبر إلهام، عمريوي فهيمة .ص 18

[249] Bernard lugan ,histoire du maroc des origines a nos jour,paris,1992, p 189

[250] إصلاحات...(مرجع سابق)

[251] إصلاحات...سابق ص 20

ج. سياسة الاصلاحات

من أهم وجوه الإصلاح التي قام بها السلطان الحسن الأول، إرساله البعثات العلمية بغية الاغتراف من ينابيع العلم الحديث، وتخريج طلبة مغاربة أكفاء في مختلف العلوم، والاستغناء - ولو بعض الشيء- عن خدمات الأجانب التي تكلف الخزينة العامة الشيء الكثير. فأنشأت "مدرسة الرباط" 1894م و"المدرسة الحسنية" بطنجة التي يدرس فيها الحساب، الهندسة، اللغة العربية والمبادئ الدينية الأولية واللغة الأجنبية وكانت هذه المدرسة تعد الطلبة لإكمال دراستهم في الخارج ولم تنقطع البعثات العلمية طيلة عهد الحسن الأول.[252]

أول بعثة كانت تتكون من 15 طالب توجهوا إلى إنجلترا، إسبانيا، وفرنسا، وقد كانت البعثة الموجهة إلى جبل طارق أهم بعثة وكانت بتأثير القنصل البريطاني بطنجة "جون دارموند هاي" سنة 1875، وفي سنة 1884م أرسلت بعثة تتكون من 62 طالبا نحو أوروبا لتعلم الصناعة واستخراج الحديد والمعدن، كما كانت هناك بعثة أخرى سنة 1885م إلى فرنسا متكونة من 12 طالبا تعلموا التلغراف ونصب الجسور، وتوجهت بعثة طبية تتكون من ستة طلبة إلى المستشفى الإسباني لمتابعة دراستهم في ميدان الفحص والتشريح..[253]

الجدير بالذكر ان البعثات العلمية توجهت أيضا نحو المشرق خاصة مصر وذلك أيام الخديوي إسماعيل، ويذكر أن البعثات التي توجهت نحو المشرق كانت نتائجها أحسن من نظيراتها المتوجهة شمالا؛ وذلك بسبب الرأي المتناقض للبعثات الأوروبية، فمنهم من يعتبرهم مثقفين يجب الاعتماد عليهم لتطوير البلاد؛ ومنهم من يرى أنهم مشبعون بالثقافة الغربية ولا يجب الوثوق بهم.[254]

كان من خريجي البعثات العلمية العديد من الأطباء: منهم شاكر السلاوي من كلية الطب العثمانية، وأحمد الطنجي التمسماني من أوربا، وعبد السلام العلمي من مصر[255] ، هذا الأخير شكل – حسب مطلعين - آخر حلقة من حلقات التفوق العلمي المغربي في مجال الطب في مغرب ما قبل الاستقلال.

---

252 إصلاحات السلطان الحسن الأول 1873-1894 / بحث ماستر في التاريخ مجبر إلهام، عمريوي فهيمة .ص 47

253 نفسه ص 47

254 نفسه

255 بنعبد الله، كيف تطور الطب والصيدلة في المغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 27، ص297.

2. الجهة المانحة : مدرسة الطب قصر العيني[256]

يعتبر مستشفى القصر العيني واحدًا من أقدم المؤسسات الحديثة، وتعود أصول المستشفى للعشرينات من القرن التاسع عشر، ففي أواخر 1824 عقد محمد علي باشا، الذي كان يحكم مصر وقتها لمدة عشرين عامًا، مقابلة مع طبيب فرنسي اسمه أنطوان بارثيليمي كلو، ذلك الطبيب الذي سيكون له شأن عظيم في تأسيس المستشفى، بل في تأسيس الطب الحديث في مصر.

في تلك المقابلة التاريخية بين محمد على وكلو، توافق الطبيب الفرنسي والباشا على أهمية تأسيس خدمة طبية متطورة على أسس أوروبية. إلا أن الطبيب الفرنسي الشاب لفت نظر الباشا إلى أن استجلاب الأعداد الكبيرة من الأطباء الأوروبيين المهرة سيكلفه الكثير، كما لفت نظره للصعوبات التي ستنجم من عدم دراية هؤلاء الأطباء بلغة الجنود، لذلك نصحه بأنه من الأجدى أن يشرع في تدريب أطباء مصريين والاستعانة بهم لتكوين نواة الخدمة الطبية الجديدة، فاقترح كلو على محمد علي أن يشرع في تأسيس "مدرسة للطب البشري" وأن يُعهد فيها بالتدريس لعدد صغير من الأطباء الأوربيين على أن يكون التلاميذ من المصريين، كما نصحه بأن يكون التدريس باللغة العربية حتى يتمكن الأطباء عند تخرجهم، من التواصل بنفس اللغة مع مرضاهم.

اقتنع الباشا بنصائح الطبيب الفرنسي الشاب وكلفه بوضع تخيل عام عن أحسن السبل لتأسيس المدرسة. وبعد سنتين من التحضير والإعداد افتتحت المدرسة الجديدة وأقيمت بجوار معسكر للجيش، في أبي زعبل شمال شرقي القاهرة. كانت المدرسة ذات طابق واحد، وكان في منتصف المبنى إيوان داخلي مفتوح به حديقة زرعت فيها النباتات الطبية التي كانت تمد المدرسة بما تحتاجه من أعشاب وعقاقير طبية.

[256] د. خالد فهمي يكتب .. بالصور والوثائق: قصة القصر العيني.. نبذة تاريخية عن أول مدرسة لتعليم الطب في مصر /http://albedaiah.com

ونظرا لقرب المدرسة من المعسكر الحربي فقد كان من اليسير على الجنود المرضى أن يُرسلوا للمدرسة للعلاج. وبمعنى آخر، فإن المدرسة كانت منذ إنشائها مستشفى حربي يفد عليه الجنود المرضى بأعداد كبيرة، وهو الأمر الذي ساعد في إضافة خبرة عملية على التعليم النظري الذي كان التلاميذ يتلقونه في المدرسة.

ولما كانت البلاد وقتها تفتقر لأي تعليم ثانوي أو إعدادي حديث فقد تم انتخاب عدد من طلاب الأزهر لكي يلتحقوا بالمدرسة الجديدة. ونظرا لعدم إلمام الطلاب بأي لغة أوروبية، فقد تم تعيين بعض من المترجمين الشوام لكي يترجموا المحاضرات، عند إلقائها، وفي نهاية كل درس كان يُطلب من أحد الطلاب إعادة ما سمعه من المترجم على أن يقوم المترجم بإعادة ترجمة ما تلاه الطالب للغة الأصلية حتى يتأكد الأستاذ من دقة الترجمة.

والجدير بالذكر أن لفظ "مدرسة" وإن كان عربي الأصل، إلا أن معناه في التركية كان أقرب لـ "كلية" منه لـ "مدرسة" بمعناها العربي الحديث. وبمعنى آخر، فإن "مدرسة الطب البشري" كانت بالفعل "كلية طب"، وبذلك أصبحت مدرسة ومستشفى أبو زعبل أول مستشفى جامعي حديث في الدولة العثمانية قاطبة.

وبعد خمس سنوات من تلقي أحدث العلوم الطبية تخرجت أول دفعة من مدرسة الطب البشري بأبي زعبل عام ١٨٣٢. وقام كلو بانتخاب أمهر الطلاب وأرسلهم في بعثة طبية لفرنسا لكي يكملوا تعليمهم الطبي هناك.

وكان لأعضاء تلك البعثة الطبية الأولى، البالغ عددها إثنى عشر طالبًا، دور كبير في الارتقاء بمدرسة الطب ، إذ قام كل منهم باختيار كتاب أساسي من الكتب التي درسوها هناك وترجموها للعربية. وكان ذلك شرطا أساسيا لتوظيفهم في المصالح الحكومية عند عودتهم من بعثاتهم. نشرت تلك الكتب بعد تنقيحها وتهذيب لغتها على أيدي مصححي لغة مهرة، ووزعت على الدفعات الأحدث من الطلاب للتعلم منها عوضا عن الكتب الإفرنجية. وسرعان ما أن ظهرت عشرات الكتب الطبية العربية التي تناولت أحدث ما وصل إليه الطب في شتى الفروع والتي تميزت بأناقة طباعتها ودقة لغتها وعذابة عباراتها وسعة علومها.

بعد عشر سنوات من تأسيس المدرسة، نقلت المدرسة، المستشفى من أبي زعبل إلى شاطئ النيل عند قصر العيني وبذلك عُرف المستشفي باسم موقعه الجديد، واحتفظ بهذا الاسم حتى يومنا هذا. وسرعان ما أن تطور قصر العيني ليكون مركزًا طبيًا ذا مهام عديدة بعد أن كان دوره محصورا في كونه مستشفى عسكريا في أوائل سنوات تكوينه.

وكان لجهود كلوت بك الناجحة في تحويل قصر العيني من مستشفى عسكري للعناية بالقطاع المدني أبلغ الأثر في تحسين الظروف الصحية لعموم المصريين. وكان من أهم أمثلة تحول قصر العيني من مستشفى عسكري لمركز طبي مدني تأسيس إدارة طبية عرفت بـ"شورى الأطبا" كان مركزه القصر العيني وأشرف على خدمات طبية بالغة الأهمية في شتى أنحاء البلاد.

واختصارا، يمكن القول بثقة إن قصر العيني كان أهم وأنجح مؤسسة عرفتها مصر في القرن التاسع عشر، فقد استطاع أطباء وطبيبات هذا الصرح الطبي العملاق من القيام بمشروعات طبية بالغة الأهمية وجليلة الأثر. ومن أهم هذه المشروعات: تعريب الطب، القضاء على الأوبئة، وضع قاعدة بيانات دقيقة عن السكان، العناية بالصحة العامة، التطعيم ضد الجدري، الحد من خطر وبائي الطاعون والكوليرا، التقليل من معدل وفيات الأطفال وزيادة متوسط عمر الرجال والنساء، والارتقاء بمستوى معيشة الأهالي.

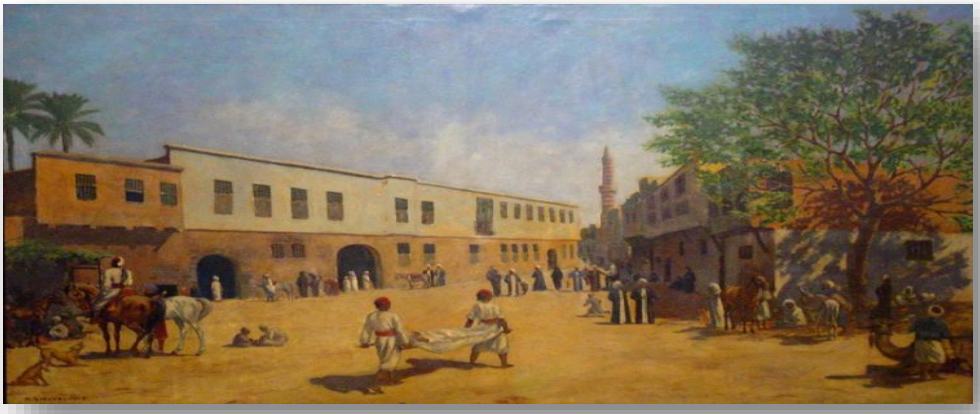

مستشفى ومدرسة الطب بالقصر العيني 1838

❖ ظروف منح الاجازة

لا يخفى علينا ان اكثر ما يميز هذه الاجازة هو سياقها العام، فالاجازتين المحللتين سابقا لم تخرجا عن سياقهما الوطني - وبدقة اكثر – الفاسي، اما إجازة عبد السلام العلمي؛ فقد تخطت المغرب شرقا لتسلم في كلية الطب ابي زعبل بالقاهرة المصرية، أول مدرسة للطب الحديث في المنطقة العربية، والتي كان قد أسسها محمد علي سنة 1827 م اجابة لاقتراح الدكتور كلوت بك. وبذلك تكون العاصمة المصرية هي المجال المكاني لاجازتنا.

وكما سبقت الإشارة؛ فان انتقال عبد السلام العلمي الى مصر لإتمام مشواره في تعلم الطب؛ كان نتيجة لسياسة البعثات العلمية التي اتبعها المولى الحسن الأول. لقد أدرك هذا الأخير القيمة العلمية لعبد السلام العلمي وتفرده بين أبناء عصره، مما جعل اسمه مرشحا ليكون من قافلة البعثات العلمية، فان ترسل عقلا كيسا مجتهدا سيكون بلا ريب اكثر نفعا ومردودية، خاصة في ميدان واسع ومتجدد كالطب.

وهذا أيضا ما اقره الحكيم الدمشقي "حسين عودة" الذي كان العلمي يحضر مجالسه العلمية الطبية بمصر؛ وهو القائل: "ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر، فوجدته في العلم والعمل وحيد، وفي المعارف بالنسبة لأقرانه فريد.". وهو وصف من جملة العبارات التي اثنت على الطبيب المبتعث مقتبسة من اجازته الممنوحة في 1873م.

3. الطبيب المجاز

عبد السلام العلمي [257]

أ. نسبه ونشأته

انه عبد السلام بن محمد العلمي، من أهل فاس مولداً ووفاة، عاصر في مدة حياته أربعة سلاطين ممن حكموا المغرب في ظل الدولة العلوية، هم أبو الفضل عبد الرحمن بن هشام، محمد الرابع بن عبد الرحمن، الحسن الأول بن محمد ثم عبد العزيز بن الحسن

وفي ما يخص اصل ونسب مجازنا؛ فان عبد السلام العلمي ينتمي إلى الأسرة العَلَمية الإدريسية الشريفة. أما تسمية العلمية فنسبة إلى جدهم الجامع: أبي بكر بن علي بن بوحرمة العلمي سليل أجداده الأدارسة المدفون بجبل العلم بالقرب من مدينتي تطوان وشفشاون، وأما الإدريسية فنسبة إلى إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب، والحسنية فنسبة إلى الحسن السبط، والشريفة نسبة إلى الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. ولقد ذكر نسبه في كتابه "ضياء النبراس"، وبين نسبه إلى جده عبد السلام بن مشيش.

ب. حياته العلمية

درس علامتنا بفاس، وعلى نهج النوابغ من عصره؛ فقد قصد القرويين للنهل من علومها، فتخصص في علمي النخبة؛ الطب والفلك. وقد تلقى علومه من عدة مشايخ؛ من بينهم والده سيدي محمد بن أحمد العلمي والعلامة أبا إسحاق التادلي الرباطي.

[257] مواد هذا العنوان من موقع مؤسسة سيدي مشيش العلمي- عائلة العلمي فايسبوك

- العلمي؛ العالم الفلكي

درس عبد السلام العلمي علم الفلك وعلم التنجيم والميقات بفاس، وتتلمذ عليه علماء أشتهروا في تلك العلوم نذكر من بينهم : الميقاتي محمد بن علي الاغزاوي الفاسي ومحمد بن أبي بكر الجامعي والفقيه المفتي السيد عبد الكريم بنيس. وقد حكى تلامذته أنه كان في أي وقت من الأوقات جالسهم ليلاً أو نهاراً يدلهم على الساعة؛ فإن كان نهاراً يرفع رأسهُ إلى السماء ويقول هذه الساعة كذا (بالدقائق)، وإن كان ليلاً ينظر إلى النجوم ويقول لهم الساعة. كما يحكي عنه ولده سيدي أحمد بن عبد السلام العلمي أنه في عصر يوم كان يجالس أهله بالمنزه ببيته فقام واستعجلهم بالقيام من ذاك المكان مـخـبـرا لهم أن صاعقة ستقع به بعد دقائق قليلة. وما أن أنزوى هو أهلهُ في مكان مأمون حتى حدث ما توقعه بالمكان الذي أشار إليه.

ومن ابرز مظاهر نبوغ عبد السلام في الفلك؛ اجهزته المخترعة الفريدة، منها آلة شعاعية سماها باسمين "جعبة العالم" و"أسطوانة العالم". وآلة شعاعية أخرى أطلق عليها اسم "ربع الشعاع والظل". وقد أهدى آلتيه للسلطان محمد الرابع.

ويجدر بالذكر أن عبد السلام العلمي كتب رسالة سماها "إرشاد الخل لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل" أوضح فيها كيفية استعمال آلته "ربع الشعاع والظل". وضمن رسالته صورة الآلة. وقد طبع هذه الرسالة في مصر لما كان يدرس الطب بها.

- العلمي الطبيب

درس العلمي علم الطب بين أحضان القرويين، فتميز بنباهته وانفرد باتقانه ما جعله يستقدم الى القصر مرارا لعلاج السلاطين وعيالهم. وامتازت مسيرة التعليمية بحدث انتدابه من قبل السلطان الحسن الأول لدراسة الطب بمصر، يقول محمد المنوني: "دخل الحسن الأول مدينة فاس بعد توليه الحكم اثر موت والده السلطان محمد الرابع؛ فاستقبله أهالي وأعيان المدينة ومن بينهم عبد السلام بن محمد الفلكي الطبيب بالمفهوم التقليدي وقتها، قبل أن يوفده السلطان الجديد في بعثة خاصة إلى القاهرة لاستكمال تحصيله الطبي بالمفهوم العصري لعلم الطب"[258]

وهنالك – بمصر - التحق بمستشفى القصر العيني وتلقى عن علماء من مصر وإسبانيا وفرنسا، وحضر تشريح نحو 1600 جثة من مخلفات ثورة عرابي الشهيرة. ثم رجع طبيبنا "الحديث" الى بلاده عالي الهمة طَموح المقصد؛ ففتح عيادة صغيرة قرب حرم مولاي إدريس بفاس زاول فيها المهنة الطبية، كما اجتهد في المجال عينه؛ والف لنا كتبا تعكس فراسة وتمكن صاحبها.

لقد كان الطبيب عبد السلام العلمي هرما في مجاله، ابدع في وضع منظومة تتحدث عن تركيب الهيكل الجسمي للإنسان وتفصيل أسماء العظام وأنواعها؛ وجسدت شخصيته ذروة التفكير الطبي العلمي خلال تلك الحقبة من العهد العلوي، " وبعد انتدابه لدراسة الطب بمصر، عاد إلى فاس وفتح فيها عيادته الخاصة - قرب حرم مولاي إدريس- مدشنا ما سماه الطب الجديد بالمغرب"[259]. وفي العنوان الموالي؛ سنتعرف على خصائص اجازته الطبية.

[258] محمد المنوني في "مظاهر يقظة المغرب الحديث": مجلة دعوة حق العدد 186

[259] عبد الصمد العشاب/ مقال حول مساهمة علماء المغرب في ميدان الطب والتطبيب : ديوان أصدقاء المغرب فايسبوك

ج. مؤلفاته

- "ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس":

يهتم هذا الكتاب بذكر الأسماء المغربية لما اورد الأنطاكي (المتوفى عام 1599 م) في كتابه **"التذكرة"**، وهو كتاب مشهور يتناول أوصاف بعض الأدوية وخواصها وتركيباتها، وجعل أمام الأسماء المشرقية للنباتات أسماءها المغربية مرتبة حسب الحروف الهجائية. ولم يكتف الطبيب العلمي بذلك فقط، بل إنه حاول في كتابه هذا توضيح كيفية تقطير بعض الأعشاب الطبية مصوراً بالأشكال الهندسية الجهاز المستعمل لهذه الغاية.

- "البدر المنير في علاج البواسير":

رتب هذا الكتاب حسب مقالات وفصول، ففي الفصل الأول؛ عن العلامات التي يتميز بها دم البواسير من دم الكبد ومن دم الأمعاء؛ وفي الثاني تحدث عن دم البواسير بوصفه دم علة وأن خروجه خير من احتباسه؛ وخصص الفصل الثالث للأغذية وما لا يناسبه منها. أما الفصل الرابع، فهو لكيفية معالجة البواسير. وفي المقالة الثانية؛ تحدث العلمي في كيفية تركيب الأدوية المأخوذة من الطب القديم والجديد النافعة للبواسير.

وقد نوقشت "الحنكة العلمية" في كيفية التصدي لعلل البواسير في أطروحة مميزة لخريج كلية الطب والصيدلة بفاس الدكتور احمد الرحموني، بتاطير من مشرفنا القدير الأستاذ البشير بنجلون تحت عنوان "مرض البواسير وعلاجه عند الأطباء العرب والمسلمين..ابن سينا والعلمي نموذجا "

- منظومة رجزية في علم التشريح سماها "مفتاح التشريح":

تقع في ثمانية وسبعين بيتاً، وتتحدث عن تركيب الهيكل الجسمي للإنسان وتفصيل أسماء العظام وأنواعها وذكر منها 8 للجمجمة و13 للوجه و64 للأطراف العليا و60 للأطراف السفلى و53 للجذع. ثم جهاز البصر والسمع والأنف وأعضاء العنق والصدر والأمعاء والبطن والجهاز البولي ...

- "الأسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة":

فسر في هذا الكتاب مصطلحات الكتب الطبية الأجنبية التي ترجمت إلى اللغة العربية في عصره.

- "التبصرة في سهولة الانتفاع بمجربات«التذكرة»":

وفيها أعاد ترتيب كتاب **"تذكرة"** الأنطاكي حسب الأمراض، بدلاً من الحروف كما فعل في كتابه **"ضياء النبراس"**. وذلك ليسهل البحث لمن يطلب علاج مرض من الأمراض.

"هكذا كان العلمي، مؤلفا وشارحا في نفس الوقت، نموذجا حيا للعالم المغربي (بأحدث معنى هذه الكلمة)، وشارك مشاركة واسعة في تطوير المغرب في الميدان العلمي، وبذلك استحق أن تخصص له ترجمة وافية".[260]

د. مرضه ووفاته

أصيب عالمنا بداء الشلل النصفي الذي ألزمه بيته لمدة طويلة، وقد عاده في مرضه ببيته السلطان مولاي الحسن الأول (حسب الأخبار المدونة والمروية لدى أسرة العلمي). وكان أثناء تلك الفترة يشتغل بالتأليف والتدريس، فكان يستقبل طلبته ببيته (بباب جيسة بفاس) إلى آخر حياته.

توفي بفاس، يوم الخميس فاتح شتنبر 1904م. ودفن بمقبرة العلميين بفاس، وقبره معروف وعليه لوحة كتب عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله هذا قبر الشريف الفقيه العلامة المختار في المعقول والمنقول ذا التآليف العديدة في آلات التوقيت وفي الطب وفي غيرهما مولاي عبد السلام بن الفقيه الأستاذ سيدي محمد العلمي الحسني.

[260] الدكتور محمد الأخضر، "الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية" ص 456

IV. دراسة نقدية للاجازة

1. دراسة نقدية لشكل الاجازة:

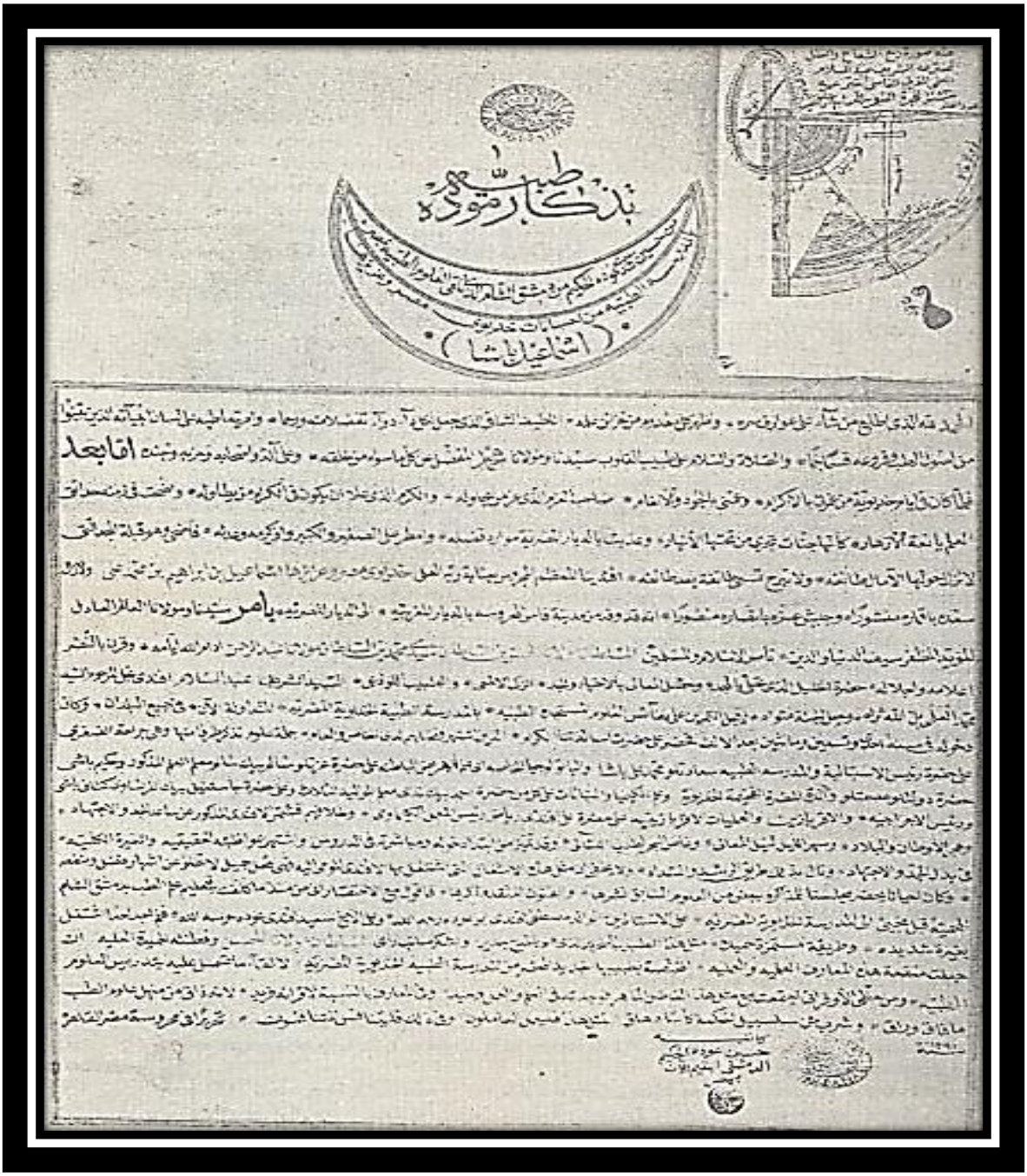

واذا كان العلمي قد شكل نقطة انعطاف للطبيب المغربي من ممارس تقليدي الى عالم حداثي؛ فان اجازته أيضا قد عكست تلك الصورة، فبمقارنة شكلها وقالبها مع اجازتينا السابقتين؛ نجد ان الاجازة الحديثة قد تخلت عن تلك الزينة من رسوم ونقوش ميزت المخطوطات العربية أمدا من الدهر، وارتدت بدل ذلك حلة عصرية.

حلة اكتفت باطار بسيط حول المضمون النصي، لكن مظاهر الحداثة فيها تجلت في ثلاثة رموز أساسية:

أ. رموز الاجازة

الأول عبارة عن ثلاث عبارات اتخذت كل منها شكلا خاصا، اعلى تلك العبارات كانت عبارة عن طابع صغير بيضوي الشكل؛ مكتوب بداخله اسم المجيز.

وتحت هذا الطابع؛ كتبت العبارة الثانية بخط عربي يغلب عليه الحس الديواني، لكن الحس المعنوي الذي تحمله تلك الكلمات الثلاثة اعمق... "تذكار- مودة – طبية "، كلمات ان دلت على شيء فانما تدل على تلك الإخوة العربية الإسلامية، على ان تبادل العلم النافع بين الأشقاء رفعة، وعلى ان الدين واللغة والتاريخ والمصير عناصر مشتركة، رسالة من الماضي الى الحاضر التائه...

اما العبارة الثالثة؛ فقد كتبت داخل اطار هلالي الشكل يعتبر الرمز الجمالي المميز لاجازتنا، وفيه ثلاثة أسطر كالتالي:

- من حسين أفندي عودة الحكيم من دمشق الشام، الذي تلقى العلوم الطبية بمصر
- المدرسة الطبية من إحسانات خديوي مصر وعزيزها
- اسماعيل باشا

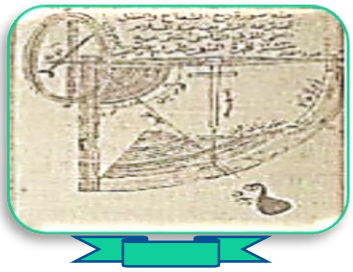

اما الرمز الثاني؛ فقد ادمج في اجازتنا في دلالة معنوية راقية، تذكر بنبوغ المجاز في ميدان الفلك أيضا.

والرمز عبارة عن صورة ألصقت بأعلى الاجازة من جهة اليمين، تمثل جهاز «ربع الشعاع والظل» الذي ابتكره صاحب الإجازة، وللتعريف بهذا الرسم؛ كتب أعلاه أربعة أسطر التالية:

- هذه صورة «ربع الشعاع والظل»
- لمخترعه الشريف عبد السلام
- العلمي المغربي الفاسي اخترعه سنة 1283 للهجرة النبوية
- على صاحبها أزكى التحية.

ويالها من عبارات لبقة زكية !!

اما الرمز الثالث؛ فقد ذيل نص الإجازة من جهة اليمين بطابع مماثل للذي صدرت منه، يتصل به توقيع المجيز " كاتبه حسين أفندي عودة الحكيم الدمشقي.."، وضع تحته طابع أصغر.

ب. خط الاجازة واسلوبها

كتبت الاجازة بخط شرقي نسخي واضح جلي، وحررت بأسلوب علمي عربي تتخلله بعض تعابير تركية، حيث تضاف كلمة «لو» لبعض التحيات، وتكتب متصلة بتائها الأخيرة، مثل سعادتلو، وحضر تو، ودولتلو...

من تلك التعابير أيضا نجد كلمات ذات الأصل العثماني والتي ما زالت متداولة في مصر الى الان:

-باشا: لقب فخر منح ابتداءا الى الحكام ثم إلى السياسيين البارزين والجنرالات والشخصيات الهامة

- البيك أو البيه: معناها السيد أو ذو الشأن، ثم صارت تعطى الآن لقباً تشريفياً بدون مراعاة وظيفة

- أفندي: ومعناها السيد المطلق أو القائد المطلق، وقد بدأ استعمالها لدى العثمانيين في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي للدلالة على الإنسان المتعلم والمثقف.

2. دراسة نقدية لمضمون الاجازة

"الحمد لله الذي أطلع من شاء على عوارف سره، وأظهر كل معدوم من خزائن علمه، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحما، وامر بتعاطيه على لسان أنبيائه الذين بينوا من أصول الطب وفروعه قسما جما، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه، وعلى آله وأصحابه وحزبه وجنده.

اما بعد: فلما كان في أيام خديوية من غمرني بالإكرام، وعمني بالجود والإنعام، صاحب العزم الذي عز من يحاوله والكرم الذي علا ان يكون في الكرام من يطاوله، وأضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الأزهار، كأنها جناب تجري من تحتها الأنهار، وعذبت بالديار المصرية موارد فضله، وأمطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله، فأضحى وهو قبلة المجد التي لما تزال حولها الآمال طائفة، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة، أفندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلي، خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي، ولا زال سعده باقماره منشورا، وجيش عزه بأنصاره منصورا.

إنه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية، الى الديار المصرية، بامر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيا والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، السلطان مولانا الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد لرحمن، أدام الله ايامه، وقرن بالنصر أعلامه وإجلاله حضرة الخليل الذي تحلى بالمجد، وحصل المعالي بالاجتهاد والجد، الذكي الألمعي والطبيب اللوذعي، السيد الشريف عبد السلام أفندي نجل المرحوم السيد محمد العلمي بل الله ثراه، وجعل الجنة مثواه، لأجل التمرين على نفائس العلوم المستجدة الطبية، بالمدرسة الطبية الخديوية المصرية المتداولة الآن، في جميع البلدان.

وكان دخوله في سنة إحدى وتسعين ومائتين بعد الألف، فحض على حضرات أساتذتنا الكرام، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام، جملة على علوم نذكر طرفا منها، وهي جراحة الصفري على حضرة رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية سعادتلو محمد علي باشا والباتولوجيا الخاصة أي علم الأمراض الباطنية على حضرة عزتلو سالم بيك سالم معلم العلم المذكور وحكيم باشي حضرة دولتلو عصمتلو والدة الحضرة الفخيمة الخديوية، معلم الكيميا والنباتات على كل من حضرة أحمد بيك .

ندى معلم المواليد الثلاث، وعلى حضرة جاستنيل بيك الفرنساوي كشاف باشي ورئيس الاجزاجية، والاقرباذين والعمليات الاقربازينية على حضرة علي افندي رياض رئيس المعمل الكيماوي، وخلافهم، فشمر الأفندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد، وهجر الأوطان والبلاد، وسهر الليل لنيل المعالي، وغاص البحر لطلب اللئالي، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته في الدروس واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية، في بذل الجد والاجتهاد، ونال بذلك طريق الرشد والسداد.

ولا يخفى أن مثل هذه الأشغال بها الافندي المومئ إليه: فهي فعل جميل لا تخلو عن إشهار فضل ومنفعة، وكان أحيانا يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها، والفنون المتقدم ذكرها، فأقول مع الاختصار: أني من منذ ما كلفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية، قبل مجيئي إلى المدرسة الخديوية المصرية، على الاستاذين: الوالد مصطفى أفندي أبو عوده رحمه الله وعلى الأخ سعيد أفندي عودة حرسه الله، فلم أجد أحدا اشتغل بغيرة شديدة، وطريقة مستمرة حميدة، مثل هذا الطبيب النحرير، الذي هو بالمدح جدير، وأشكر صائب رأي السلطان مولانا الحسن، وفطنته الحميدة العلية، أن جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية، لإلقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية، ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر فوجدته في العلم والعمل وحيد «كذا» وفي المعارف بالنسبة لأقرانه فريد، لأنه ذاق من منهل علوم الطب ما فاق وراق، وشرب من سلسبيل الحكمة كاسا دهاق «كذا» لمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، تحريرا في محروسة مصر القاهرة سنة 1291هـ.

أ. اعلام الاجازة

وردت في الاجازة أسماء لاعلام كثر؛ كان منهم اسم المجيز والمجاز وحاكمي المغرب ومصر في تلك الفترة، إضافة الى أسماء بعض من أساتذة الطب بالمدرسة القاهرية.

- اسماعيل باشا: "الخديوي إسماعيل" هو اسم خامس حكام مصر من الأسرة العلوية من 1863 إلى 1879. في تلك الفترة؛ عمل على تطوير الملامح التعليمية والاقتصادية والإدارية في مصر بشكل كبير؛ ليستحق لقب المؤسس الثاني لمصر الحديثة بعد إنجازات جده محمد علي باشا الكبير.[261]
- السلطان الحسن الأول: سبق لنا تخصيص فقرة كاملة لشخصه وسياسته الإصلاحية
- حسين افندي عوده: ابن الحاج مصطفى أبي عوده الحكيم بدمشق الشام وأحد تلامذة المدرسة الطبية بمصر، الديار التي دخلها سنة 1285 ونال الشهادة الطبية منها سنة 1291، من رسالاته "نبذة من الرحلة العودية إلى الديار المصرية" و"المرشدة العودية في اثبات الكيميا الطبية".[262]

الى جانب الأستاذ "العودة"؛ وردت أسماء أخرى لخمسة من أساتذة المجاز بالمدرسة الطبية بالقصر العيني بالقاهرة. لكن ارتأينا ان نذكر أسماء كل "الشيوخ الحكماء" الذين عدَّهم عبد السلام العلمي في كتابه "الضياء" وكانوا بعدد الثمانية عشر.

"... وحيث ذكرنا في بعض المواضع من هذا الكتاب الأشياء التي تلقيناها من أشياخنا بالاسبطار المصري؛ سنح لي أن نختم هذه الخاتمة بذكر أشياخنا في تلك الفنون تبركا بهم فأقول:

---

261 الخديوي إسماعيل ويكيبديا

262 المجلة الصحية لشرق المتوسط / العدد3 1996 ص 526

الأول: شيخنا في علم الجراحة عِلماً وعَمَلا رئيس الاسبطالية المذكورة المعروفة بالقصر العيني العلامة الحكيم المترجم المدرس الفصيح المؤلف سيدي محمد علي باشا البقلي.

(يعتبر "البقلي" احد نوابغ الطب المصريين، تولى الإشراف على مدرسة الطب بعد كلود بك، واصبح كبير أطباء مستشفى القصر العيني)

الثاني: شيخنا في العملية الجراحية الحكيم محمود بك نجل الرئيس المذكور.

الثالث: شيخنا في الجراحة بعمل اليد الحكيم مَحمد فوزي بك الجراح

الرابع: شيخنا في الأمراض الباطنة علما وعملا على أسرة المرضى رئيس أطباء أم أفنديهم وهو العلامة الحكيم المترجم الفصيح الدكتور سالم بن سالم باشا.

الخامس: شيخنا في الأمراض الباطنة الحكيم المترجم محمد القطاوي بك

السادس: شيخنا في الأمراض الباطنة على أسرة المرضى عملا الحكيم إبراهيم أفندي. السابع: شيخنا في الأمراض الباطنة على أسرة المرضى عملا الحكيم موسيو عيسى

الثامن: شيخنا في عيادة الأمراض الباطنة عملا على أسرة المرضى الحكيم مَحمد أفندي شكري

التاسع: شيخنا في علم التشريح الهيكلي والعضلي والمفصلي علما وعملا العلامة الحكيم المترجم محمود بك أفندي مصطفى

العاشر: شيخنا في علم التشريح العصبي والعروق الحكيم محمد السيد أفندي علما وعملا

الحادي عشر: شيخنا في علم المواليد الثلاثة الحيوان والمعدن والنبات المعروف بالتاريخ الطبيعي العلامة الحكيم المترجم الفصيح المؤلف محمود أفندي ندى المصري

الثاني عشر: شيخنا في علم الكيمياء الطبية المعلم كسنتيل الفرنصاوي القائم بالمعمل الكيماوي بواسطة المترجم العلامة الحكيم الفصيح معلم علم المواليد الثلاثة محمود أفندي ندا المصري

الثالث عشر: شيخنا في علم الأقرباذين علما وعملا الحكيم المترجم المؤلف علي أفندي رياض

الرابع عشر: شيخنا في علم الرمد الحكيم المترجم المؤلف حسين بيك عوف مبرئ الرمد

الخامس عشر: شيخنا في أمراض الجلد الحكيم علي أفندي رضوان

السادس عشر: شيخنا في الداء الزهري والأمراض الباطنة على أسرة المرضى الحكيم عبد الرحمن بك الهراوي

السابع عشر: شيخنا في مشاهدة الحيوانات المصبرة أي المكوفرة وأحجار المعادن البرية والبحرية الحكيم زهران أفندي

الثامن عشر: شيخنا في تشخيص أمراض النساء والأطفال في اسبطالية أمراض النساء العلامة الحكيم الجرائحي

ب. هيكل الاجازة

جاء الشكل العام لاجازتنا فقرة واحدة، لكن خضعت ضمنيا للبنية الاجازية العامة – التي فصلنا فيها سابقا –، فكانت العبارات المستعملة في الثناء على المولى عز وجل؛ وعبارة "اما بعد"؛ كافية لجعل المقدمة فقرة جلية.

- المقدمة

"الحمد لله الذي أطلع من شاء على عوارف سره، وأظهر كل معدوم من خزائن علمه، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحما، وامر بتعاطيه على لسان أنبيائه الذين بينوا من أصول الطب وفروعه قسما جما، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه، وعلى آله وأصحابه وحزبه وجنده".

في هذه الفقرة التي لم تتعدى السطرين في إجازة فاقت العشرين سطرا؛ حازت المقدمة على عُشُر المضمون - على خلاف اجازتي فاس اللتين استطردتا في أولى فقراتهما -. لكن هذا الامر لم يمنع من استيفاء مقدمة إجازة "العلمي" لغرضها الأساسي القائم على التمهيد للطرح العام.

وقد تمت الحمدلة بمصطلحات تحيل قارئها الى علم الصحة، كما وظف ضمنيا – في اطار أسلوب التناص – الحديث النبوي " لكل داء دواء"، واختتمت الفقرة بعبارات زكية للصلاة على النبي الكريم.

▪ العرض

ولو لم تستعمل عبارات اما بعد لظننا اننا مازلنا في مقدمة الطرح، اذ اننا لم نجد العرض الذي ينظم عناصره وفق تراتبية تبتدئ بالتمهيد وذكر الطلب وتنتهي بالإجازة، وإنما وجدنا ثلاث فقرات من المدح وجميل العبارات، عنت الأولى والثانية منها لذكر مناقب السلطانين المصري والمغربي، في حين اختصت الثالثة ببيان مزايا المجاز واهليته.

- الفقرة الأولى:

اما بعد؛ فلما كان في أيام خديوية من غمرني بالإكرام، وعمني بالجود والإنعام، صاحب العزم الذي عز من يحاوله والكرم الذي علا ان يكون في الكرام من يطاوله، وأضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الأزهار، كأنها جناب تجري من تحتها الأنهار، وعذبت بالديار المصرية موارد فضله، وأمطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله، فأضحى وهو قبلة المجد التي لما تزال حولها الآمال طائفة، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة، أفندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلي، خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي، ولا زال سعده باقماره منشورا، وجيش عزه بأنصاره منصورا.

وكما يلاحظ؛ ففي ثنايا هذه السطور عرفان بجميل سلطان مصر على الأستاذ المجاز وعلى البلاد المصرية التي أضحت مرجعا للنهل من العلم، وقبلة للتورد والكرم.

- الفقرة الثانية:

إنه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية، الى الديار المصرية، بامر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيا والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، السلطان مولانا الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد لرحمن، أدام الله ايامه، وقرن بالنصر أعلامه وإجلاله

وفيها تجسيد لما يمكن اعتباره "ديبلوماسية الاجازة"؛ فقد اثني على الديار المغربية وسلطانها آنذاك المولى الحسن الاول الذي دعي له بدوام العزة والنصر.

- الفقرة الثالثة:

وعلى عكس فقرتي الثناء على ولاة الامر اللتين انفردت بهما اجازتنا الراهنة؛ فاننا قد تعودنا في مختلف الاجازات السابقة - الطبية وغيرها – على تخصيص سطور ليست بالهينة للثناء على المجاز خلقا، علما وعملا. وقد نال طبيبنا العلمي نصيبه الوافر من الإطناب والتقدير:

وحصل المعالي بالاجتهاد والجد، الذكي الألمعي والطبيب اللوذعي، السيد الشريف عبد السلام أفندي نجل المرحوم السيد محمد العلمي بل الله ثراه، وجعل الجنة مثواه،... فشمر الأفندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد، وهجر الأوطان والبلاد، وسهر الليل لنيل المعالي، وغاص البحر لطلب اللئالي، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته في الدروس واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية، في بذل الجد والاجتهاد، ونال بذلك طريق الرشد والسداد. ولا يخفى أن مثل هذه الأشغال بها الافندي المومن إليه: فهي فعل جميل لا تخلو عن إشهار فضل ومنفعة، وكان أحيانا يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها، والفنون المتقدم ذكرها،

فأقول مع الاختصار: أني من منذ ما كلفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية، قبل مجيئي إلى المدرسة الخديوية المصرية، على الاستاذين: الوالد مصطفى أفندي أبو عوده رحمه الله وعلى الأخ سعيد أفندي عودة حرسه الله، فلم أجد أحدا اشتغل بغيرة شديدة، وطريقة مستمرة حميدة، مثل هذا الطبيب النحرير، الذي هو بالمدح جدير، وأشكر صائب رأي السلطان مولانا الحسن، وفطنته الحميدة العلية، أن جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية، لإلقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية، ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر فوجدته في العلم والعمل وحيد «كذا» وفي المعارف بالنسبة لأقرانه فريد، لأنه ذاق من منهل علوم الطب ما فاق وراق، وشرب من سلسبيل الحكمة كاسا دهاق

ما يلاحظ في معالم الثناء في الاسطر أعلاه؛ هو التركيز على جانب الاجتهاد والمواظبة، وقد يبدو الامر منطقيا اذا علمنا انها إجازة من مدرسة درس المجاز في صفوفها واجتهد في تحصيل العلم المقدم بها، في حين ان الاجازتين السابقتين قد عرجتا على حسن الممارسة والتمكن من الوظيفة؛ وذلك لاطلاع المجيزين والشهود على ذلك ولاحتكاكهم بالمجاز الطبيب.

ما يتجلى لنا أيضا في هذه الفقرة؛ هو تفرد الطبيب العلمي بين أقرانه طلبة الطب؛ وذلك يشهادة الأستاذ المجاز الذي عبرعن ذلك التميز باستخدام عبارات من قبيل:

- فلم أجد أحدا اشتغل بغيرة شديدة، وطريقة مستمرة حميدة، مثل هذا الطبيب النحرير
- ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر فوجدته في العلم والعمل وحيد «كذا» وفي المعارف بالنسبة لأقرانه فريد

لكن ما يؤاخذ في هذه الفقرة؛ هو إغفال الجانب الخلقي للمجاز الذي – لا شك ان التربية الإسلامية التي تلقاها على غرار منتسبي العائلات الفاسية العريقة قد أثرت في كيانه - يمكن استشفافه في سلوكيات طالب الطب وتعاملاته.

▪ الخاتمة

لمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، تحريرا في محروسة مصر القاهرة سنة 1291ه

خاتمتنا لهذه الاجازة مقتضبة محمسة؛ اكتفت بشحذ همة العمل والتنافس، وذكر زمان ومكان تسليمها.

ج. أسلوب الاجازة

هيمن السجع - الذي يعرف باتفاق بعض الجمل في النص أو المقاطع في الجملة الواحدة في النثر، في الحرف الأخير منها – على الأساليب المستعملة في الاجازة. وفي ما يلي بعض من نماذج الجمل السجعية :

الذي جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحما، وامر بتعاطي أصول الطب وفروعه قسما جما	3
من غمرني بالإكرام، وعمني بالجود والإنعام	2
صاحب العزم الذي عز من يحاوله، والكرم الذي علا ان يكون في الكرام من يطاوله	2
وأضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الأزهار، كأنها جناب تجري من تحتها الأنهار	2
وعذبت بالديار المصرية موارد فضله، وأمطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله	3
فأضحى وهو قبلة المجد التي لما تزال حولها الآمال طائفة، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة	2
أفندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلي، خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن محمد علي	2
ولا زال سعده باقماره منشورا، وجيش عزه بأنصاره منصورا.	2
الذي تحلى بالمجد، وحصل المعالي بالاجتهاد والجد	2
الذكي الألمعي والطبيب اللوذعي	2
حضرات أساتذتنا الكرام، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام	2
فشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، وهجر الأوطان والبلاد	2
وسهر الليل لنيل المعالي، وغاص البحر لطلب اللئالي	2
في بذل الجد والاجتهاد، ونال بذلك طريق الرشد والسداد.	2
اشتغل بغيرة شديدة، وطريقة مستمرة حميدة،	2
مثل هذا الطبيب النحرير، الذي هو بالمدح جدير	2
لأنه ذاق من منهل علوم الطب ما فاق وراق، وشرب من سلسبيل الحكمة كاسا دهاق	3

وخلاصة القول فان هذه الاجازة تمثل نموذجا من شهادات المؤسسات الشرقية الحديثة، كما تقدم لونا من الوان العلاقات العلمية بين المغرب ومصر في مطلع عصر اليقظة العربية.

لقد كان لاسم عبد السلام العلمي الطليعة في قائمة الأطباء المغاربة ذوي التكوين العصري؛ الأطباء الذين اجتهدوا وحملوا لواء الإصلاح في ممارسة علم الطب وتعليمه ليصل – بعد توالي العهود والسنوات - الى ما هو عليه الان. واضحى للمغرب أطباء متمكنين ومتضلعين في مختلف جوانب الممارسات الطبية العامة منها والدقيقة كجراحة القلب والشرايين والمخ والعصب الشوكي؛ أطباء درسوا وتخرجوا من كليات الطب الوطنية التي يبلغ عددها اليوم سبع كليات؛ في انتظار أخريات في طور الانشاء.

ومن تلك المعالم الطبية؛ كانت كليتنا للطب والصيدلة بفاس التي أعطت أول اجازاتها (شهاداتها) – او بصيغة أخرى حديثة؛ تمت مناقشة اول أطروحة فيها - سنة 2007 للطالبة سامية أريفي والتي هي الآن أستاذة في البيولوجيا الطبية في رحاب كليتنا.

إجازة الطبيبة سامية أريفي

I. تقديم

بعد ان خضنا في غمار الإجازات الطبية عبر فترات زمنية متباينة من التاريخ العلمي؛ حان دور مناقشة هذا المبحث في فترتنا المعاصرة؛ الفترة التي نمثل الجيل الحديث لطلبة الطب بها؛ جيل يراوده الشغف في تحقيق نهضة علمية جديدة نعيد بها مجدنا التليد.

تعتبر الطبيبة سامية أريفي أول مجازة من كلية الطب والصيدلة كمؤسسة حديثة لتدريس الطب في المغرب، و ما هذا إلا امتداد لماض قريب كان يدرس فيه الطب بجامعة القرويين العريقة. في هذا المبحث سنناقش ا السياق العام للإجازة الممنوحة لها، لنتعرف على اهم إصلاحات قطاع الصحة المنجزة تحت رعاية الملك محمد السادس، إصلاحات ضمت تشييد عدة مؤسسات تعليمية طبية كان من بينها كليتنا للطب بفاس التي خصصنا لها فقرة خاصة باعتبارها الجهة المانحة للاجازة المدروسة، سنتعرف على اولى مجازة من الصرح العلمي المذكور؛ ثم سنعرج على تحليل سياق مناقشة الأطروحة وعلى مكانتها المخولة الحصول على شهادة الدكتوراة.

II. السياق العام

1. السياق التاريخي

تندرج إجازة او شهادة الدكتوراة في الطب للطبيبة سامية أريفي ضمن الشهادات الحديثة او المعاصرة، فقد حيزت بتاريخ الثاني عشر من شهر يناير 2007 الموافق ل 22 ذو الحجة 1427، في فترة حكم ملك المغرب الحالي، الملك محمد السادس أطال الله في عمره. والتي عرفت وما زال المغرب يعرف خلالها طفرة نوعية في مجالات عديدة.

أ. المغرب في عهد الملك محمد السادس:

ملك المغرب، وهو محمد بن الحسن بن محمد بن مولاي علي الشريف العلوي، ويأتي بالمرتبة الثالثة والعشرين بين سلالة العلويين من حيث الحكم.

- النشأة والتعليم[263]

ولد الملك محمد السادس في 21 من شهر أغسطس من سنة 1963م في مدينة الرباط ، والتحق بالكتّاب القرآني في القصر الملكي في سنّ الرابعة، أتّم دراسته في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة في المعهد المولوي، وتمكن من الحصول على شهادة البكالوريا منها سنة 1981م ، وأكمل دراساته العليا في تخصص الحقوق بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية في جامعة محمد الخامس. وحاز على الإجازة في موضوع الاتحاد العربي الإفريقي واستراتيجية المملكة في مجال العلاقات الدولية مع حلول عام 1985م. ثم شهادة الدراسات المعمقة في العلوم السياسية والقانون العام بتقدير امتياز، وشهادة الدكتوراه في الحقوق سنة 1993م من جامعة نيس صوفيا أنتبوليس الفرنسية بعد مناقشته لأطروحته تحت عنوان التعاون بين السوق الأوروبية المشتركة واتحاد المغرب العربي.

[263] الملك محمد السادس/ ويكيبيديا

- الحكم

تسلم الملك محمد السادس مقاليد الحكم كوريث شرعي خلفاً لوالده الراحل الحسن الثاني في شهر يوليوز من سنة 1999 وعُمره لم يتجاوز 36 سنة. في السنوات الأولى لتوليه العرش أطلق الملك سياسة الأوراش الكبرى، وهي مشاريع هيكلية تتعلق بالبنيات التحتية الضرورية لتنمية البلاد، إضافة إلى مخططات مُوجهة إلى القطاعات الحيوية الداعمة للتحولين الاقتصادي والاجتماعي.

وهكذا؛ كانت ولا زالت عهدة الملك محمد السادس ملئ بالسلم والاستقرار – ولله الحمد والمنة – و مليئة ايضا بالمنجزات في مختلف المجالات، وللجانب الصحي منها عامة ولكليات الطب والمستشفيات الجامعية خاصة النصيب الوافر.

ب. الخدمات الاجتماعية الصحية قبل 1999 :

نهج المغرب منذ حصوله على الاستقلال سياسة تعتمد على القطاعين الخاص والعام في مجال الصحة. وأنشأت الدولة شبكة الرعاية الصحية العمومية التي تمتد من المركز الصحي إلى المستوى الثلاثي من المستشفيات (مستشفى المنطقة، الإقليم، مستشفى وطني). وقد بلغ عدد الأطباء الحكوميين في المغرب عام 1995م نحو 4,158 طبيبًا، كما بلغ عددهم في القطاع الخاص 4,787 طبيبًا. وبلغ عدد المستشفيات عام 1995م 85 مستشفى، و16 مستشفى للولادة والأطفال، و660 مركزًا صحيًا. أما عدد الأِسرّة في المستشفيات فكان 26,407 سرير، وبلغ عدد أعضاء الجهاز شبه الطبي 24,959 موظفًا. أما في مجال الوقاية الاجتماعية، فهناك تسع منظمات تعاضدية أعضاء في الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي تمثل أغلب قطاعات الشعب.[264]

[264] المغرب، موقع المعرفة/ الموسوعة العربية الشاملة

ج. تنمية الخدمات الصحية في عهد الملك محمد السادس:

ان نتائج سياسة الإصلاح المنتهجة تروم الرفع من مردود القطاع الصحي، ورغم كل الجهود المبذولة فإن عدد الموارد البشرية والمؤسسات بل والمنظومة الصحية بأكملها لا زالت في حاجة الى إصلاحات جذرية وإعادة هيكلة أساسية.

والى جانب المؤسسات الصحية الاستشفائية، عُنِيَ بالمؤسسات الصحية التعليمية، لينتقل عدد كليات الطب من ثلاثة قبل اعتلاء الملك محمد السادس العرش الى سبع كليات بعد عشرين عاما، و هي حسب أقدميتها كالتالي:

- كلية الطب والصيدلة بالرباط
- كلية الطب والصيدلة بالدار البيضاء
- كلية الطب والصيدلة بمراكش
- كلية الطب والصيدلة بفاس
- كلية الطب والصيدلة بوجدة
- كلية الطب والصيدلة باكادير
- كلية الطب والصيدلة بطنجة

الجذير بالذكر، ان اول كلية دشنت في عهد الملك محمد السادس، كانت كلية الطب بفاس وذلك بعد البيعة بأشهر معدودة.

2. الجهة المانحة : كلية الطب والصيدلة بفاس

دشن صاحب الجلالة الملك محمد السادس كلية الطب والصيدلة بفاس التابعة لجامعة سيدي محمد بن عبد الله يوم 20 أكتوبر 1999م، فمناقشة هاته الأطروحة تتزامن مع مرور عشرين سنة على نشأة كلية الطب والصيدلة بفاس, عشرون سنة من التميز والعطاء العلمي ...

وقد تم إنشاؤها لتحقيق اللامركزية في الدراسات الطبية و الصحية وتحقيق مستوى أعلى من التعليم. كما تم إنشاء المستشفى الجامعي الحسن الثاني و الذي مكن من تعزيز العرض الصحي بالمملكة و تقريب الخدمات الطبية و الصحية من سكان الجهة مع تخفيف الضغط على المراكز الاستشفائية الجامعية الأخرى، وأيضا ليكون فضاء لتدريب طلبة الكلية.

عرفت كلية الطب و الصيدلة بفاس تشكيل لجنة التراث و التي تم الموافقة على تأسيسها في هيئة التدريس يوم 24 أكتوبر 2013 وبدأت رسميا أنشطتها في يناير/ كانون الثاني سنة 2014 .

تهدف لجنة التراث إلى إحياء تاريخ الطب و العلوم في العالم العربي و الإسلامي مع المساهمة في الحفاظ على الوثائق والشهادات و الكتب التاريخية للعلوم الطبية. كما تهدف أساسا إلى إثارة اهتمام طلاب الطب ومهني الصحة إلى تاريخ العلوم الطبية. و في نفس الإطار تسعى لجنة التراث إلى عقد شراكات مع منظمات وطنية ودولية تشترك معها في تحقيق نفس الأهداف . كما تساهم في العديد من المنشورات العلمية حول تاريخ العلوم الطبية.

مقتطف من كلمة السيد الأستاذ مولاي حسن فريح؛ رئيس لجنة التراث خلال إنعقاد الندوة الثانية لفاس حول تاريخ الطب في 15 أكتوبر 2014

قد أبت إدارة الكلية مشكورة بدعم تلقائي من الجامعة إلا أن تحمل المشعل و تنظم بإحكام النسخة الثانية من هذا الملتقى العلمي الواعد وتحيي التاريخ؛ وعياً منا بما لمدينة فاس من أمجاد في ميادين العلم كافة و الطب خاصة.

فالعاصمة العلمية والروحية للملكة بمنارتها الخالدة "جامع القرويين" برجالاتها وعلمائها من المغرب والأندلس تستحق منا حفظ هذا الموروث الحضاري النفيس والاهتمام بشأنه و تلقينه للأجيال الصاعدة. هذا النبش في الذاكرة لن يكون مناسبة للبكاء على الأطلال و إنما فرصة للتصالح مع الذات وربط الحاضر بالماضي استشرافا إن شاء الله لمستقبل واعد ومشرق في ميادين تلقين المعارف الطبية و العناية الصحية بصفة عامة.

مرافق الكلية (في صور)

مختبر التشريح الاعمال التطبيقية TP

قاعة المحاكاة الطبية

قاعة الاعمال المسيرة TD

المكتبة (تضم 17000 مؤلفا)

خلية الطب و الصيدلة فاس
P
P
P
P
C
H
1
2
3
4
5
6
7

3. الطبيبة المجازة : سامية أريفي

أ. النشأة والتعليم

الطبيبة سامية أريفي هي من مواليد مدينة الرشيدية في 27 مارس 1981م، أمضت مسارا دراسيا متفوقا في جميع المراحل التعليمية، ونجحت في الحصول على شهادة البكالوريا في شعبة العلوم الرياضية بميزة حسن وذلك سنة 1999م، وهي نفس السنة التي تم فيها تدشين كلية الطب والصيدلة بفاس.

لقد وافتنا طبيبتنا واستاذتنا – مشكورة - بتعليقات شاركتنا فيها نبذة عن مسارها وتوجهاتها العلمية، نقتبس من تلك المشاركة اسطرا تغني وتزكي فقراتنا.

"منذ الطفولة، كنت أجد ميولا واضحة للعلوم الأساسية بجميع أنواعها، وخصوصا لعلم الأحياء، ورغم اختياري التوجه لشعبة العلوم الرياضية، في المرحلة الثانوية، فإن ذلك لم يكن اعتباطا، بل كان عن وعي بأهمية هذا العلم، كونه قائما على التجريد، وتشكيل فكر علمي منهجي."

اما عن الالتحاق بمسار الدراسات الطبية؛ فتقول الطبيبة أريفي ان " اختيار دراسة الطب لم يكن عن تخطيط مسبق، إذ كان خيارا من ضمن خيارات أخرى". وتضيف:

" كنت ضمن الفوج الأول الملتحق للدراسة بالكلية. وقد كان لالتحاقي بهذه الكلية الأثر الكبير في توجيه مساري العلمي والمهني، بفضل سياسة الكلية، القائمة على الانفتاح، وعلى توفير كل الشروط للوصول إلى تحصيل علمي وطبي يواكب ما وصلت إليه كليات الطب في العالم؛ وأيضا بفضل الشراكة التي أقامتها الكلية مع جامعة كلود برنار بليون بفرنسا، ما أتاح لنا التلمذة على يد نخبة من الأساتذة في تخصصات العلوم الأساسية والطبية."

وبعد خمس سنوات من التحصيل بين جدران الكلية، اجتازت الطالبة الطبيبة مباراة الأطباء الداخليين بنجاح سنة 2004م، لتقضي سنتين تدريبيتين في المستشفى الجامعي بفاس؛ ثم لتكمل مشوارها العلمي التعليمي في التخصص الذي اختارته: " طب الأورام".

" هذا الاختيار، أملته العديد من العوامل بالإضافة إلى الجانب المتعلق بالخدمة الإنسانية، وأهمها الرغبة في الإسهام في تعزيز الطاقم الطبي بهذا التخصص الحديث بالمغرب، إلى جانب التقاطع مع الاهتمام الذي أوليه للبحث في مجال علم الأحياء."

ب. الطبيبة الاستاذة

أكملت الطبيبة أريفي مشوار البحث والتحصيل العلمي وذلك بالتحاقها بجامعة كلود برنار، بمدينة ليون الفرنسية، حيث حصلت سنة 2008م على شهادة الماستر في علم الأحياء، تخصص بيولوجيا السرطان، بميزة حسن، بأطروحة بعنوان: "**rôle de la voie Noch dans la tumorigénèse endocrine**"

"بفضل جهود قيدوم الكلية الدكتور البروفيسور فريح وحرصه، وبدعم من أستاذي لمادة بيولوجيا الخلية "**pierre paul bringuier**؛ جاء هذا التكوين ليكمل التخصص الذي اخترته في الطب ويعززه، وليشبع -في الوقت نفسه - الشغف الذي أحمله للبحث العلمي، ولعلم الأحياء خاصة. لأعود بعدها إلى فاس، وأتسلم مشعل تدريس المادة عن أستاذي، بعد سنوات من التمرين تحت إشرافه، وبعد اجتياز مباراة الأساتذة المساعدين سنة 2011م، ثم مباراة التبريز سنة 2015م."

حاليا تزاول مجازة كليتنا الاولى تحصصها في مهنة الطب، معالِجةً لمرضى السرطان بالمستشفى الجامعي الحسن الثاني، إلى جانب تدريس مادة بيولوجيا الخلية بنفس المدرجات التي جَلُست فيها كطالبة بكلية الطب و الصيدلة بفاس.

" أومن أن من واجبنا جميعا تكثيف الجهود لجعل الولوج للخدمات الطبية متاحا لجميع المرضى على قدم المساواة، دون تمييز في العالم الثالث؛ تماما كما في العالم المتقدم." الطبيبة اريفي

4. الاطروحة؛ مفتاح نيل شهادة الدكتوراة في الطب

وضمن مجال طب الأورام الذي سلكته طبيبتنا؛ كان اختيار عنوان الاطروحة المناقشة تحت عنوان: **" الأورام المشيجية المعدية المعوية..المظاهر البيولوجية والنسيجية (بخصوص 10 حالات) "**، وذلك بإشراف من الأستاذة المختصة في التشريح المرضي " ذ عفاف العمارتي الريفي".

تقول الأستاذة سامية أريفي ان اختيار موضوع الأطروحة، كان منسجما مع التخصص الذي اختارته، ويستجيب للاهتمام الذي أولته لجانب البحث العلمي. وتضيف : " لقد كانت أولَ دراسة بالمغرب تقوم على التحليل الجيني للأورام المشيجية المعدية المعوية "tumeurs stromales gastro-intesntiales " وهي نوع من الأورام النادرة جدا؛ وبالنظر لندرتها فقد كان عدد الحالات المدروسة هو عشرة، تم تحليلها بمختبر التشريح الدقيق بمستشفى إدوارد إيريو بليون بفرنسا، حيث لم يكن متاحا إجراء هذه التحليلات بالمغرب. ولعل من أهم الإنجازات التي تحسب للكلية، وللمستشفى الجامعي الحسن الثاني بفاس، أن الفريق المكلف بتشخيص ومعالجة هذه الأورام، قد نجح في نقل هذه التقنية إلى المختبر، ليصبح منذ سنة 2013م من الرواد في هذا النوع من التحاليل المهمة في تشخيص وتصنيف السرطانات بالمغرب".

ملخص الاطروحة

الأورام المشيجية المعدية المعوية ، أورام نادرة ، لكنها تشكل الأورام الأكثر شيوعا من بين أورام اللحمي المتوسطي للجهاز الهضمي

من بين 232 حالة سرطان الجهاز الهضمي مسجلة بمختبر التشريح المرضي للمستشفى الجامعي الحسن الثاني بفاس خلال سنتين ، عثرنا على 10 حالات الأورام مشجية معدية معوية ، أي ما يعادل 4,3

معدل السن هو8 . 53 ، الجنس الذكوري هو الأكثر إصابة ، العلامات السريرية تختلف، كتلة بطنية، نزيف دموي يشكلان العلامات السريرية الأساسية.

مواضع الأورام تتمركز أساسا في المعدة (6 حالات)، متلوة بالمعي الدقيق (حالتان)، المساريقي القولوني (حالة واحدة)، والمعي المستقيم (حالة واحدة)،

النوع الخلوي المغزلي يمثل الثلثين، النوع الظهاري لوحظ في حالة واحدة، والنوع المركب في حالتين

أغلبية الحالات تعبر CD34(9حالات)، حالة واحدة غير معبرة ل CD34 لكنها حاملة لCD117

و حالات خضعت لتحليل لجزئية الحمض النووي في مختبر التشريح المرضي لمستشفى اجوارد ابريو بفرنسا. جميع الطفرات التي عثر عليها تخص الحين كيت « exonll kit » (7 حالات). لم يتم العثور على أي طفرة سواء في الجين kit أو PDGFRA في حالتين.

حسب تصنيف التشخيص النسيجي لفليتشر ، في حالات ذات خطورة منخفظة و 7 حالات خطورتها عالية

حاولنا من خلال هذه الدراسة إيجاد علاقات بين مختلف العوامل التشخيصية ki67 و الطراز العرقي من خلال معطيات الكتابات المنشورة ومن خلال الحالات التي قمنا بدراستها على الرغم من العدد الصغير لهذه السلسلة .

وبهذا البحث؛ قررت اللجنة المشرفة على مناقشة الأطروحة المكونة من الأساتذة:

- د عفاف العمارتي الريفي : أستاذة في التشريح المرضي
- د. معوني عبد العزيز : أستاذ في الطب الداخلي
- د . ايت الطالب خالد : أستاذ في الجراحة العامة
- د . الريحاني حسن : أستاذ الانكولوجيا الطبية
- د. الابراهيمي سيدي عادل : أستاذ امراض الجهاز الهضمي

منح الطالبة "سامية" دبلوم الدكتوراه في الطب بميزة مشرف جدا مع التنويه بتاريخ 2007/01/12 ، لتكون بذلك أولَ أطروحة تناقش، وأول شهادة تمنح للتخرج من كلية الطب والصيدلة بفاس.

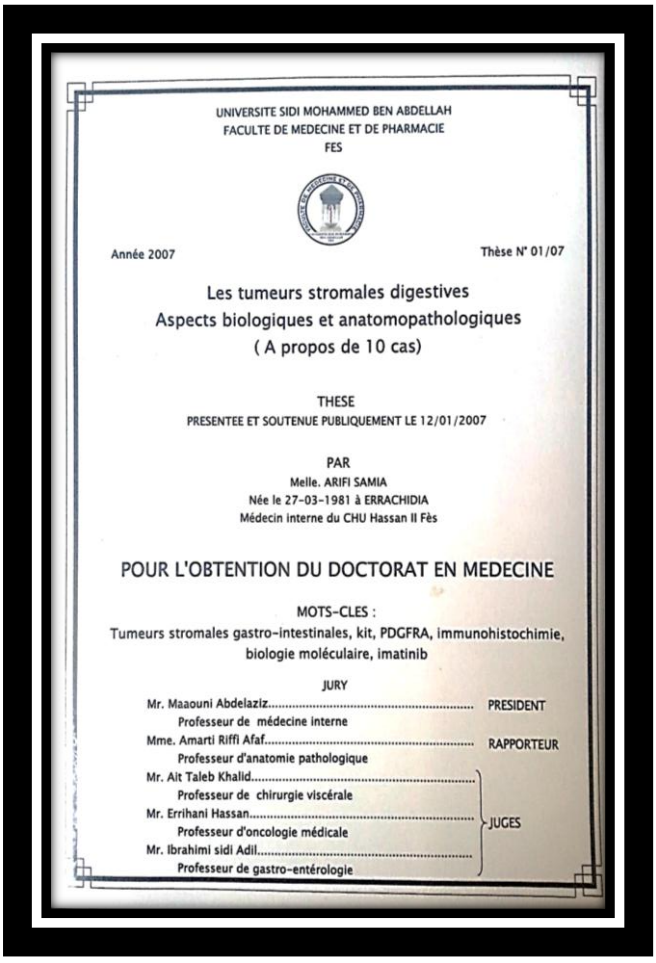

UNIVERSITE SIDI MOHAMMED BEN ABDELLAH
FACULTE DE MEDECINE ET DE PHARMACIE
FES

Année 2007 Thèse N° 01/07

Les tumeurs stromales digestives
Aspects biologiques et anatomopathologiques
(A propos de 10 cas)

THESE
PRESENTEE ET SOUTENUE PUBLIQUEMENT LE 12/01/2007

PAR
Melle. ARIFI SAMIA
Née le 27-03-1981 à ERRACHIDIA
Médecin interne du CHU Hassan II Fès

POUR L'OBTENTION DU DOCTORAT EN MEDECINE

MOTS-CLES :
Tumeurs stromales gastro-intestinales, kit, PDGFRA, immunohistochimie, biologie moléculaire, imatinib

JURY
Mr. Maaouni Abdelaziz..... PRESIDENT
Professeur de médecine interne
Mme. Amarti Riffi Afaf..... RAPPORTEUR
Professeur d'anatomie pathologique
Mr. Ait Taleb Khalid.....
Professeur de chirurgie viscérale
Mr. Errihani Hassan..... JUGES
Professeur d'oncologie médicale
Mr. Ibrahimi sidi Adil.....
Professeur de gastro-entérologie

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الطب و الصيدلة بفاس

سنة 2007 أطروحة رقم 07/01

الأورام المشيجية المعدية المعوية
المظاهر البيولوجية والنسيجية
(بخصوص 10 حالات)

الأطروحة
قدمت و نوقشت علانية يوم 2007/01/12

من طرف
الآنسة أريفي سامية
المزدادة في 1981/03/27 بالراشدية
طبيبة داخلية بالمركز الاستشفائي الحسن الثاني

لنيل شهادة الدكتوراه في الطب

الكلمات الأساسية
الأورام المشيجية المعدية المعوية - كيت (Kit) - كيمياء نسيجية مناعية
بيولوجية جزيئية - إيماتينيب

اللجنة
السيد معوني عبد العزيز..... الرئيس
أستاذ في الطب الداخلي
السيدة عمارتي الريفي عفاف..... المشرف
أستاذة في التشريح المرضي
السيد أيت الطالب خالد..... أعضاء
أستاذ في الجراحة العامة
السيد الريحاني حسن.....
أستاذ في الأنكولوجيا الطبية
السيد الإبراهيمي سيدي عادل.....
أستاذ في أمراض الجهاز الهضمي

III. دراسة تحليلية لإجازة الطبيبة سامية أريفي

Royaume du Maroc
Ministère de l'Education Nationale de l'Enseignement Supérieur
de la Formation des Cadres et de la Recherche Scientifique
Université Sidi Mohammed Ben Abdellah
Faculté de Médecine et de Pharmacie
Fès

المملكة المغربيـــة
وزارة التربية الوطنية و التعليم العالي و تكوين الأطر و البحث العلمي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الطب و الصيدلة
فـــاس

N° : 001/07

رقم : 07/001

شهادة الدكتوراه في الطب

Diplôme de Doctorat en Médecine

Vu le Dahir portant loi n°1-75-102 du 13 Safar 1395 (25 Février 1975) relatif à l'organisation des universités, notamment son article 21.
Vu le décret n° 2-75-663 du 11 Chaoual 1395 (17 Octobre 1975) notamment son article 3 fixant la vocation des établissements universitaires ainsi que la liste des diplômes dont ils assurent la préparation et la délivrance tel qu'il a été modifié et complété.
Vu le décret n° 2-82-358 du 16 Rabia II 1403 (31 Janvier 1983), fixant le régime des études et des examens en vue de l'obtention du diplôme de Doctorat en médecine.
Vu le procès-verbal du jury siégeant à la Faculté de Médecine et de Pharmacie de Fès,

بمقتضى الظهير الشريف رقم 1-75-102 بتاريخ 13 صفر 1395 (25 فبراير 1975) بمثابة قانون يتعلق بتنظيم الجامعات و لا سيما الفصل 21 منه.
و بناء على المرسوم رقم 2-75-663 الصادر في 11 شوال 1395 (17 أكتوبر 1975) بتحديد لمختلف المؤسسات الجامعية و قائمة الشهادات التي تتولى تحضيرها و تسليمها حسبما وقع تغييره و تتميمه و لا سيما الفصل 3 منه.
و بناء على المرسوم رقم 2-82-358 الصادر في 16 ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983) بتحديد نظام الدراسات و الامتحانات لنيل الدكتوراه في الطب.
و بناء على محضر لجنة الامتحانات المنعقدة بكلية الطب و الصيدلة بفاس

Le : 17 Janvier 2007

Le Diplôme de doctorat en Médecine est délivré

à Mr. (Melle) ARIFI SAMIA

Né(e) le 27 Mars 1981 à ERRACHIDIA

Pour jouir des droits et prérogatives qu'il lui confère.

بتاريخ: 17 يناير 2007

فإن شهادة الدكتوراه في الطب منحت

للسيد(ة) أريفي ســـامية

المزداد(ة) بتاريخ 27 مارس 1981 بالرشيدية

ليتمتع بالحقوق والامتيازات التي تخولها له

Fès le 18 Avril 2007

فاس في

عميد كلية الطب والصيدلة
Le Doyen de la Faculté de Médecine et de Pharmacie
Le Doyen
Professeur My H. Farih

توقيع المرشح
Signature de l'impétrant

رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله
Le Président de l'Université Sidi Mohammed Ben Abdellah
توفيق الزاني الشهدي

NB : Il ne sera délivré qu'un seul exemplaire de ce diplôme.

تنبيه : لا تسلم إلا نسخة واحدة من هذه الشهادة.

" لم يكن حدث الحصول على أول دكتوراه أكثر من صدفة جميلة. إذ كان من الممكن أن يكون من حظ أي طالب آخر." *سامية اريفي*

1. من حيث الشكل

اذا ما اردنا وضع وصف لشكل "الاجازة الطبية المعاصرة" او شهادة الدكتوراة في الطب؛ فان هذه الأخيرة وعلى غرار جُل الشهادات الاكاديمية عبارة عن ورق مقوى لامع او ما يصطلح عليه باسم "كوشيه"، الورقة مستطيلة الشكل افقيا ومؤطرة باطار عصري مزين الزوايا، ضم اللونين الأسود والازرق.

يتوسط الشهادة شعار الكلية الذي اتخد نقطة تماثل في موضعين: في الربع الأعلى من الورقة، بحجم صغير والوان بارزة، ثم بحجم اكبر والوان باهتة في المركز متوسطا نص الاجازة العربي ومقابله الفرنسي.

" تطبع الشهادة على نوعية ورق متطور بسُمك 300 غرام، وتستعمل فيها تقنيات نقش احترافية وحبر عالي الجودة لنتيجة خالية من العيوب لا يمكن توفرها الا بأحدث المطابع الصناعية. وغالبا ما تكون مقاييسها وفق المقاسات التالية: A4 / 27,9 cm x 21,6 cm / 25,4 cm x 20,3 cm /22,9 cm x 17,8 cm " [265]

[265] diplôme: lussierjostens.com

2. من حيث المضمون

اما من حيث المضمون؛ فالشهادة أشبه ما يكون بالوثيقة الإدارية القانونية، فهي تستهل بتراتبية الجهة المانحة: الدولة، الوزارة، الجامعة، الكلية والمدينة. ثم رقم الشهادة وسنة منحها. ثم عبارة "شهادة الدكتوراة في الطب" التي تشكل عنوانا للوثيقة والتي كان لها النصيب الأوفى من حجم وشكل خط الكتابة.

الوجه القانوني للوثيقة ممثل في ثلاثة بنود ومحضر لجنة الامتحانات بالكلية:

- بمقتضى الظهير الشريف رقم 7102-1 بتاريخ 13 صفر 1395 (25 فبراير 1975) بمثابة قانون يتعلق بتنظيم الجامعات و لا سيما الفصل 21 منه.
- وبناء على المرسوم رقم 663-75-2 الصادر في 11 شوال 1395 (17 اكتوبر1975) بتحديد اختصاص المؤسسات الجامعية و قائمة الشهادات التي تتولى تحضيرها وتسليمها حسب ما وقع تغييره و تتميمه ولا سيما الفصل 3 منه.
- وبناء على المرسوم رقم 356-82 -2 الصادر في 16 ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983) بتحديد نظام الدراسات والامتحانات لنيل الدكتوراه في الطب.
- وبناء على محضر لجنة الامتحانات المنعقدة بكلية الطب والصيدلة بفاس بتاريخ ...

ثم النص المجيز:

" فان شهادة الدكتوراة في الطب منحت "... ليتمتع بالحقوق والامتيازات التي تخولها له.

اما تعريف المجاز فقد اقتصر على ذكر اسمه، تاريخ ومكان ازدياده.

شغل كل ما ذكرنا أعلاه نصف الوثيقة مقابلا مع ترجمته بالفرنسية.

وتختتم الشهادة بمكان وزمان الاجازة وتوقيع كل من رئيس الجامعة وعميد الكلية.

المبحث الرابع

مقارنة بين إجازات الأمس وشهادات اليوم

1. مقدمة

لا شك ان ثمانية قرون كفيلة بتغيير ملامح الاجازات الطبية: شكلها، مضمونها واسلوبها، معاييرها وماهيتها. لكن لا شك أيضا ان جانبا مشرقا من الحداثة يمكن ان يقابله طغيان الحس المادي الظاهري الذي يحصر قيمة الفرد في مستوى معارفه وفعله الآلِيَين؛ على حساب تلك اللمسة المعنوية الإنسانية...

نتفق اننا في القرن الواحد والعشرين؛ واننا نعاصر احدث المعلوميات والتكنولوجيات؛ احدث وسائل الاختبارت والأعراف الاكاديمية، واننا مَدعُوُّون الى الاجتهاد والمواكبة، لكن بشرط ان لا نولي ظهورنا كليا لتاريخنا بالأمس، فلنلتفت؛ ربما سقطت منا "حكمة " ونحن نهرول لنلحق ركب من كانوا خلفنا فتزودوا من " زاد التاريخ" ...وسبقونا !!!

في هذا المبحث الذي يمكن اعتباره حصيلة لدراستنا، وجب التذكير بالاهداف التي رسمناها ابتداءا وسعينا لتحقيقها بين دفتي هذه الاطروحة: من تسليط الضوء على مفهوم الاجازة الطبية، باعتبارها وسيلة ناجعة تضمن كفاءة المتطبب من جهة، وباعتبارها إنجازا رِيادِيا للحضارة الإسلامية من جهة أخرى. التعرف على اهم المحطات التاريخية لتطور مفهوم الاجازة وخصوصا في ميدان الطب والتعريف ببعض الأعراف المتعلقة بدراسة وممارسة الطب. ثم إبراز، تحليل، والتعرف على خصائص بعض الإجازات الطبية التي وسمت ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي.

لكن هدفنا الأسمى كان هو استنباط دروس تنير طريقنا إلى تكوين طالب معتز بهويته، عالما حكيما خلوقا يمزج بين عمق الانتماء لتاريخه ومعرفة علمية حديثة. هذا اذن فصل استنباطي؛ سنحاول من خلاله – بايجاز – وضع مقارنة بين اجازات الطب بين الامس واليوم معتمدين على الاجازات التي درسناها وحللناها سابقا؛ وذلك من حيث الشكل، المضمون، اللغة والمعايير. وسنختتم بلفت النظر الى روح وماهية الاطروحة عبر موضوع الاجازة الطبية، ومنها هي الاخرى عبر مهنة الطب في فقرة بعنوان : الاجازة والاخلاقيات.

2. من حيث الشكل :

Royaume du Maroc
Ministère de l'Education Nationale de l'Enseignement Supérieur de la Formation des Cadres et de la Recherche Scientifique
Université Sidi Mohammed Ben Abdellah
Faculté de Médecine et de Pharmacie
Fès

المملكة المغربية
وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الطب والصيدلة
فاس

N° : 001/07 — رقم : 07/001

شهادة الدكتوراه في الطب

Diplôme de Doctorat en Médecine

Vu le Dahir portant loi n°1-75-102 du 13 Safar 1395 (25 Février 1975) relatif à l'organisation des universités, notamment son article 21,
Vu le décret n° 2-75-563 du 15 Chaoual 1395 (17 Octobre 1975) notamment son article 3 fixant la vocation des établissements universitaires ainsi que la liste des diplômes dont ils assurent la préparation et la délivrance tel qu'il a été modifié et complété,
Vu le décret n° 2-82-308 du 16 Rejeb 1403 (31 Janvier 1983), fixant le régime des études et des examens en vue de l'obtention du diplôme de Doctorat en médecine,
Vu le procès-verbal du jury siégeant à la Faculté de Médecine et de Pharmacie de Fès,

بمقتضى الظهير الشريف رقم 1-75-102 بتاريخ 13 صفر 1395 (25 فبراير 1975) بمثابة قانون
بمقتضى المرسوم رقم 2-75-563 الصادر في 15 شوال 1395 (17 أكتوبر 1975) بتحديد
بناء على المرسوم رقم 2-82-308 الصادر في 16 ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983) بتحديد
بناء على محضر لجنة الامتحانات المنعقدة بكلية الطب و الصيدلة بفاس

Le : 17 Janvier 2007 — بتاريخ: 17 يناير 2007

Le Diplôme de doctorat en Médecine est délivré — فإن شهادة الدكتوراه في الطب منحت

à Mr. (Melle) ARIFI SAMIA — للسيد(ة) أريفي سامية

Né(e) le 27 Mars 1981 à ERRACHIDIA — المزداد(ة) بتاريخ 27 مارس 1981 بالراشيدية

Pour jouir des droits et prérogatives qu'il lui confère. — ليتمتع بالحقوق والامتيازات التي تخولها له

Fès le 18 Avril 2007 — فاس في 18 أبريل 2007

Le Doyen — عميد كلية الطب والصيدلة
Le Professeur Mo. H. Farih

Signature de l'impétrant — توقيع المرشح

Le Président de l'Université Sidi Mohammed Ben Abdellah — رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله

NB : Il ne sera délivré qu'un seul exemplaire de ce diplôme.

تنبيه : لا تسلم إلا نسخة واحدة من هذه الشهادة.

نتبين عبر الصور أعلاه اختلافات بينة لشكل الاجازات الطبية من 1207م الى 2007م، من الطراز التقليدي الى العصري الذي يتجلى من حيث خط الكتابة، الألوان، شكل الاطار، الورق المستعمل، الرموز والطوابع.

3. من حيث المضمون:

اختزلت كلمات الاجازة وغيرت أسلوبها، ففي حين اعتمدت الاجازتان الاولتان على بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية، فقد افتقرت لتلك اللفتة الدينية الإجازتان اللاحقتان، الإتقان في الأسلوب والتفنن في اللغة عرجا هما الآخران عكس المنحى التصاعدي. ولنا في فقرتي مقدمة الاجازة وفقرة تعريف الطالب؛ ساحة نتعرف في تفاصيلها اهم الاختلافات المرصودة من حيث المضمون:

- المقدمة

المقدمة هي الطليعة الدالة على ما بعدها والمدخل الذي يمهد به لطرح الغرض العام الذي هو الاجازة، وقد قيل: " أحسنوا معاشر الكتاب الإبتداءات فإنهن دلائل البيان". وقد كان العرف السائد في مقدمات الاجازات الطبية الاصيلة؛ التفنن في عبارات الحمدلة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بعبارات توحي بميدان الاجازة. لكن وعلى غرار باقي فقرات الاجازة؛ فان المقدمة عرفت بدورها تغيرا في عباراتها واسلوبها، وهو ما يتجلى لنا في الأمثلة اسفله التي اقتبست اسطرا من إجازتي الطبيبين الكتامي والعلمي :

الحمد لله الذي زين الإنسانية بحب العلم وجعل الانتماء اليه من اعظم الوسائل واقوى الأسباب وكتب الشفاء لمن شاء بما شاء على يد من شاء من بريته ...خلق الانسان وعلمه البيان وابرز له معالم في كل زمان ومكان من ادوية جافة وادوية نافعة شافية بواسطة من شاء من الحكماء الاعيان الاعلام مما لا تدركه بعادة حكمته غاية الصفوة والافهام حمدا يليق بكماله و الحكيم العليم واللطيف الحليم ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي الاواب الناطق بالحكمة وفصل الخطاب اللهم صل عليه وعلى اله وصحبه صلاة تدلنا بها عليك وتقربنا بها اليك والحمد لله رب

"الحمد لله الذي أطلع من شاء على عوارف سره، وأظهر كل معدوم من خزائن علمه، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحما، وامر بتعاطيه على لسان أنبيائه الذين بينوا من أصول الطب وفروعه قسما جما، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه، وعلى آله وأصحابه وحزبه

ذلك التفنن في صياغة مقدمة الاجازة؛ بمكن ان نتلمسه أيضا في نص الاجازات الطبية في اوج عطاء الحضارة العربية الإسلامية

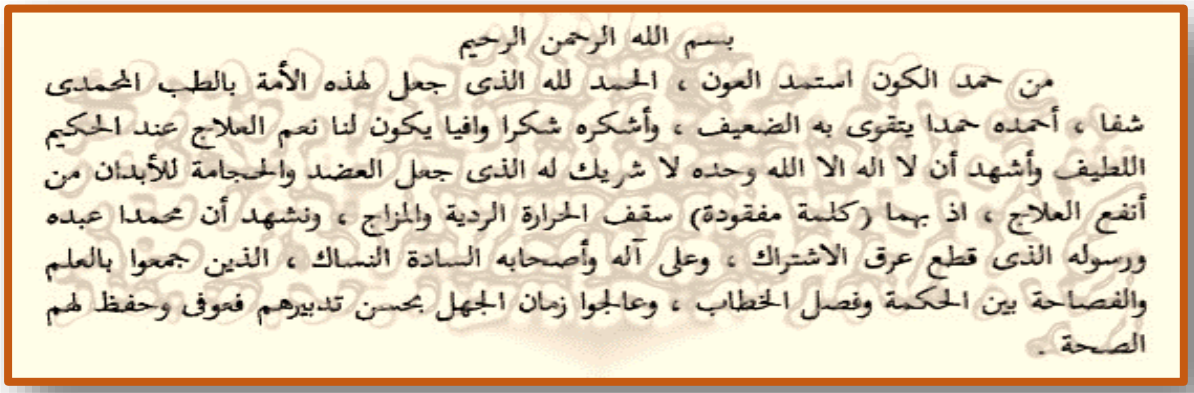

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد الكون استمد العون ، الحمد لله الذى جعل لهذه الأمة بالطب المحمدى شفا ، أحمده حمدا يتقوى به الضعيف ، وأشكره شكرا وافيا يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى جعل العضد والحجامة للأبدان من أنفع العلاج ، اذ بهما (كلمة مفقودة) سقف الحرارة الردية والمزاج ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى قطع عرق الاشتراك ، وعلى آله وأصحابه السادة النساك ، الذين جمعوا بالعلم والفصاحة بين الحكمة وفصل الخطاب ، وعالجوا زمان الجهل بحسن تدبيرهم فعوفى وحفظ لهم الصحة .

إجازة أصدرها رئيس الجراحين بدار الشفاء المنصوري ق11 ه

266

اما الشهادات المعاصرة؛ فلم "تتكبد عناء" تقديم نفسها وامتاع قارئها، بل ألبست مقدمتها وجها قانونيا ممثلا في البنود المؤطرة ومحضر لجنة الامتحانات.

266 الاجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 هـ الى القرن 10 أحمد رمضان ص25

- تعريف المجاز

كانت عادة الاجازات التعليمية (الطبية وغيرها) تخصيص سطور ليست بالهينة للثناء على المجاز خلقا، علما وعملا وما الى ذلك مما يحث في نفس الطالب الهمة العالية والعزيمة السامية؛ خاصة اذا صدرت تلك العبارات من الأستاذ، المعلم..القدوة. حتى ان "شخصنة" الشهادة لتضيف لها زخما معنويا غير مقارن مع مثيلاتها "الاوتوماتيكية" التي تعرف المجاز اسما.

وقد نال طبيبانا الكحاك والعلمي نصيبهما الوافر من الاطناب والتقدير، ممثلا في المثالين الاتيين:

الطالب الأرضى الطبيب الماهر السيد الحاج محمد بن المرحوم بمنة الله عزوجل السيد الحاج احمد الكحاك، ومعها يشهدون بانهم جربوه في معالجة المرضى، واختبروا حاله وأمره؛ فوجدوه بحرا وقفت فحول الأطباء بساحله وعجزوا من مجاراته في ميادين صناعة الطب ودلائله، عارفا مهندسا، وحاذقا كيسا. له عقل راجح، مقداما على معالجة الادواء ولعباد الله ناصح. وانه رجل صالح لا يتهم بريبة ولا خيانة، وفيه ما ليس في غيره من فعل المعروف وبسط الكف و مواساة الضعفاء ومعالجتهم بغير اجرة وملازمة الصلوات الخمس بالجماعة و كثرة الا ذكار و غير ذلك من أفعال البر.

وحصل المعالي بالاجتهاد والجد، الذكي الألمعي والطبيب اللوذعي، السيد الشريف عبد السلام أفندي نجل المرحوم السيد محمد العلمي بل الله ثراه، وجعل الجنة مثواه،... فشمر الأفندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد، وهجر الأوطان والبلاد، وسهر الليل لنيل المعالي، وغاص البحر لطلب اللئالي، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته في الدروس واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية، في بذل الجد والاجتهاد، ونال بذلك طريق الرشد والسداد.

.. فلم أجد أحدا اشتغل بغيرة شديدة، وطريقة مستمرة حميدة، مثل هذا الطبيب النحرير، الذي هو بالمدح جدير، ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر فوجدته في العلم والعمل وحيد «كذا» وفي المعارف بالنسبة لأقرانه فريد، لأنه ذاق من منهل علوم الطب ما فاق وراق، وشرب من سلسبيل الحكمة كاسا دهاقا.

كما تذوق اطباء المسلمين من عبق عبارات الثناء والتوجيه من معلميهم حكماء الحضارة الإسلامية

وكان ممن وفق لذلك ودأب فى سلوك تلك المسالك النحرير الفاضل والمشتغل المحصل النايل الشيخ العلامة الفاضل الفهامة ذى القريحة الوقادة والطبيعة المنقادة من علامة الفلاح عليه لايحه ونسمات السعادة منه فايحه نخبة المحصلين وعين المشتغلين أبو الفضايل شرف الدين نجل الاجل الاوحد والمعتبر الامجد الخراجكى العلائى علاء الدين بن الشمس شمس الدين الشهير نسبه الكريم ابن عسيلة المقدسى نفعه الله ونفع به . ووصل أسباب الخيرات بسببه وأقر به العيون . وحقق فيه الظنون ولا زال راقيا لاوج المعلى . رافلا فى حلل الفضايل على ممر الايام والليالى أمين .

مقتطف من إجازة نجم الدين القبطي المدرسة الصلاحية لشرف الدين العلائي 946ه

267

والفاصد» ، اذ هى فى هذا الفن أسمى المقاصد . قد قرأها عليه قراءة اتقان وامعان ، فلم ير بدا من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد ، ولتسهل ضبط تلك القواعد فجاءت بجملة أبهى من نور الأنجار ، وأضوأ من نور الأسمار ، كالتبر المنسبك أو القطر المنسكب ، قد أجاد ناظمها فى تحقيقها ، وبذل الجهد فى تحريرها وتدقيقها ، وأتقن ألفاظ مبانيها . وغاص فى بحار معانيها ، واستخرج الدر الثمين من أصلها ، وجمع بين فصلها ووصلها ، وصارت تجلى كالعروس لمعانها ولقد صارت فى هذه الصناعة العمدة والكفاية ، واعترف لها الكامل انها المنهاج والهداية ، ونسبت بها التذكرة ، ولم يبق لهذا العلم تذكرة حميدة . وأحجم عندها كل مهذب بالمكنون وصرح تاريخ الأطباء أنها نص ما فى القانون . فلما ظهرت نتيجة الانتخاب فى المسألة والجواب وتغذى ناظم سلكها بالخاص من اللباب ، وصارت الخناصر تعقد ، وان كان لساعد الأنصارى (١) رسالة فشتان رسالته ورسالة محمد ، وكانت عين المقصود ، ورقمت فيما يجب على الفاصد والمفصود ، استحق راقم وشيها وناسج بردها أن تتوج بتاج الاجازة فاستخرج الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح .

268

إجازة أصدرها رئيس الجراحين بدار الشفاء المنصوري ق11 ه

267 الإيجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن 4 ه الى - 10 ه ، ص 37

268 نفسه ص26

4. لغة الاجازة

اللغة؛ من اهم الخطوط العريضة لدراسة ملامح تطور الاجازات الطبية بين الامس واليوم، فحسب النماذج قيد الدراسة؛ يتبين للعيان اكتفاء اجازات ما قبل القرن العشرين بالعربية لغة لصياغة نص الاجازة، في حين ادمجت الاجازات المعاصرة لغة اجنبية مناصفة والعربية - ولا بأس في ذلك-؛ غير ان هذا الطرح ليعرج بنا الى ما هو اعمق...لغة التدريس. صحيح ان اختيارنا مناقشة موضوع الاجازات الطبية كان يهدف الى نفض الغبار عن موروث طبي إسلامي زاخر؛ لكنه أيضا كان يروم لفت الانتباه الى قيمة وغنى وجمال لغة ذلك الموروث..

ولعل من أهم التوجيهات والتوصيات التي يمكن ذكرها في هذا الباب هو طرح قضية تعريب الدراسات الطبية على الطاولة، واعتمادا على منشور "الترجمة والتأليف عندما تكلم الطب بالعربية"[269] للأستاذة الدكتورة بشرى العيش، فان منظمة الصحة العالمية قد أوصت عام 1986 "بضرورة تدريس الطب للشعوب المختلفة بلغاتها القومية؛ فذلك أسهل وأقصر الطرق لاستيعاب المعلومات والنهوض بالمستوى الصحي والطبي". فلماذا يكون الطالب العربي أقل حظا من الطالب التركي والفرنسي والألماني والايطالي والأسباني؛ فيحرم من الدراسة الطبية بلغته القومية التي نشأ عليها وورثها عن آبائه وأجداده؟

تحدثنا سابقا عن جهود الطبيب الفرنسي كلوت بك التي لا تنكر في النهوض بالمدرسة الطبية "قصر العيني"، اما في موضوعنا عن لغة التدريس الطبي؛ "فقَدْ كان من رأي كلوت بك أن التعليم ينبغي ان يكون بالعربية، لأن التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة، كما لا ينتج عنه توطين العلم أو تعميم نفعه."[270]

---

[269] 113) الترجمة والتأليف عندما تكلم الطب بالعربية / الأستاذة الدكتورة بشرى العيش، alarabiahconference.org

[270] تاريخ التعليم الطبي... ص 55

ونقتبس مرة أخرى من كلام عجمي انصف عربية: يقول الدكتور "ترابو" مستنبطا من تاريخ حضارتنا: "لقد تفوق العرب على غيرهم في العلوم الطبية ووجدوا في لغتهم كنوزاً من الألفاظ والتعبيرات، فلا يصعب على أحفادهم أن يقتدوا بهم وأن ينهضوا باللغة العربية حتى تكون لغة العلوم العصرية بأتم معاني الكلام[271].

ولان اللغة العربية جزء لا يتجزأ من تاريخنا، حضارتنا وهويتنا، فاننا نعتبر مجرد مناقشة طلبة الطب - العرب عامة والمغاربة خاصة – اطروحاتهم بلغة الضاد إنجازا ورد اعتبار واسهاما فعالا في احياء التراث الطبي العربي الإسلامي. وهنا لاباس من وقفة تقديرية لبحث الاطروحة الذي قام به الطبيب "عز الدين دزاز" خريج كلية الطب بالدار البيضاء حول الموضوع تحت عنوان:

"الأطروحة الطبية المغربية باللغة العربية حصيلة وآفاق، بصدد 161 أطروحة" [272]

البحث عبارة عن دراسة تحليلية، للأطروحات الطبية العربية التي نوقشت بكليتي طب البيضاء والرباط، منذ نشأتهما إلى غاية سنة 2012 .من خلال نتائج هذا البحث يتبين أن حصيلة الأطروحات الطبية باللغة العربية لم تتجاوز 1% من مجموع الاطروحات المناقشة.

ويبين الجدول جانبه المواضيع المتناولة:

	كلية طب الرباط	كلية طب البيضاء	المجموع
أطروحات التعريب	62	54	116
أطروحات الطب الإسلامي	9	18	27
أطروحات عربية أخرى	6	12	18
المجموع	77	84	161

إن اعتماد اللغة العربية في كتابة البحوث والأطروحات الطبية يشكل الخطوة الأولى للأخذ باللغة العربية في التدريس، لهذا نطرح جملة من الاقتراحات والتوصيات:

- تنشيط حركة تعريب وترجمة أهم الكتب والمراجع الطبية عبر الترجمة الفورية لما يستجد من أبحاث.

- تشجيع تبادل الأساتذة والطلاب على أوسع نطاق بين الجامعات العربية لتحقيق إشاعة تبادل الخبرات في مجال التعريب وتنميته.

[271] كلية الطب بدمشق - شبكة الألوكة

[272] المجلة الصحية المغربية http://www.tawassol.ma/

وينهي طبيبنا بحثه بالرسالة التالية :" ورجاؤنا أن تساعد هذه المساهمة على إقناع الباحثين في قضايا التعريب والمسؤولين عن تخطيط السياسات اللغوية بالاهتمام بالأبعاد التصورية للمشكل اللغوي، وبالأبعاد النظرية للوسائل والمنهجيات المقترحة، ويختتم بالآية الكريمة { لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}

والرجوع الى تاريخ الطب كفيل بتاكيد ما خلص البحث السابق الذكر، فعبر التاريخ؛ ناقشت الجامعات الأوروبية اطروحاتها باللغة اللاتينية الموحدة حينها، ثم ما لبثت ان اعتمدت اللغة الرسمية لكل دولة.

ولغتنا ليست اية لغة؛ انها لغة الضاد، لغة الفصاحة والبلاغة، لغة الغنى والتنوع بأكثر من اثني عشر مليون كلمة، لغة احتضنت بجدارة علوم الدنيا وحملت لواء العلم والثقافة ثمانية قرون...لغة اهل الجنة. لكن المؤسف ان لغة بتلك الميزات قوبلت بأساليب ممنهجة ترمو إقصاءها ووضع الحواجز دونها، وإعلاء صوت الأسس الواهية والذرائع التي يتشدق بها أعداء التعريب من صعوبة اللغة وتجاوز الزمن لها. والمؤسف الآخر؛ هو تنكر العرب للغتهم واستبدالها باللغات الأعجمية للأمم التي غزت بلادهم واحتلت أوطانهم وحاربت ثقافتهم، لغات أجنبية أقل بلاغة وأضعف فصاحة وأضيق أفقا وأوهى تاريخا..

ان العلاقة بين الامة ولغتها علاقة تشاركية تبادلية، فكما ان اللغات تغنى وتعز بعز ومجد أهلها؛ وتنكمش وتشيخ وتهزل بصغارهم وذلهم، فانه وفي المقابل؛ عز القوم بالاعتراف وتبني مقوماتهم الحضارية، الثقافية واللغوية. ولنا في التاريخ شاهد وبرهان؛ فقد أبدعت الأمة العربية المسلمة عندما استعملت اللغة العربية الشريفة واستوطنتها في الثقافة وشتى العلوم.

5. من حيث الغاية :

ركزت الاجازات "الغير معاصرة" على تزكية المجاز وتأكيد الثقة فيه إنسانا وطبيبا، حتى انه يمكننا ان نقول ان الاجازة كانت بمثابة جائزة، كما كانت وسيلة تضمن أهلية الممارسة الطبية لا غاية في حد ذاتها. في المقابل هَدَفَ الحصول على شهادات اليوم تحصيل دبلوم مخول للعمل لا اكثر..

ومن الدستور المغربي نذكر هذا البند المنظم لمزاولة مهنة الطب؛ والذي يشترط الحصول على ديبلوم الدكتوراة في الطب او ما يعادلها.

ظهير شريف رقم 1.15.26صادر في 29 من ربيع الآخر 1436 (19 فبراير 2015) بتنفيذ القانون رقم 131.13 المتعلق بمزاولة مهنة الطب[273]

الباب الثاني: مزاولة مهنة الطب من قبل أطباء مغاربة

المادة 4 : لا يجوز لأي أحد أن يقوم بأي عمل من أعمال مهنة الطب بأي صفة من الصفات إلا إذا كان مقيدا بجدول الهيئة وفق أحكام هذا القانون وأحكام القانون رقم 08.12 المتعلق بالهيئة الوطنية للطبيبات والأطباء، حسب القطاع الذي يعتزم المزاولة فيه، يتم هذا التقييد بحكم القانون لفائدة صاحب الطلب المتوفرة فيه الشروط التالية:

- أن يكون حاصلا على دبلوم الدكتوراه في الطب مسلم من إحدى كليات الطب المغربية أو على شهادة أو دبلوم من مؤسسة أجنبية تخول لحاملها الحق في مزاولة المهنة بالدولة التي حصل فيها على هذه الشهادة أو الدبلوم ومعترف بمعادلتها للدبلوم الوطني وفقا للنصوص التنظيمية الجاري بها العمل.

---

[273] /http://adala.justice.gov.ma

6. من حيث المعايير :

راينا كيف اعتمدت إجازتي الطبيبين الكتامي والكحاك على المعايير العلمية، الميدانية، الدينية والخُلقية للمجاز لاثبات كفاءته وأحقيته للاجازة. ربما يكون مبرر افتقار الاجازات والشهادات المعاصرة الى الإشارة الى المعايير العلمية النظرية منها والتطبيقية هو مرور طالب الطب من جملة من التداريب والامتحانات التي يساوي اجتيازها نجاعة المستوى العلمي للطبيب المجاز. لكن ما من مبرر لتجاوز الجانب الخلقي والتعاملي لخريجِ مهنة اقل ما يقال عنها انها تطبب الروح قبل البدن. ولنا في الفقرة الموالية؛ وقفة عند معيار الاخلاق بعنوان الاجازة والاخلاقيات.

قل للطبيب إذا ما جئت تنصحه كن يا طبيب قبيل الطب إنسانا

نصف الدواء بثغر منك مبتسم يسقي العليل، على الآلام تحنانا

أحسن إليه إذا ما كان ذا عوز فالله يجزي على الإحسان إحسانا

فاضل اصفر/ دوحة الادب والشعر

274

274 لوحة "الطبيب" بريشة لوك فيلدس

الاجازة والاخلاقيات

لعل ما يلفت الإنتباه في مقارنة اجازة الامس وشهادة اليوم هي مسالة الاخلاقيات، فاذا ما كان الطب قد قطع اشواطا كبيرة في تشخيص ومعالجة امراض كانت مستعصية على الاطباء خلال العقود الاخيرة - وللتقدم التكنولوجي دور كبير في هاته الطفرة النوعية -؛ فإنه وبالمقابل تعرف مسالة الاخلاقيات في الطب انتكاسة حقيقية وليس المجال هنا للخوض في تفاصيلها. ولعل ما تعيشه منظومتنا الصحية من مشاكل عميقة ومتشعبة يرجع بشكل كبير الى مسألة الأخلاقيات المغيبة أصلا في منظومة التعليم الطبي؛ وان كانت تدرس في بعض الكليات وبشكل محتشم، فهذا لا يرقى إلى المطلوب .

ان المتمعن في إجازات الأولين يدرك اهمية موضوع الأخلاقيات عندهم، فلقد ادركوا ونسينا ان الطب أخلاق قبل ان يكون معرفة؛ وان الطبيب إنسان قبل ان يكون طبيبا.

ان العملية التعليمية الناجعة تشمل الى جانب التأكد من سَعَة معلومات الطلاب النظرية والعملية، والوثوق من مهارتهم وقدرتهم على التشخيص والعلاج، تشمل أيضا بل وابتداءا ضخ المعاني الإنسانية السامية.

يقول الرازي الذي يأبى اسمه الا ان يذكر في كل بر في رسالة وجهها لتلميذه:" واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقا بالناس، حافظا لغيبهم، كتوما لأسرارهم، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه عن أخص الناس به مثل أبيه وأمه وولده، وإنما يكتمونه خواصهم ويفشونه إلى الطبيب ضرورة، كما ينبغي للطبيب أن يوهم المريض الصحة ويرجّيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس. وأن يسمع كلام المريض إلى آخره فلعل آخره ينقض أوله أو بعضه ولربما يغلط المريض في ذكر حاله أو يعجز عن التعبير عنه، فإذا تأنى الطبيب وأعاد عليه السؤال برفق أمن من الغلط."[275]

[275] د. محمود الحاج قاسم محمد، شبكة الالوكة

ولعلنا نسترسل مجموعة نقاط أثارتها الدكتورة خالدة نصر في مقالتها الفريدة حول أخلاقيات الطبيب. استهلتها بقولها: "أن الطبيب قبل كل شيء صاحب رسالة لا ممارس حرفة، ومداو للبشر لا مصلح للحجر."، ثم سردت صفات اعتبرتها لبنات أساسية في بناء الطبيب الانسان:

الحكمة

قيل فيها انها جودة التفكير ودقة التعبير وسلامة التدبير، فالطبيب في تعامله مع زائره يجب أن يقول ما يقصده تماما، وأن يقصد ما يقوله...انها ضالة المؤمن.

الحلم

يمكن الحلمُ الطبيب من حسن معاملة الناس في الأوقات العصيبة، فمنهم الموجوع والمهموم والمصدوم الذي كان ماضيا في حياته فجاءه المرض زائرا من دون ميعاد.

المرونة

وهي الدمج بين الشد والجذب، والترغيب والترهيب، والتحذير والتحفيز. وهي صفة مهمة خاصة في التعامل مع المرضى الذين يعانون من ظروف صحية مزمنة.

الرحمة

المرض قطعة من العذاب، وهو يصيب الشخص في بدنه كما في روحه، أما الدواء فهو رحمة من رحمات الله يرسلها للبشر. ولذلك فإن الطبيب بعلاجه للناس إنما هو رسول يحمل الرحمة الربانية.

الهدوء والتأني

ان التشخيص الصحيح للمرض يحتاج إلى إعمال الفكر وعدم التسرع، كذلك تقتضي مكانة الطبيب التاني بتجاهل السفاهات والترفع عن المهاترات.

الصدق

لا يقتصر على إخبار المريض بحقيقة مرضه وما يتطلبه التعامل معه، بل يتعداه إلى ادراك الطبيب حدود إمكاناته ويحول مريضه إلى من يعتقد بقدرته على فهم ما استعصى عليه.

صحيح أن الطبيب في النهاية إنسان يحزن ويفرح وقد يمر بظروف اصعب من تلك التي يستشار فيها، إلا أن تحمله لهذه المسؤولية العظيمة يفرض عليه التعالي على جراحه وتركيز فكره حول الاهتمام بمرضاه. فالتلطف بالمريض والإشفاق عليه أصل. وكما قيل في وصف الحكيم : "الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق"[276]

فمهنة الطب مهنة علمية عملية، لكنها أيضا إنسانية أخلاقية؛ وتلك ميزتها بين جموع المهن. فيا ترى هل نحن – معاشر الأطباء وطلبة الطب – مؤهلين معنويا للانتساب لمهنة الاخلاق والقيم الانسانية. ولعل سؤال الأخلاقيات يكون هو جوهر طرحنا و مقارنتنا.

وكاجابة مسبقة على من يشكك بالغاية المبتغاة من هذا الطرح، نقول اعترافا ان ازدياد عدد الطلبة وقلة الموارد البشرية المؤطرة عوامل ساهمت في تحييد شهادات الطب وحجبِ افق ماهيتها المبتغاة ابتداءا، لكن قيمة الطرح هي في لفت الانتباه الى سمو مهنتنا ونبل غايتها. وان لم نؤطَّر على العلاج المعنوي الروحي، فان الجهد الحقيقي الموازي للحفظ والفهم، المكمل للحراسة والمتوِّج للوصفة الطبية هو جهد تحصيل مكارم الاخلاق، ولتسالوا المرضى عن اثر ابتسامة طبيب...

إن المكارم أخلاق مطهرة الدين أولها والعقل ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل سادسها

والبر سابعها والشكر ثامنها والصبر تاسعها واللين باقيها

علي بن ابي طالب [277]

[276] الدكتورة خالدة نصر، الجزيرة نت

[277] الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)، المستطرف في كل فن مستظرف/ شهاب الدين الأبشيهي ص 13

خاتمة

عنيت اطروحتنا بدراسة تاريخ الاجازات في علم الطب، عبر محاور اهتمت اولاها بالاجازات العلمية؛ كيف انها ظهرت وانطلقت مع غير الطب من العلوم، وكيف وجدت في علم الأبدان المقومات والتربة الخصبة لتطورها وتحقيق ماهيتها، فأدمجت فيه ادماجا، وكانت خير الوسيلة لتأطير خير العلوم. ثم تناولنا تاريخ بعض من الأعراف المميزة للدراسات الطبية، ومنها الى دراسة ميدانية على ارض فاس واجازة حكماءها من كتامي وكحاك وعلمي وأريفي. ألقاب تحكي حروفها الأصلية خلاصة مضمون اطروحتنا: تراث كُتِم كالكَحَك[278] ثم عُلِّم لِيُرفى[279] اليه..

موضوع اختير بذكاء من قبل استاذنا البشير بنجلون؛ ذلك انه يضرب عصفورين بحجر واحد، فمن جهة يميط اللثام عن ماهية وتاريخ الاجازات الطبية، ومن جهة أخرى؛ يعيد للواجهة منجزات حضارتنا باعتبار الاجازة الطبية سابقة إسلامية فريدة.

لقد ترك أطباؤنا وعلماؤنا تراثا منقطع النظير، فلنعمل نحن أيضا على التجديد والابتكار ليكون لنا اليوم إنجاز يصبح غدا تراثا يفتخر به أبناؤنا من الأجيال القادمة ويتخذونه مثلا في عملهم، يعينهم، بدورهم، على الظهور والبروز والتميز بما يحققونه من عطاء وما يشاركون به من إبداع وابتكار يعترف لهم به التاريخ كما فعل آباؤهم من قبل. فالمستقبل كل المستقبل لقيمنا الروحية والأخلاقية المميزة لحضارتنا الإسلامية الخالدة.

في هذا الجزء الختامي؛ وجدنا انه من الأجدر الخروج بتوصيات توجه عبرها مسبقا من قد يشكك في أهمية مناقشة مثل هكذا مواضيع في اطروحات طبية، ونؤكد من خلالها على ما تشبعنا به من خلال كل سطر من اسطر هذه القراءة النقدية التاريخية العاطفية لتراثنا الطبي.

---

[278] الحَكَكُ : حجارة رِخْوة بيض / معجم المعاني

[279] قرب و جُنح اليه/ معجم المعاني

توصيات

- التأكيد على مكانة التاريخ، تاريخ العلوم، تاريخ "شهم" العلوم عند خير الأمم ... تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية.
- التأكيد على ضرورة إعادة الاعتبار للموروث الطبي العربي الإسلامي عامة والمغربي خاصة؛ باعتباره معرفة تاريخية انسانية.
- تنشيط وتشجيع مناقشة اطروحات في المجال.
- المساهمة في توفير مراجع علمية محَقَّقة للباحثين في المجال، وكذا مؤطرين مهتمين بمجال البحث في تاريخ الطب.
- السعي الى تعريف طلبة الطب بمكانة تاريخ العلم الذي ينتمون اليه، مع تخصيص الأولوية لتاريخه عند اسلافهم، فعليهم يُعَوَّل في العمل على تعريفه بطريقة عِلمية عَملية.
- الاجتهاد في استنباط الحكم المعنوية الإنسانية التي تجعل من طالب اليوم اكثر اعتزازا بهويته وبانتمائه لتاريخه.
- العمل على اعادة احياء التربية والتوجيه الأخلاقي في سلك الدراسات الطبية باعتبارها جوهر المهنة وماهيتها.
- السعي الى إعادة الاعتبار للغة العربية لتيسير استعاب المعلومة الطبية وتسهيل عملية التواصل بين طرفي المهنة : المريض والطبيب.
- إعطاء الأهمية البالغة للبحث باللغة العربية وإحلالها المكانة المرموقة التي تستحقها، ودحض الاقوال الرامية الى اقصاءها، فلغتنا أسمى واغنى وأرقى من ان تظل حبيسة مقصية عن الميادين العلمية.

وٱقتباسا من قول الشاعر: ليس الفتى من يقول كان ابي ان الفتى من يقول ها انا دا فلعل حال طالب الطب اليوم المستمد من ماضيه المجد في حاضره و المتطلع الى مستقبله يقول:

اروي ظمئي و اسقى رفعة و مجدا

كلما تكلم الاشهاد و ذكر التاريخ الاجداد

قد اشاعوا في الدنيا علما نورا و هدى

هندسة فلكا و في الطب زادوا استفرادا

يراودني امل في حضارة زاهرة ان تعاد

ارشادا اسعادا للامة لجرحها ضمادا

شبابا املا يعلي الراية يفدي البلاد

تعلما تنويرا للعقل كدا و اجتهادا

و لسان حاله يدوي يعلو انشادا

في الامس كان ابي و اليوم ها انا ذا

ايمان الهلالي

الخلاصة

الاجازة او الرخصة، تقليد إسلامي عريق منح في بداية تداوله لمريدي العلوم الشرعية، لكن سرعان ما وجد موطأ قدم له في مجالات اخرى؛ ومنها علم الطب الذي أدرج فيه المفهوم بفضل الخليفة العباسي "أبو الفضل جعفر بن المعتضد" كإذن بالممارسة لمن يُتأكد من كفاءته وأهليته وذلك في القرن الثالث الهجري. فصارت الاجازة في الطب معيارا أساسيا يمنع المتطفلين على الميدان من التصرف، حالها حال الأعراف الطبية الأخرى المشتركةُ غاياتُها كالامتحان، الحسبة، الاطروحة والقسم.

تبلورت الاجازة وماهيتها، واصبحت رديفة شهادة التخرج في سلم أكاديمي ممنهج كانت الاجازة واحدة من إدراجه. الجدير بالذكر؛ ان اول إجازة في الطب منحت من مؤسسة عامة كانت تلك المسلمة من جامعة القرويين بفاس للطبيب الكتامي سنة 1207م؛ اعترافا لطبيب ممارس بالتمكن وللصرح العلمي العتيد بالريادة. الحدث الذي استلهم منه مؤطرنا الأستاذ البشير بنجلون عنوان اطروحتنا المناقشة.

أطروحة حاولنا من خلالها تسليط الضوء على "الاجازات الطبية" باعتبارها ابداعا إسلاميا سنه الاسلاف صلة وصل بين التعلم والممارسة ونقطة فصل بين التمكن والادعاء. ولاحاطة اشمل بالموضوع؛ قسمنا الدراسة الى ثلاثة أجزاء رئيسية؛ اختص أولها بتعريف مصطلح الاجازة، أنواعها وتطورها، في حين ناقش الموضوع الثاني مفهوم الاجازة ضمن اعراف ميزت مسار الدراسات الطبية، اما الجزء الثالث فكان اسقاطا على الواقع؛ وذلك بتحليل اجازات طبية وسمت ثمانية قرون من تاريخ فاس العلمي.

أطروحة تجاوزت أهدافها البيداغوجية الى "رسائل معنوية " تؤكد على مكانة تجديد ذكر منجزات حضارتنا في مجال الطب؛ رسائل خلاصتها لفت الانتباه الى لغةِ وقصة امة كانت...وستعود

Résumé

"Al ijaza" ou Licence, une ancienne tradition islamique accordée dès le début de sa diffusion aux études islamiques, mais a rapidement trouvé un essor dans d'autres domaines, y compris la science de la médecine, qui incluait le concept grâce au calife abbasside "Abou Fadl Jaafar ibn al-Mu'tadid" comme droit à exercer pour celui qui veille à son efficacité et à son éligibilité. Et cela au troisième siècle, AH. Depuis lors, la licence en médecine est devenue un critère de base empêchant les intrus sur le terrain d'agir, comme c'est le cas avec d'autres normes médicales qui partagent des objectifs communs tels que l'examen, Al hisba, la thèse et le serment.

Le concept a développé, et est devenu un certificat d'études supérieures gradué dans une échelle académique. Il convient de mentionner que le premier diplôme en médecine délivré par un établissement public est celui délivré par l'Université d'Al-Qarawiyyin à Fès à Mr KETTAMI le médecin, en 1207.

Dans notre thèse, nous avons essayé de mettre en évidence la licence en médecine "Al ijaza fi tib" en tant q une créativité islamique reliait les années d'apprentissage et pratique et séparait entre la maîtrise et la revendication.

Nous avons divisé l'étude en trois parties principales : la première consistait à définir le terme « Al ijaza « , ses types et son évolution. Le deuxième sujet traitait le concept «Al ijaza « en tant qu'une norme parmi d'autres qui caractérisaient les études de médecine, tandis que le troisième volet était une étude analytique des « Ijaza » en médecine marquants huit siècles de l'histoire scientifique de Fès.

Une thèse allant au-delà de ses objectifs pédagogiques et consistant en des "messages" soulignant les acquis de notre civilisation, et affirmant que notre langue arabe est riche et capable de s'engager dans les domaines scientifiques, messages attirants l'attention sur la langue et l'histoire d'une nation qui était ... et qui reviendra.

Abstract

License, an ancient Islamic tradition granted from the beginning of its diffusion to Islamic studies, but quickly found her place in other fields, including the science of medicine, which included the concept thanks to the Abbasid caliph "Abu Fadl Jaafar ibn al-Mu'tadid "as a right to exercise for those who ensure its efficiency and eligibility And that in the third century, AH. Since then, the medical license has become a basic criterion preventing intruders on the ground from acting, as is the case with other medical standards that share common goals such as the exam, Al hisba, the thesis and oath.

The concept has developed, and has become a graduate certificate in an academic scale. It should be mentioned that the first degree in medicine was issued by a public institution was that issued by the University of Al-Qarawiyyin in Fes to Mr KETTAMI the doctor, in 1207 of. We tried through this study to highlight the license in medicine "Al ijaza fi tib" as an Islamic creativity linked the years of learning and practical and separated Eligibility and Prosecution.

We divided the study into three main parts : the first consisted in defining the term "Al ijaza", its types and its evolution. The second subject treated the concept "Al ijaza" within the limits of the norms which characterized the medical studies, while the third part was an analytical study of the "Ijaza" in medicine marking eight centuries of the scientific history of Fez.

A thesis going beyond its direct objectives and consisting of "messages" highlighting the achievements of our civilization, and affirming that our Arabic language is rich and capable of engaging in scientific fields, messages drawing attention to the language and the story of a nation that was ... and will come back.

Royaume du Maroc المملكة المغربية

Université Sidi Mohamed Ben Abdellah

كلية الطب والصيدلة

FACULTÉ DE MÉDECINE ET DE PHARMACIE

Année 2019

Thèse N° 226/19

DIPLÔME (ijaza) EN MÉDECINE

ÉTUDE ANALYTIQUE DE HUIT SIÈCLES DE L'HISTOIRE SCIENTIFIQUE DE FÈS

THESE

PRESENTEE ET SOUTENUE PUBLIQUEMENT LE 10/12/2019

PAR

Mlle .LAHLALI Imane

Née le 27 septembre 1992 à IFRANE

POUR L'OBTENTION DU DOCTORAT EN MEDECINE

MOTS-CLES :

Diplôme – médecine – Histoire de FES – éthique

JURY

M. MOULAY HASSAN FARIH ..... PRESIDENT
Professeur d' Urologie

M. EL BACHIR BENJELLOUN..... RAPPORTEUR
Professeur de Chirurgie Générale

M. MOUSTAPHA HIDA .....
Professeur de Pédiatrie

M. MOHAMMED FAOUZI BELAHSEN ..... JUGES
Professeur de Neurologie

Mme.KARIMA EL RHAZI .....
Professeur de Médecine communautaire

M. MOHAMMED ZINE EL ABIDINE AL HOUSSAINI..... Membre associé
Historien et codicologue